

الحقوق عند المحدثين

جميعها

عبد الله بن صالح بن مجاهد

غفر الله له ولوالديه

طبعت على نفقة محسن كريم

وجعلها

وقفاً لله تعالى

(حقوق الطبع محفوظة لجامعها)

الرياض — المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
أما بعد ، فهذه مجموعة رسائل ومسائل لبعض علماء نجد
الأفاضل ، وغيرهم من أهل العلم الصحيح الكامل ، احتفظت
بها لنفسى منذ زمن ليس بالقصير ، وقد قرأت غالبها على
مشائخنا الكرام فى مناسبات مختلفة .

ولما سنحت لى الفرصة استخرت الله تعالى فى طبعا
ونشرها أملا فى تعميم الفائدة ، ورجاء المثوبة الخالدة ، والله
المستول أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، إن الله على كل
شئ قدير . والسلام

عبد الله بن صالح بن محمود

تعريف الشيخ المحترم عبد الله بن محمد بن حميد ، لرسالة
 الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ تتضمن ما بعث الله
 به رسله وأنزل به كتبه من إفراد الله بالعبادة ، وأنه لم يخلق
 الخلق عبثاً . ومشتعلة لبغض المشركين وعداوتهم ، والأمر
 بالجهاد في سبيل الله .

﴿ مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام ﴾

(من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا هذا)

قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله تعالى :
 الحمد لله الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين وختمهم بمحمد ﷺ
 سيد الأولين والآخرين ، وعمم برسالته جميع الثقليين من الإنس
 والجن ، وأمرهم باتباعه وطاعته ، وقد كانوا قبله في ضلال مبين ،
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين
 والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين . وأشهد أن محمداً

وقب الله تعالى

عبده ورسوله وخليفه الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله
الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم واستقام على طريقهم إلى
يوم الدين.

من عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، إلى من
بلغه هذا الكتاب من أهل الجزيرة وعمان والمنتسبين إلى
الإسلام في جميع الأنطار، وفقهم الله لقبول النصائح وجنبهم
أسباب الندم والقضائح. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أما بعد: فإن الله سبحانه وبحمده خلقنا لمعرفته وعبادته،
وأمرنا بتوحيده وطاعته، ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا
رسول الله ﷺ وضمن لنا النجاة والفلاح باتباعه وطاعته،
وحرّم علينا معصيته ومخالفته، ولم يكن لنا وصول إليه إلا
من جهته. قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيكم الله) وقال تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من
ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) وقال تعالى: (قل يا أيها
الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات

والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي
 الأُمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)
 وأكمل الله له الدين وبلغ البلاغ المبين ، وأشهد أُمته على البلاغ
 وأشهد ربه على أُمته له بالبلاغ ، وقال ﷺ « تركتكم على المحجة
 البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » ، وقال
 أبو ذر رضي الله عنه : « لقد توفى رسول الله ﷺ ، وما من طائر
 يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً » .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه « قام
 فينا رسول الله ﷺ مقاماً ذكر فيه بدء الخلق حتى دخل
 أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم . علم ذلك من عليه .
 وجهله من جهله » والمقصود بهذا ما قد شاع وذاع من
 إعراض المنتسبين إلى الإسلام ، عن دينهم وما خلفوا له ،
 مع أنهم من أمة الإجابة . وقد قامت عليهم الأدلة القرآنية
 والأحاديث النبوية ، من لزوم الإسلام ومعرفة ، والبراءة من

ضده ، والقيام بحقوقه حتى آل الأمر بأكثر الخلق إلى عدم
 النفرة من أهل ملل الكفر وعدم جهادهم . وانتقل الحال حتى
 دخلوا في طاعتهم واطمأنوا إليهم وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب
 دينهم ، وتركوا أوامر القرآن ونواهيهِ وهم يدرسونه آناء الليل
 والنهار ، وهذا لا شك أنه من أعظم أنواع الردة والانحياز
 إلى ملة غير ملة الإسلام . ودخلوا في ملة النصرانية عياداً بالله
 من ذلك ، كأنكم في أزمان الفترات أو أناس نشأوا في أمة
 لم يبلغهم شيء من نور الرسالة ، أنسيتم قوله تعالى : (يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء
 بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم
 الظالمين) وقوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا
 لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم
 خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم
 أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) وقال تعالى (ولن ترضى
 عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله

هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم
مالك من الله من ولى ولا نصير) والدخول فى طاعتهم اتباع
للملهم وانحياز عن ملة الإسلام . قال تعالى : (يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن
كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً
ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) وقال تعالى (بشر المنافقين بأن
لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً . وقد نزل
عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا
مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً) وقال
تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يآلؤنكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم
وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم

تعلقون) والآيات القرآنية في تحريم موالاة الكفار والدخول في طاعتهم أكثر من أن تحصر. ومن تدبر القرآن واعتقد أنه كلام الله منزل غير مخلوق واقتبس الهدى والنور منه وتمسك به في أمر دينه عرف ذلك إجمالاً وتفصيلاً.

قال جندب بن عبد الله رضي الله عنه : عليكم بالقرآن فإنه نور بالليل وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة، فإن عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك، فإن تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك. فإن المحروم من حرم دينه، والمسلوب من سلب إيمانه. فإنه لا فاقة بعد الجنة ولا غناء بعد النار، أن النار لا يستغنى فقيرها ولا يفك أسيرها، وهذه الطائفة الملعونة - الطائفة النصرانية - التي حلت في فنائكم وزحمتكم عن دينكم، وطلبت منكم الدخول في طاعتها، هم الذين نوه الله بذكرهم بالقرآن فقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)

وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إذا
تكد السّموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال
هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ،
إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد
أحصاهم وعدّهم عدداً وكنهم آتية يوم القيامة فرداً) وقال
تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله
ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد
سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض
وكفى بالله وكيلاً) .

فهل بعد هذا من غلظة وبيان وزجر وإنذار ، وهل
يشك بعد هذا من له فطرة وسمع ، وبصر اللهم إلا من
ركن إلى الدنيا وطالب إصلاحها ونسى الآخرة فهذا لا عبرة
به لأنه أعمى القلب مطموس البصر ، وقد أمرنا الله تعالى

أَنْ تَقُولَ لَهُمْ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) فِي قَوْلِهِ (اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) إِيْظْهَارٌ لِلْبَرَاءَةِ مِنْ دِينِهِمْ وَزَجْرٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِمْ ، لَقَدْ وَاللَّهُ لَعَبَ الشَّيْطَانِ بِأَكْثَرِ الْخَلْقِ وَغَيَّرَ فَطَرَهُمْ وَشَكَّكَهُمْ فِي رَبِّهِمْ وَخَالَقَهُمْ ، حَتَّى رَكَنُوا إِلَى أَهْلِ الْكُفْرِ وَرَضُوا بِطَرَائِقِهِمْ عَنْ طَرَائِقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ .

وَكُنَّا نَظُنُّ قَبْلَ وَقُوعِ هَذِهِ الْفِتَنِ وَتَرَادُفِ هَذِهِ الْمَحَنِّ أَنْ فِي الزَّوَايَا خَبَايَا ، وَفِي فَحُولِ الرِّجَالِ بَقَايَا ، يَغَارُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَيَبْذِلُونَ نَفْسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي الْحِمَاةِ لَدِينِهِمْ ، فَتَوَبَّوْا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ، وَارْجِعُوا دِينَكُمْ بِمُجَاهَدَةِ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ امْتَحَنَكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَابْتَلَاكُمْ بِقُرْبِهِمْ مِنْ أَوْطَانِكُمْ ، قَالَ تَعَالَى (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ،

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
 الكاذبين (وقد تعبدكم وأمركم بجهادهم وفرضه عليكم
) كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن
 تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو
 شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وقال تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
 والصابرين ونبلوا أخباركم) وقال تعالى : (يا أيها الذين
 آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم
 تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
 وأنفسكم) إلى قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً
 لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله؟
 قال الحواريون : نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني
 إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم
 فأصبحوا ظاهرين) وقال تعالى : (إن الله اشترى من
 المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله

فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

فأرشد من اشترى منهم نفوسهم إلى الوفاء بالتسليم، وحضهم على بيان ما لهم فيه من الربح الجزيل والفضل العظيم، وخاطب المقرين بالبيع الماطلين بالتسليم خطاباً بل عتاباً وتوبيخاً، يقرأ أبدأ في محكم التنزيل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنأقلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فامتع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) .

ثم حذّروهم عن الإصرار على المماطلة وتوعدّهم على التسوية بعد وجوب النفير، فقال سبحانه : (ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كل شيء قدير) .

فالواجب عليكم معشر الرؤساء والقادة من أهل السواحل

والبلدان اتفاق الكلمة بلزوم دينكم ومجاهدة عدوكم،
والنشمير للجهاد عن ساق الاجتهاد، والنفير إلى ذى العناد،
وتجهيز الجيوش والسرايا، وبذل الصلات والعطايا، وإقرار
الأموال لمن يضاعفها وينمّيها، ودفع سلع النفوس من
غير مماطلة لمشتريها، وأن تنفروا في سبيل الله خفافاً
وثقالاً، وتقوموا بالدعوة للجهاد أعداء الله ركباً ورجلاً،
وأن تتطهروا بدماء المشركين والكفار من أدناس الذنوب
وأنجاس الأوزار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن
ييدهم صاغرون) وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلوكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين) .

واحذروا من قوله (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول
الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا

يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاءاً بما
كانوا يكسبون).

ثم شدد عليهم العقوبة وقطع عنهم قبول المعذرة بقوله
(فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم
رضيتم بالعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) وقال (ولو
أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقمدا مع القاعدين) فاحذروا غاية الحذر
من سطوة الله ، حقيقة الدين هي المعاملة ، وسبيل اليقين
هي الطريقة الفاضلة ، ومن حرم التوفيق فقد عظمت
مصيبته واشتدت هلكته .

وأنتم تعلمون معاشر المسلمين ، أن الأجل محتوم ، وأن
الرزق مقسوم ، وأن ما أخطأ لا يصيب ، وأن سهم المنية
لكل أحد مصيب ، وأن كل نفس ذائقة الموت ، وأن

الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الرى الأعظم فى شرب
كؤوس الختوف ، وأن من اغبرت قدماه فى سبيل الله
حرّمه الله على النار ، ومن أنفق ديناراً كتب بسبعمائة ،
وفى رواية « بسبعمائة ألف دينار » .

وأن الشهداء حقاً عند الله من الأحياء ، وأن أرواحهم
فى جوف طير خضر تتبوا من الجنة حيث تشاء ، وأن
الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياهم ، وأنه يشفع فى سبعين
من أهل بيته ومن والاه .

وأنه آمن يوم القيامة من الفزع الأكبر ، وأنه
لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر ، وأنه لا يحس ألم
القتل إلا كمس القرصة ، وكم للموت على الفراش من
سكرة وغصة ، وأن الطاعم النائم فى الجهاد أفضل من
الصائم القائم فى سواه .

ومن حرم فى سبيل الله لا تبصر النار عيناه ، وأن المرابط
يمجرى له أجر عمله الصالح إلى يوم القيامة ، وأن ألف يوم

لا تساوى يوماً من أيامه ، وأن رزقه يجري عليه كالشاهد
أبدآ لا ينقطع ، وأن رباط يوم خير من الدنيا وما فيها ،
إلى غير ذلك من خصال الجهاد التى ثبتت فى نصوص
السنة والكتاب .

فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتب ومساعدة القائم
بها والانضمام إليه . والانتظام فى سلكه ، فترجموا بذلك
تجارة الآخرة ، وتسلموا على دينكم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ
« إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد فى سبيل
الله ، ساءط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى
دينكم » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « من غزا غزوة
فى سبيل الله ، فقد أدى إلى الله جميع طاعته ، فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر » قلنا : يا رسول الله ؛ وبعد هذا الحديث
(٢ - المجموعة المحمدية)

الَّذِي سَمِعْنَا مِنْكَ مَنْ يَدْعُ الْجِهَادَ وَيَقْعُدُ؟ قَالَ : « مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ، قَوْمٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا يَرُونَ الْجِهَادَ ، وَقَدْ أَخَذَ رَبِّي عِنْدَهُ عَهْدٌ لَا يَخْلُفُهُ إِلَّا عِبَادُ لِقِيهِ ، وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ أَنْ يَعْذِبَهُ عَذَابًا لَا يَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ » .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَامٍ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ أَوَّلِ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَلَى هَذَا الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ : مَا تَرَكَ قَوْمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَذْهَبَهُمُ اللَّهُ ، وَمَا تَرَكَ قَوْمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِمَقَابِهِ » .

وَفِي الْحَدِيثِ « مَنْ لَمْ يَفْزَ وَلَمْ يَحْدُثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ » .

فَهَذِهِ نَصِيحَةٌ بَذَلْنَاهَا لَكُمْ تَذَكُّرَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وَقَالَ (سَيَذَكِّرُ مِنْ يَخْشَى)

ومعذرة بين يدي الله عن السكوت ، لأن السكوت ليس
يعذر لأهل العلم (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتبينه للناس ولا تكتمونه) فلا تغتروا بأهل الكفر
وما أعطوه من القوة والعدة فإنكم لا تقاثلون إلا بأعمالكم ،
فإن أصلحتموها وصلحت وعلم الله منكم الصدق في معاملته
وإخلاص النية له أعانكم عليهم وأذهب وإنهم عبيده
ونواصيهم بيده وهو الفاعل لما يريد (فلا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس
المهاد) فعليكم بما أوجبه الله وافترضه من جهادهم ومباينتهم ،
وكونوا عباد الله على ذلك إخواناً وأعواناً ، وكل من
استطاع لهم ودخل في طاعتهم وأظهر موالاتهم فقد حارب
الله ورسوله ، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده
ومعاداته ، ولا تستنصروا إلا بربكم ، واركبوا الانتصار
بأهل الكفر جملة وتفصيلاً .

فقد قال ﷺ « إنا لا نستعين بمشرك » وهذه الدولة التي

تنتسب إلى الإسلام هم الذين أفسدوا على الناس دينهم ودنياهم ،
استسلموا للنصرانية ، واتحدت كلمتهم معهم ، وصار ضررهم
وشرمهم على أهل الإسلام والأمة المستجيبة لنبيها والمخلصة لربها .

فحسبنا الله ونعم الوكيل ، وما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت ، وإليه أنيب ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة في أصل الدين للشيخ إسحق رحمه الله

(الرد على من قال : لا نكفر لمعنى ، وإنما نقول فعله
شرك بنوعه من غير تكفير لفاعله) .

قال الشيخ إسحق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب رحمه الله : الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا
على الظالمين والعاقبة للمتقين . وأشهد أن لا إله إلا هو الذى
لا يستغاث فى الشدائد ولا يدعى إلا إياه ، فمن عبد غيره فهو
المشرك الكفور . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته ﷺ
وعلى آله وصحبه أجمعين ، أرسله الله رحمة للعالمين . فلا نبى
بعده ولا رسول .
أما بعد :

فقد بلغنا وسمعنا من فريق ممن ينتسب إلى الإخوان مؤثماً
بالشيخ محمد بن عبد الوهاب : أن من أشرك بالله وعبد الأوثان
لا يدخل فى الكفر والشرك بعينه ، وذلك أن بعض من

شافهني منهم بذلك سمع من بعض الاخوان : أنه أطلق الكفر على من دعا النبي ﷺ واستغاث به ، فقال له الرجل : لا تطلق الكفر فإن هذا وأجناسه لا يعبأون بمخالطة المشركين في الدين لهم في ديارهم ، وهو أيضاً جهى . وكانوا قد لفقوا لهم شبهات على أهوائهم يأتي بعضها في أثناء الرسالة ، وقد غروا بها بعض الرعايا من أتباعهم ومن لا معرفة عنده ومن لا يعرف حالهم ولا علم له بذلك ، لأنهم متحيزون عن الاخوان بأجسامهم وعن المشايخ بقلوبهم ، وهم متحيزون مستوحشون واستوحش منهم بما أظهروه من الشبه ، وبما ظهر عليهم من الكآبة وعند الفسقة المشركين ؛ وعند التحقيق لا يكفرون المشركين إلا بالعموم ، وفيما بينهم يتورعون عن ذلك ثم دبت بدعتهم وشبهتهم حتى راجت على من هو من خواص الإخوان ، وذلك بسبب ترك كتب الأصول وعدم الاعتناء بها ، وعدم الخوف من الزيغ ، وأيضاً رغبوا عن النظر في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ، ورسائل بنيه فإنها كفيلة بتبيين جميع ذلك جداً . كما سيمر بك .

ومن له أدنى معرفة إذا رأى حال الناس اليوم ، ونظر إلى المشايخ المذكورين تحير جداً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وذلك أن بعض الإخوان بحثه عن هذه المسألة فقال : نقول لأهل هذه القباب الذين يعبدها : فعملك هذا شرك وليس هو بشرك ، فانظر ترى واحداً ربك وسلّة العافية ، فهو من أجوبة العراقى التى رد الشيخ عبد اللطيف وكفر أهلها ، ومن بعض الطلبة من إذا سئلوا عن مستندهم فقال : نكفر النوع ولا نعين الشخص .

ومستندنا ما رأيناه فى بعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فإنه امتنع عن تكفير من عبدة الكواكب وعبدة القادر ، من الجهال لعدم من ينبهه ترى المعجب ، ثم سأل الله العافية وأن يعافيك من الحور بعد الكور .

وما أشبههم بالحكاية المذكورة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : أنه ذات يوم يقرر على أصل الدين وبتجاره رجل من جلسائه لا يسأل ولا يتعجب ، ولا يبحث حتى جاء بعض الكلمات التى فيها ما فيها ، فقال الرجل : ما هذه

كيف ذلك ؟ فقال الشيخ : قاتلك الله ذهب حديثنا منذ اليوم لم تفهمه ولم تسأل عنه ، فلما جاءت هذه السقطة عرفتها أنت ، مثل الذباب لا يقع إلا على القذر .

فنقول وله الحمد وله الثناء ونسأله السداد ، ولا نقول إلا كما قال مشايخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده في رده على العراقي ، وكذلك هو قول أئمة الدين قبلهم ، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن المرجع في مسائل أصول الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر ، وهو ما كان عليه الصحابة وليس المرجع في ذلك إلى عالم بعينه ، فمن تقرر عنده هذا الأصل تقرر ألا يدفعه شبهة وأخذ بشرايين قلبه ، هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه في بعض مصنفات الأئمة ، إذ لا مضموم إلا النبي ﷺ .

ومسألتنا هذه في عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه ، وأن من عبد مع الله غيره فقد أشرك بالشرك الأكبر الذي ينقل عن الملة هي أصل الأصول ، وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقامت على الناس الحجة

بالرسول وبالقرآن. وهكذا تجمد الجواب في مسائل الدين في ذلك الأصل عند تكفير من أشرك بالله، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ولا يذكرون التعريف في مسائل الأصول إنما يذكرون التعريف في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض المسلمين، كمسائل نازع بها بعض أهل البدع كالمرجئة أو مسألة خفية كالصرف والعطف، وكيف يعرفون عباد القبور وهم ليسوا بمسلمين فهو كافر مشرك بإجماع المسلمين إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالْحِجَاب الذين يكونون بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وإن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم لسكونهم أقرب إلى الملك من الطائب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء شبهوا الخالق بالخلق وجعلوا لله أنداداً. وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى وإن

هذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : إنها تماثيل
الأنبياء والصالحين ، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله ،
وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى ، إلى أن قال :
وأما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عليه المشركون والنصارى
ومن ضاهاهم من هذه الأمة ، فينفيا أهل العلم والإيمان ، مثل
أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء
حوائجهم ويقولون إنهم إن أرادوا ذلك قضوها ، ويقولون إنهم
عند الله كخوادم الملوك ولهم على الملوك إدلال يقضون به
حوائجهم ، فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك والله سبحانه قد نزه
نفسه عن ذلك . انتهى ملخصاً . فهذا الذي ذكره الشيخ رحمه
الله إجماع المسلمين على أن مرتكبه مشرك كافر يقتل هو الذي
يزعم داود البغدادي إنه جائز ، بل زعم أن الله أمر به وأنه معنى
الوسيلة التي أمر الله بها في قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا إليه الوسيلة) وزعم أن الوسيلة التي أمر الله بها أمر
إيجاب أو استحباب بطلب الحاجات ، وتقريب الكربات من
الأموات والغائبين ، وزعم أن الشرك هو السجود لغير الله فقط .

وأن دعاء الأموات والغائبين والتقرب إليهم بالندور والذباح ليس بشرك بل هو مباح . ثم زاد على ذلك بالكذب على الله وعلى رسوله وزعم أن الله أمر بذلك وأوجبه ولم يقتصر على دعوى إباحة ذلك ، بل زعم أن الله أمر عباده المؤمنين أن يقصدوا قبور الأموات ويسألوهم قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم ، فسبحان الله ما أجراً هذا على الافتراء والكذب على الله ، فلو أن إنساناً ادعى إباحة بعض صغائر الذنوب كأن يزعم أنه يباح للرجل تقبيل المرأة الأجنبية لكان كافراً بإجماع المسلمين ، وإن زاد على ذلك بأن قال : إن الله يحب ذلك بأن قال إن الله يحب ذلك ويرضاه فقد ازداد كفراً على كفره فكيف بمن زعم أن الله أباح الشرك الأكبر ثم زاد على ذلك بأن قال : إن الله أمر به وأحب من عباده المؤمنين أن يسارعوا إليه ، ما أعظم هذه الجرأة ، وكلام شيخ الإسلام في هذه المسألة كثير لا يخلو غالب مصنفاته من الكلام عليها .

وذكر رحمه الله عن بعض علماء عصره أنه قال : هذا من أعظم ما يئته لنا .

وذكر رحمه الله في الرسالة السنية ، لما ذكر حديث الخوارج قال : وإذا كان في زمن رسول الله ﷺ من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة ، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان قد يغرق أيضا ، وذلك بأمور منها الغلو الذي ذمّه الله ، كالغلو في بعض المشايخ مثل الشيخ عدى ، بل الغلو في علي ابن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح فـكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الآلهة ، مثل أن يدعو من دون الله ، بأن يقول : ياسيدى فلان أغثنى أو أجرنى أو توكلت عليك أو أنا في حسبك ، فـكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل. فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يمتقدون أنها ترزق وتدبر أمر من دعاها، وإنما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة .

وكلامه رحمه الله في هذا الباب كثير، وكذلك ابن القيم بالغ في إيضاح هذا الأمر ويبين بطلانه كقوله في شرح المنازل: ومنه: أي الشرك طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، فإن هذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يعلمك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً عن استغاثة به وسأله أن يشفع له. انتهى. وهذا الذي قال إنه أصل شرك العالم، هو الذي يزعم داود أن الله أمر به، تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً.

وقال ابن القيم في الهدى في فوائد غزوة الطائف: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعار الكفر والشرك، ولا يجوز الإقرار عليها بعد القدرة عليها البتة. قال: وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت. تعبد من دون الله، وكذا الأحجار التي تقصد بالتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، فلا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة.

الثالثة الأخرى، بل أعظم شركا عندها وبها والله المستعان. ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم أثبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم وضار المعروف منكراً والمنكر معروفًا والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء وتقلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر، بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة الحمدية بالحق قاعين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. انتهى.

فانظر قوله في المشاهد التي بنيت على القبور كونها

اتخذت أوثاناً وطواغيت ، وربما ينفر قلب الجاهل من تسمية
غير نبي أو رجل صالح وثناً ، وقد قال النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري
وثناً يعبد » فهذا الحديث يبين أنه لو قصد قبر النبي ﷺ بعبادة له
كان قاصده بذلك قد اتخذ وثناً فكيف بغيره من القبور .
وقوله رحمه الله كثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة
الأخرى ، بل أعظم شركاً عندها وبها صدق رحمه الله لما
شاهدنا في هذه الأزمنة من الفلج والشرك العظيم من كون
كثير من الفلاة عند الشدائد في البر والبحر ، يخلصون
الدعاء لمعبودهم ، وكثير منهم ينسبون الله عند الشدائد كما هو
مستفيض عند الخاصة العامة . وقد أخبر الله عن المشركين
والأولين أنهم يخلصون الدعاء له سبحانه وتعالى وينسبون آلهتهم ،
ونصوص القرآن في ذلك كثيرة كما قال سبحانه (فإذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وإذا مسهم الضر في البحر
ضل من تدعون إلا إياه) وقال (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب
الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل
إياه تدعون) فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون

وإذا مس الإنسان ضررٌ دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً. فهذا إخباره سبحانه عن الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ ينههم عن الشرك ويأمرهم بالتوحيد، وغالب مشركي أهل الزمان بعكس ذلك. وقول ابن القيم رحمه الله غلب الشرك على أكثر النفوس وسبب ذلك كله ظهور الجهل وقلة العلم، فهذا قوله فيما شاهده في زمانه ييلاد الاسلام، فكيف لو رأي هذا الزمان؟ وفي الحديث «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه» .

قال ابن مسعود: لا أقول زمان أخصب من زمان ولا أمير خير من أمير. ولكن بذهاب خياركم وعلماءكم فكيف لو شاهد من يقول: إن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات ويقول: إنما الشرك هو السجود لغير الله، كما قال ذلك داود البغدادي مشافهة لي فليزمه أن قصد المشركين الأولين لألهتهم كائنات والعزى ومناة. وكذلك هبل إذ طلب الحاجات منها وكشف الكربات والتقرب إليها بالنذور والذبايح، إن هذا ليس

بشرك إذا لم يسجدوا لها ، فياسبحان الله كيف يبلغ الجهل بمن
يتنسب إلى علم إلى هذه الفضيحة .

وقال ابن القيم رحمه الله : رأيت لأبي الوفا ابن عتيل فصلا
حسناً فذكرته بلفظه ، قال : لما صعبت التكليف على الجهال
والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها
لأنفسهم ، فسأت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال :
وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور وإكرامها
بما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج عليها وتقيلها وتخليقها ،
وخطاب أهلها بالحوائح وكتابة الرقاع فيها : يا مولاي أفعلى
كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشدة
الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر إقتداء بمن عبد اللات
والعزى ، وقولك : إن الشيخ تقي الدين وابن القيم يقولان : إن من
فعل هذه الأشياء لا عليه إنه كافر مشرك حتى تقوم عليه
الحجة الإسلامية من إمام أو نائبه فيصره ، وإنه يقال هذا الفعل
كفر وربما عذر فاعله لاجتهاد أو تقليد أو غير ذلك . فهذه الجملة
(٣ - المجموعة المحمودية)

أُتِي حَكِيَّتْ عَنْهَا لِأَصْلِهَا فِي كَلَامِهَا ، وَأُظِنَ اعْتِمَادُكَ فِي هَذَا عَلَى وَرَقَةٍ كَتَبَهَا دَاوُدُ وَنَقَلَ فِيهَا نَحْوَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْ اقْتِضَاءِ الْعَصْرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لِلشَّيْخِ تَقِي الدِّينِ لَمَّا قَدَّمَ عَنِيْزَةَ الْمَرَّةِ الثَّانِيَةَ مَعَهُ هَذِهِ الْوَرَقَةَ ، يَمْرُضُهَا عَلَى نَاسٍ فِي عَنِيْزَةٍ يُشَبِّهُ بِهَا وَيَقُولُ : لَوْ سَلَمْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي تَفْعَلُ عِنْدَ الْقُبُورِ شُرَكَاءٌ كَمَا تَزْعُمُ هَذِهِ الطَّائِفَةُ فَهَذَا كَلَامُ إِمَامِهِمْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ الَّذِي يَقْتَدُونَ بِهِ ، يَقُولُ إِنَّ الْمُجْتَهِدَ الْمُتَأَوِّلَ وَالْمُقَلِّدَ وَالْجَاهِلَ مَعْذُورُونَ مَغْفُورٌ لَهُمْ شَيْءٌ ارْتَكَبُوهُ ، فَلَمَّا بَلَغَنِي هَذَا عَنْهُ أُرْسِلْتُ إِلَيْهِ وَحَضَرَ عِنْدِي وَيَدْنَتْ خَطَاؤُهُ ، وَإِنِّهُ وَضَعَ كَلَامَ الشَّيْخِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَيَدْنَتْ لَهُ أَنَّ الشَّيْخَ إِعْمَا قَالَ ذَلِكَ فِي أُمُورٍ بَدْعِيَّةٍ لَيْسَتْ بِشُرَكَاءٍ مِثْلَ تَحْرِى دُعَاءِ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْضِ الْعِبَادَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ ، فَقَالَ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْبَدْعِ : وَقَدْ يَفْعَلُ الرَّجُلُ الْعَمَلُ الَّذِي يُعْتَقَدُهُ صَالِحاً وَلَا يَكُونُ طَالِماً أَنَّهُ مَنْهُىٌّ عَنْهُ فَيُثَابُ عَلَى حَسَنِ قَصْدِهِ وَيُعْفَى عَنْهُ لَعَدَمِ عِلْمِهِ . وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ . وَعَامَّةُ الْعِبَادَاتِ الْمَنْهُىِّ عَنْهَا قَدْ يَفْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ يَحْصُلُ لَهُ نَوْعٌ مِنَ الْفَائِدَةِ وَذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَشْرُوعَةٌ ثُمَّ الْعَامِلُ قَدْ يَكُونُ مُتَأَوِّلاً

عجتهداً مخطئاً مقلداً ، فيغفر له خطأه ويثاب على ما فعله من المشروع المقرون بغير المشروع . فهذا كلامه في الأمور التي ليست شركاً . وأما الشرك فقد قال رحمه الله : إن الشرك لا يغفر وإن كان أصغر . نقل عنه ذلك تلميذه صاحب الفروع فيه . وذلك والله أعلم لعموم قوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ مع أن الشيخ رحمه الله لم يجزم أنه يغفر لمن ذكرهم ، وإنما قال : قد يكون . وقد قال رحمه الله في شرح العمدة ، لما تكلم في كفر تارك الصلاة فقال : وفي الحقيقة فكل ردّ لخبر الله أو أمره فهو كفر دقّ أو جلّ ، لكن قد يعفى عما خفيت فيه خرق العلم وكان أمراً يسيراً في الفروع بخلاف ما ظهر أمره ، وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر ، يعني فإنه لا يقال قد يعفى عنه .

وقال رحمه الله في أثناء كلام له في ذم أصحاب الكلام قال : والرازي من أعظم الناس في باب الحيرة له نهمة في التشكيك . والشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده ،

لكن قل أن يثبت أحدٌ على باطل محض ، بل لا بد فيه من نوع من الحق ، وتوجد الردة فيهم كثيراً كالنفاق . وهذا إذا كان في المقالات الخفية . فقد يقال : لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن يقع ذلك في طوائف منهم في أمور يعلم العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً بُعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة غيره ، فإن هذا أظهر شرائع الإسلام ومثل أمره بالصلوات الخمس ومثل معاداة المشركين وأهل الكتاب ، ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر ونحو ذلك . وقولك إن الشيخ يقول : إن من فعل شيئاً من هذه الأمور الشريكية لا يطبق عليه إنه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الإسلامية ، فهو لم يقل ذلك في الشرك الأكبر وعبادة غير الله ونحوه من الكفر ، وإنما قال هذا في المقالات الخفية كما قدمنا .

يعنى فهذا لا يمكن أن يقال : لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة غيره هو ما نحن فيه وقال تعالى (رسلاً مبشرين

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وقوله رحمه الله : بل اليهود والنصارى يعلمون ذلك ، حكى لنا هن غير واحد من اليهود فى البصرة أنهم عابوا على المسلمين ما يفعلون عند القبور ، قالوا : إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن لم يأمركم فقد عصيتموه . وعبادة الله وحده لا شريك له هى أصل الأصول الذى خلق الله الجن والإنس لأجله قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي يعبدونى وحدى ، وهو الذى أرسل به جميع الرسل قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم لكل ما عبد من دون الله . وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وكل رسول أرسله الله فأول ما يدعوهم إليه هذا التوحيد قال تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قومى اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وإلى مدين أخاهم شعيبا

قال يا قومى اعبدوا الله ما لاكم من إله غير ه (فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهذا هو الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فمن زعم أن الله سبحانه يغفره فقد رد أمر الله سبحانه وحد العبادة وحقيقة طاعة الله فكل قول وعمل ظاهر وباطن يحبه الله فهو عبادة الله ، ففى كل ما أمر به شرعاً أمر بإيجاب أو استحباب فهو عبادة . فهذا حقيقة للعبادة عند جميع العلماء التى من جعل منها شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ومما يبين أن الجهل ليس بعذر فى الجملة قوله ﷺ فى الخوارج ما قال مع عبادتهم العظيمة . وهل يبق مع الشرك غمى والله تعالى يقول : لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط . (وقال : ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) وقال (إن الله لا يغفر أن يشرك به) إلى غير ذلك من الآيات . ولكن هذا المعتقد يلزم منه معتمد قبيح وهو أن الحجة لم تقم على هذه الأمة بالرسول والقرآن نعوذ بالله من سوء الفهم الذى أوجب نسيان الكتاب

والرسول ، بل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة والقرآن وماتوا على الجاهلية ، لا يسمون مسلمين بالإجماع ولا يستغفر لهم . وإنما اختلف أهل العلم في تعذيبهم في الآخرة .

وهذه الشبهة التي ذكرنا قد وقع مثلها أودونها لأناس في زمن الشيخ محمد رحمه الله ، ولكن من وقعت له يراها شبهة ويطلب كشفها . وأما من ذكرنا فإنهم يجعلونها أصلاً ويحكمون على عامة المشركين بالتعريف ويجهلون من خالفهم فلا يوفقون للصواب ، لأن لهم في ذلك هوى ، وهو مخالطة المشركين . ربنا لا نرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . الله أكبر ما أكثر المنحرفين وهم لا يشعرون . ونحن ذكرنا هذه المقدمة لتكون أدعى لفهم ما سيأتي من الحجج على هذه المسألة .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ، في الرسالة التي كتب إلى أحمد بن عبد الكريم صاحب الإحساء أحد الصالحاء ، أولاً قبل يفتن فنذكر منها شيئاً لمشابهة من ردنا عليه لصاحب الرسالة وهذا نصها : من عبد عبد الوهاب

إلى أحمد بن عبد الكريم سلام على المرسلين ، والحمد لله
رب العالمين .

أما بعد : وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت ،
وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته ، ثم ورد منك رسالة
تذكر أنك عثرت على كلام لشيخ الإسلام أزال عنك الإشكال .
فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام وعلى أي شيء يدل كلامه ،
على أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى
وسب دين الرسول بعد ما شهد به مثل سب أبي جهل ، أنه
لا يكفر بعينه ، بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن
فيروز وصالح ابن عبد الله وأمثالهما ، كفرًا ظاهرًا ينقل عن الملة
فضلاً عن غيرها . هذا صريح واضح في كلام ابن القيم وفي
كلام الشيخ الذي ذكرت أنه أزال عنك الإشكال في كفر
من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله ، ودعاهم في الشدائد
والرخاء وسب دين الرسول بعد ما شهد به ودان بعبادة
الأوثان بعد ما أقر بها ، وليس في كلامي هذا مجازفة بل أنت

تشهد به عليهم ، ولكن إذا أعشى الله القلب فلاحيلة فيه ، وإنما
أخاف عليكم من قول الله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا
فقطب على قلوبهم فهم لا يفقهون) والشبهة التي دخلت عليك
من أجل هذه البضیعة التي في يدك تخاف تضيع أنت وعيالك ،
إذا تركت بلد المشركين ، وشاك في رزق الله وأيضاً قرناء
السوء ، وأنت والعياذ بالله تنزل درجة درجة أو مرة في
الشك وبلد الشرك ، وموالاتهم والصلاة خلفهم . انتهى
كلامه رحمه الله تعالى .

فتأمل قوله في تكفير هؤلاء العلماء في كفر من
عبدالوثن الذي على قبر يوسف ، إنه صريح في كلام ابن القيم
رحمه الله تعالى .

وفي حكايته عن صاحب الرسالة وحكمه عليه بآية المنافقين
وأن هذا حكم عام ، وكذلك اليوم حال كثير ممن ينتسب إلى
الدين والعلم من أهل نجد يذهب إلى بلاد المشركين ويقيم
عندهم مدة يطلب العلم منهم ويجالسهم ثم إذا قدم على المسلمين .

وقيل : اتق الله وتب إلى ربك من ذلك استهزأ بمن يقول له ذلك ، ويقول : أتوب من طلب العلم ، ثم يظهر من أفعاله وأقواله ما ينبي عن سوء معتقده وزيفه . ولا عجب من ذلك لأنه عصي الله ورسوله بمخالطة المشركين فعوقب . ولكن العجب من أهل الدين والتوحيد ، لانبساطهم مع هذا الجنس الذين أرادوا أن يقرنوا بين المشركين والموحدين ، وقد فرق الله بينهم في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى في تلك الرسالة بعد ما ذكر كثرة من ارتد عن الإسلام بعد النبي ﷺ ، كالذين في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، حكموا عليهم بالردة بمنع الزكاة ، وكأصحاب علي وأهل المسجد الذين بالكوفة وبنو عبيد القداح ، كل هؤلاء حكموا عليهم بالردة بأعيانهم ثم قال : وأما عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية التي لبسوا بها عليك فهي أغلط من هذا كله ، ولو نقول بها الكفرنا كثيراً من المشاهير بأعيانهم ، فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت

عليه الحجة ، فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة ،
 فمن المعلوم أن قيامها ليس بمعناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل
 فهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بل إذا بلغه كلام الله
 وخلا عما يعذر به فهو كافر ، كما كان الكفار كلهم تقوم
 عليهم الحجة بالقرآن مع قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة
 أن يفقهوه ﴾ قوله ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين
 لا يعقلون ﴾ .

وإذا كان كلام الشيخ ليس في الردة بل في المسائل
 الجزئيات ، ثم قال : يوضح ذلك أن المنافقين إذا أظهروا
 نفاقهم صاروا مرتدين ، فأين نسبتك أنه لا يكفر أحدا بعينه ..
 وقال أيضا في كلامه على المتكلمين ومن شا كلهم لما ذكر
 من أنهم شيئا من أنواع الردة والكفر .

قال رحمه الله تعالى : وهذا إذا كان في المقالات الخفية
 فقد يقال إنه نخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ،

لكن يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم
المشركون واليهود والنصارى أن محمداً ﷺ بُعث بها وكفر
من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن
عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم ، فإن هذا أظهر
شعائر الإسلام ، ثم تجمد كثيراً من رؤسائهم ونعوا في هذه
الأنواع فكانوا مرتدين وكثيراً تارة يرتد عن الإسلام ردة
صریحة ، إلى أن قال : وبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة ،
كما صنف الرازي في عبادة البكواكب ، وهذه ردة عن
الإسلام باتفاق المسلمين . هذا لفظه بحروفه .

فتأمل كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين
ما نحن فيه في كفر المعين ، وتأمل تكفيره رؤسائهم فلانا
فلانا بأعيانهم وردتهم ردة صريحة ، وتأمل تصريحه بحكاية
الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام مع كونه من
أكابر أئمة الشافعية ، هل يناسب هذا من كلامه أن المعين
لا يكفر ولو دعا عبد القادر في الرجاء والشدة ؟

رسالة مفيدة

﴿ للشيخ محمد بن عمر بن سليم رحمه الله تعالى ﴾

﴿ في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي أتم علينا النعمة وأكمل لنا الدين ، أحمده سبحانه على نعمه المتتابعة كل وقت وحين .
 خصوصاً على نعمة الإسلام التي من لقي الله بها أنجاه ، وجعله يوم الفزع الأكبر من الآمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه الذين كانوا بأوامره مهتدين ، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين ومن اقتفى أثرهم على منهاجهم ، إلى أن ترث الأرض وأنت خير الوارثين .
 أما بعد : فقد قال الله تعالى في محكم القرآن (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال ﷺ

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ناصحاً ولعامة المسلمين فليس منهم » رواه الطبراني عن حذيفة رضى الله عنه .

فقد أوجب الله تعالى على عباده النصيحة وجعلها ديناً ، وجعل المؤمنين في توادهم وتراحهم كالجسد الواحد ، فترت يد من لم يتصف بذلك إيماناً ومدح المتواصين بالحق والصبر عليه ، وأخرجهم ممن خسر خسرانا مبيناً فقال تعالى (والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلى آخر السورة .

قال الشافعى : لو تفكر الناس في هذه السورة لكفهم . قال ابن القيم رحمه الله في عِدَّة الصابرين : وذلك أن العبد كماله بقوتين قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان والعمل الصالح ، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره ، وهو التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وآخية ذلك كله وقاعدته وساقه الذى يقوم عليه إنما هو الصبر ، انتهى ، وقد أمر الله

نبيه ﷺ أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فقال
 (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) الآية . وقال سبحانه
 (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فإذا كانت
 الدعوة إلى طريق النبي ﷺ وأتباعه . كما قال : أنا ومن اتبعني .
 فالواجب على كل من له معرفة بأمر الشرع أن يقوم بالوظيفة
 والدعوة إلى الله ، وإلى تلميم الناس بما يفهمهم بأن ينههم عما
 يضرهم في أصول دينهم وفروعه وقد أعطى الله نبيه ﷺ جميع
 المعاني الكثيرة في الكلمة الواحدة ، وربما جمع الدين كله كما
 في حديث أبي رقية عيم ابن أوس الداري رضي الله عنه قال :
 قال رسول الله ﷺ « الدين النصيحة ثلاثا قلنا : لمن يارسل الله ؟
 قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم
 في صحيحه .

قال ابن الصلاح : النصيحة لله : توحيده ووصفه بصفات
 الكمال والجلال ، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها ، وتجنب
 معصيته والقيام بطاعته ومحابه والحب فيه والبغض فيه ،

وجهاد من كفر به ، والنصيحة لكتابه . والإيمان به تعظيمه
وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته ، والوقوف مع أوامره ونواهيه ،
وتفهم علومه وأمثاله وتدبره والدعاء إليه ، وذبح تحريف
الغالين وطمع المخذلين . والنصيحة لرسوله الإيمان به وبما جاء
به والتمسك بطاعته وإحياء سنته وانتشار علومها ونشرها
ومعاداة من عاداها وموالاة من والاه ، والتخلق بأخلاقه
والتأدب بأدابه ومحبة آله وأصحابه ، والنصيحة لأئمة المسلمين :
معاونتهم على الحق وطاعتهم وتذكيرهم ونهيهم في رفق ولطف ،
ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم .

قال محمد بن نصر المروزي : النصيحة لأئمة المسلمين حب
صالحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكرامة
افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل .
وقال ابن الصلاح ، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى
مصالحهم وتعليمهم أمر دينهم وذنباهم ، ومجانبة الغش والحسد
لهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه . انتهى .

قال بعض العلماء : ومن تصحهم دفع المكروه والأذى عنهم وإكرام فقيرهم وتعليم جاهلهم ، ورد من زاغ منهم عن الحق بقول أو عمل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإن كرهوا محبته لإزالة فسادهم ، ولو حصل له بذلك ضرورة في دنياه .

كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله ، وأن لحى قرض بالمقاريض ، ومن المعلوم أن الله سبحانه ليس ضعيفاً إلى أحد ، ولكن ليلوكم أيكم ! أحسن عملاً ، وقد بين الله سبحانه في كتابه أن الاجتماع والتعاون على الحق هو عماد الدين ، ومن أعظم ما يتقرب العباد به إلى الله رب العالمين ، وقد جمع الله هذه الأصول بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته - إلى قوله - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ودلت هذه الآية الكريمة على أن المفلح والصلاح في الدعوة إلى طاعة الله والنهي عن معاصيه ،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ملاك الدين وجامع الخير ، وسبب حصول النعم واندفاع للنقم .

قال صاحب النصايح الدينية: وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام الأمر وصلاح الشأن كله ، وبإيهما لهما تعطل الحقوق وتعدى الحدود ويخمد الحق ويظهر الباطل ، والمعروف كل ما أمر الله به وأحب من عباده القيام به ، والمنكر كل شيء كره الله فعله وأحب من عباده تركه . انتهى .

قال البغوي في تفسير قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية . « ومن » صلة ليست للتبويض كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ولم يرد اجتناب بمض الأوثان . واللام في قوله « ولتكن » لام الأمر .

قال ابن النحاس في تنبيه الغافلين ، في باب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر : وبيانه أنه فرض كفاية .
 وقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
 بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقال تعالى (فلما نسوا
 ما ذكروا به أنجيناهم الذين يهون عن سوء) الآية . فبين
 سبحانه أن الناجي هو الناهي عن سوء دون الواقع
 والمداهن عليه ، وقال تعالى (المؤمنون والمؤمنات بعضهم
 أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية .
 والذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خارج
 عن هؤلاء المؤمنين .

وقال القرطبي في تفسيره : جعل الله الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر فرق بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على
 أن أخص أوصاف المؤمنين : الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر ، ورأسها الدعوة إلى الإسلام والقتال عليه . انتهى
 كلام القرطبي .

وروى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الشراب عن ورقاء

بنت أبي لهب رضى الله عنها قالت : « قيل يا رسول الله من خير الناس ؟ قال : أتقام لرب العالمين ، وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » .

وروى عن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أمر بالمعروف أو نهى عن منكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله » ذكره القرطبي في تفسيره وخرج البزار في مسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام : الصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، والحج سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، والجهاد في سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » .

وفي الصحيحين من جرير رضى الله عنه قال « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » فانظر كيف قرن ﷺ النصح الذى هو عبارة عن الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر بالصلاة والزكاة ، يتبين لك
عظم محلها وتأكد وجوبها .

وفي صحيح البخاري وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل القائم في حدود الله
والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم في
أعلاها وبعضهم في أسفلها » والحديث مشهور . فانظر كيف
كان الأخذ على أيدي المفسدين والإنكار عليهم ومنعهم عما
أرادوا سبباً لنجاتهم أجمعين . وفسر على هذا فإنما ضرب الله
ورسوله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ؛ وفي الحديث
المذكور « فإن تركوكم وما أرادوا هلكوا أجمعين » .

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « كنا نسمع
أن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه ، فيقول :
مالك إلى وما بيني وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت تراني
على الخطأ وعلى المنكر فلا تنهاني » والواجب على كل مسلم

أن ينصح أخاه ويهديه إلى صلاح آخرته ، وإن كان فيها خراب دنياه ، وعدوه من أرشده إلى نقص آخرته ، وإن كان فيها صلاح دنياه ، ولا شك أن من رأى أخاه على منكر ولم ينه عنه فقد أعانته بالتخيلة بينه وبين ذلك المنكر وعدم الاعتراض عليه ، وليس هذا من الدين في شيء . إذ لا يؤمن الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وإنما الدين النصيحة ، ومن رأى إنساناً يهوى في النار ولم ينصحه فإنما إثم عليه . فتبين بما قدمناه أن الساكت عن إنكار المنكر مع الإمكان شريك في الإثم يرد مع شريكه النار . اللهم بصرنا مهاوى الاغترار واحشرونا مع عبادك الأبرار ، فإنك ذو الفضل العظيم .

روى الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتسليمك على أهلك

فمن انتقص منهم فهو سهم من الإسلام يدهه ، ومن تركه
فقد ولّى الإسلام ظهره .

قال ابن النحاس بعد هذا الحديث : فانظر أيها الأخ
إلى هذا السهم من الدين ، وقد تركه أكثر المسلمين
وأصبحوا فيه مداهنين ، لا يلتفتون وجوههم إليه ولا
يعولون في دينهم عليه ، كأنهم لا يستلون ، فإن الله وإنا إليه
راجعون .

وقال في موضع آخر : وألقى الشيطان في قلوب الجاهلين
أنه لا يطالب أحد بغير عمله يوم الدين ، وصار إنكار المنكر
زلة لا يثبت عليها إلا أزجل الرجال ، فمن أنكر قيل :
ما أكثر فضوله ، ومن داهن قيل : ما أحسن في العشرة
معقوله . فعمّت الخطوب المظالم ، إذ لم يبق من لا تأخذه
في الله لومة لائم .

وقال رحمه الله في معنى قوله تعالى (عليكم أنفسكم

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (الآية . أى بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال سعيد بن المسيب : وقد جاء عن أبي عبيد أنه قال : ليس في كتاب الله آية جمعت بين الناسخ والمنسوخ في غير هذه . قال بعض أهل العلم : الناسخ منها إذا اهتديتم . والهدى هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال ابن المبارك رحمه الله في قوله (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) هو خطاب لجميع المؤمنين ، أى عليكم دينكم كقوله تعالى (تقتلون أنفسكم) فكأنه قال : ليأمر بعضكم بعضاً وينهى بعضكم بعضاً ، فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب .

وقد روى عن سعيد بن جبير . وقال جابر بن زيد في الآية « يا أيها الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوايب ، عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدين ، لا يضركم ضلال الناس إذا اهتديتم » .

قال : وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار : سفهت آباءنا وفعلت وفعلت . فأنزل الله هذه الآية بهذا السبب ، وقال سعيد بن جبير : هي في أهل الكتاب . وقال مجاهد : هي في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم . يذهبان إلى أن المعنى : لا يضركم كفر أهل الكتاب إذا أدوا الجزية .

وقال المهدي : هي منسوخة بالأمر المعروف والنهي عن المنكر . والأقوال في ذلك كثيرة ترجع إلى ما ذكرنا ، ولا نعلم أحداً من العلماء ذهب إلى أن المعنى : عليكم أنفسكم لا يضركم أن تأمروا بالمعروف ولا تنهوا عن المنكر ، لأن ضلال غيركم لا يضركم . معاذ الله أن يذهب إلى هذا أحد غير الجملة العوام الهجج الرعاع أتباع كل ناعق ، إذا أمرت أحدهم بالمعروف أو نهيته عن المنكر قال : قال الله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتدتم) على غير تأويلها . كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وما علم المسكين أن شؤم المعصية وعقوبتها في

الدنيا والآخرة ، تم المداهن الذي لم ينكر المنكر والذي أنكر بقدر استطاعته ، ولم يغير المنكر . فالظاهر أن العذاب يعمه في الدنيا والآخرة ، لما في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً أنه قال : « إذا أنزل الله سطوته بأهل نعمته وفيهم الصالحون فيصابون معهم ثم يعثون على نياتهم » ولا يسمى المرء صالحاً إلا إذا أنكر بحسب وسعه ، وأما من داهن ولم ينكر مع استطاعته فإنه يصير مع الفاسقين لامن الصالحين ، ولهذا لعن النبي ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، وقال « هم في الوزر سواء » رواه مسلم ، فأخبر النبي ﷺ أن هؤلاء الأربعة سواء في الإثم ، لأن الكاتب والشاهد اطلعا على هذا المنكر ولم ينكرا بل ساعداه عليه فكان إثمهم كإثم الآكل ، وفسقهم كفسقه ، فلا جرم أنه يعمهم العذاب في الدارين ، وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

وخرج الأصبهاني رضي الله عنه في الترغيب والترهيب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها

الناس مُرموا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يقرب أجلاً ، وإن الأبحار والرهبان واليهود والنصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على ألسن أنبيائهم ثم مُمِثُوا .

قال ابن النحاس : قلت أرشد النبي ﷺ بهذا الحديث الناس أجمعين ، وأمرهم أن يقدموا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يلتفت أحد منهم إلى ما يليقه الشيطان عنده من الخوف والجزع ، وتقدير وقوع المحذور من القتل والضرب ، وأنه أيضاً لا يلتفت إلى ما يوسوسه له في قوله : إنك إذا اعترضت على هذا الظالم وأنكرت عليه قطع رزقك وعزلك عن منصبك ، وأخذ مالك ومحو هذا : فإن هذه التقديرات كلها في الحقيقة وساوس من الشيطان ليضلّه عن سبيل النجاة ويحشر يوم القيامة مع العصاة . فالواجب على المرء إذا وقع بكل حركة وسكون

أن يعلم أن الرزق مقسوم ، كما أن الأجل محتوم .

وقد قال النبي ﷺ لابن عباس : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك بشيء قد كتب الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتب الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » فإن من آمن بهذا وصدق التصديق الحقيقي وعمل ليوم الحساب ، وأقبل على أمر ربه رب الأرباب . فحاز من الله جزيل الثواب ، وفاز عنده بحسن المكآب ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . كل هذا كلام ابن النحاس رحمه الله .

قال ابن رجب رحمه الله : وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول : أنا لا أتولى القضاء إلا لأستعين له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله ، ويتحملون في تنفيذ أمر الله غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك ، فإن المحب إنما يثلثذ بما يصيبه من الأذى في رضى محبوبه ، كما قال

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز في خلافته : إذا أحرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل ، يا أبت لوددت أنه لو غلت بي وبك القدور في الله عز وجل انتهى .

وتقدم قول بعض السلف : وددت أن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله ، وأن الحمى قرّض بالمقاريض .

قال ابن النحاس : وهذا من عادة السلف رضى الله عنهم ، التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهج وإذهاب الأموال ، متعرضين بذلك لأنواع المحن والعذاب ، موطين أنفسهم على الهلاك ومستحلين ما نالهم من المصائب ، صابرين عليه في ذات الله ، ومحتسبين له عنده .

قال تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وأوصى بعض السلف بنيه فقال : إذا أراد أحدكم أن يأمر

بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر، وإيثاق
 بالثواب من الله، ومن وثق بالثواب لم يجد مسّ الأذى، وأما
 كان الله يحفظ أكثرهم من بأس الصائلين ببركة إخلاصهم
 وحسن مقصدهم وقوة توكلهم وابتغاءهم بكلامهم وجه الله عز
 وجل، وذكر ما جرى عليهم وحام الله أشياء كثيرة إلى أن
 قال: ومن أخلص لله النية أثر كلامه باللوب القاسية فليتها،
 وفي الألسن الذرية فقيدها وفي أيدي السلطنة فمقلها، وأما
 في زماننا هذا فقد تيد الطمع ألسن العلماء فسكتوا، إذ لم تساعد
 أقوالهم أفعالهم، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم، فإذا نظرنا
 إلى فساد الرعية وجدنا سببه فساد الملوك، وإذا نظرنا إلى فساد
 الملوك وجدنا سببه العلماء والصالحين، وإذا نظرنا إلى فساد
 العلماء والصالحين وجدنا سببه ما استولى عليهم من حب المال
 والجاه والثناء، وانتشار الصيت بإفناذ الحكمة ومداهنة المخلوقين،
 وفساد النيات في الأقوال والأفعال، وإذا أراد واحد منهم
 أن ينكر على واحد من الرعية لم يستطع ذلك، فكيف يستطيع

الإسكار على الملوك والتعرض للمهالك ومفارقة ما استولى على قلبه من حب المال والجاه ، اللهم استر فضاءنا وتول مصالحنا وخذ بأزمة قلوبنا إليك واستعملنا فيما يرضيك يا أرحم الراحمين .

قال : وقال الله تعالى ﴿ لولا ينهام الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ﴾ معنى لولا ينهام فلينهام الربانيون علماء النصارى ، والأخبار علماء اليهود . قاله الحسن .

وقال القرطبي : وبخ الله سبحانه وتعالى علماءهم في تركهم نهيهم لبئس ما كانوا يصنعون ، كما وبخ من يسارع في الإثم . قال : ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر ، والآية توبيخ العلماء في تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتالله إنهم أهل لكل توبيخ وأهل لكل تشديد ، فأتى يصلح الناس والعلماء فاسدون ؟ أم كيف ينزجر الناس والعلماء مرتكبون ، أم كيف تعظم المعصية في قلوب الجاهلين والعلماء بأقوالهم وأفعالهم يهونونها ؟ أم كيف يرغبون في

الطاعة والعلماء لا يأتونها ؟ أم كيف يقفون عند الحدود والعلماء
يتعدونها ، أم كيف يتزكون المنكرات والعلماء يرونها فلا
ينكرونها . أم كيف يتورعون عن الشبهات وهى أطيب جهات
العلماء التى يأكلونها ، بل أنواع الحرام لا يأتونها ، وأوامر الورع
لا يأتونها ، ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، واعوجوا فاعوج
الناس إلا النزر القليل ، لأن الناس تبع لعلمائهم كنظام العود
القائم إن استقام استقاموا ، وإن مال فى المأثم مالوا . ولهذا
كان العالم الذى لا يعمل بعلمه أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، لأنه
ضل بعد علمه وأضل الناس ، فكان شرهم مأب . اللهم اصلح
علماءنا لتصلح أحوالنا بعلماءنا ، ووقفنا للعمل بعلموا ليفلح
الناس بفلاحهم . وخذ بنواصيرهم وأهدبهم الخلق ووقفهم للطاعة
وبصرهم بالحق ، فإن الهداية والنواية إليك . وأنت المستول
فى كل خير ، ولا تشك إلا عليك يا أرحم الراحمين .

وقال رحمه الله فى موضع آخر ، لما ذكر أنواعاً من
أنواع المحرمات ، قال : ومنها ما يفعله بعض الطوائف كبيع

السكران والتين والجيز ونحوه، من أنه يبيع المرأة بعد أن يدخل إليها في دهليز البيت، وهذا منكر يجب منعها منه، لأن الخلوة بالأجنبية حرام بالإجماع عليه وعليها، وكذا دخول السقا والطحان والمزين وهي وحدها وهو بدعة مكروه ومنكر شنيع، يجب إنكاره والمنع منه على كل قادر من رجل وامرأة. وأطال الكلام في ذلك إلى أن قال: وكثير منهن لا يحتجبن عن صناع زوجها وأجرائه وغلمانها، ويدخل عليها زوجها فيراها تحدث صانعه والبياع فلا ينهاها، ولو قيل له في ذلك لقول: إني لا أخاف عليها، كأن الله ما حرم عليها إلا الزنا، وهذا ساقط المروءة فاسق مردود الشهادة، وقد يدخل فيجد السقا في بيته يصب الماء والمرأة وحدها في البيت تقدم إليه الآنية، وربما رأى السقا في الطريق فيقول له: اذهب إلى البيت فصب لهم الماء، مع علمه أنه ليس في البيت غير زوجته أو ابنته أو أخته، وكل ذلك حرام منكر يجب على كل قادر إنكاره، ولو كان الرجل لا يرى شكها ولا يحدسها

(٥ - المجموعة المحمدية)

لكانت خلوة بها في بيته حراماً، فكيف والنساء في الغالب
 يباسطنه ويحادثنه ويضاحكنه، ويمازحنه، وتسأله عن أحواله
 فنسأل الله العافية، ونعوذ به من القتن ما ظهر منها وما بطن،
 والمنكرات من هذا النوع كثيرة جداً، وفيما ذكرنا كفاية إن
 شاء الله . انتهى

قال بعض العلماء : ومن نصحهم دفع المكروه والأذى
 عنهم وإرشاد ضالهم ومواساة فقيرهم وتعليم جاهلهم . ورد من
 زاغ منهم عن الحق ، بقول أو عمل وأمرم بالمعروف ونهيم
 عن المنكر ، وإن كرهوا محبته لإزالة فسادهم ، ولو حصل له
 بذلك ضرورة في دنياه ، كما قال بعض السلف : وددت أن
 الخلق كلهم أطاعوا الله ، وأن لحى قُرُص بالمقاريض ، ومن
 المعلوم أن الله سبحانه ليس محتاجاً لأحد، ولكن ليبلوكم أيكم
 أحسن عملاً . وقد بين الله في كتابه أن الاجتماع والتعاون على
 الحق هو عماد الدين ، ومن أعظم ما يتقرب به العباد إلى رب
 العالمين ، وقد جمع هذه الأصول بقوله تعالى (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله حق تقاته - إلى قوله - واتكبن منكم
أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأوائك هم المفلحون) ودلت هذه الآية الكريمة أن الفلاح
والصلاح في الدعوة إلى طاعة الله، والنهي عن معصيته والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ملاك الدين وجماع الخير
وسبب حصول النعم واندفاع النقم.

وفي هذه الصورة كفاية، والله يقول الحق وهو
يهدي إلى السبيل.

وقال في موضع آخر: اعلم أنه كما يحرم النظر إلى كل
شيء من بدن الأجنبية، فكذا يحرم عليها النظر إلى كل شيء
من بدنه

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: سواء كان
نظره ونظرها بشهوة أم لا، قال بعض أصحابنا: لا يحرم
نظرها إلى وجه الرجل بغير شهوة، وليس هذا القول بشيء.
انتهى.

وروى أبو داود وصححه عن أم سلمة رضي الله عنها
 قالت : « كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة ، فأقبل
 ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال : احتجبن
 عنه ، فقلنا : يا رسول الله ، أليس أعمى ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ
 أعمى وإن أنما ألسما تبصرانه ا » .

قال في روضة المحبين : قال ابن عباس : الشيطان من الرجل
 في ثلاث : في بصره ، وفي قلبه ، وفي ذكره ، ومن المرأة في
 ثلاث : في بصرها ، وفي قلبها ، وفي عجزها ، إلى أن قال :
 فإن النظرة باب الشهوة الحاملة على مواجهة الفعل وتحريم الرب
 وسرعة هتك حجاب مانع للوصول متى هتك الحجاب لم
 يصبر على المحذور ، ولم تنف نفسه عند غاية ، فإن النفس في
 هذا الباب لا تقنع بغاية

هذا آخر ما وجدته من هذه النسخة العجيبة والله أعلم .
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(مرثية الشيخ محمد بن إبراهيم في عمه
 الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف)

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
 مما قاله الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، يرثي
 بها شيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام ، بحر العلوم الزاهر ،
 وبدر سما المجد الزاهر ، الإمام العالم العلامة بقية أهل
 الاستقامة ، الشيخ عبد الله بن الشيخ الإمام عبد اللطيف بن
 شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، رحمهم الله
 تعالى :

على الشيخ عبد الله بدر المحافل

نزيق كصوب الغايات المواطيل

دموعاً على الخدين تجري بعبرة

ولوعة محزون مهاج البلابل

فقد حق أن العين يهراق ماؤها
 وتسكب دمعاً بالضحى والأصايل
 وإن لك بدي أن تذوب وينطوي
 فؤادي على حزن به متواصل
 وللأنس أن يزور عني جانباً
 فإني مصاب القلب مذكي الغلائل
 فما مرنا يوم فضيع على الوري
 كيوم وفاة الشيخ زاكي الشمايل
 فأعظم به مني فادح جل خطبه
 بل الكل مفجوع مصاب المقاتل
 ويالك من رزى به انبت جلانا
 وداهية من قاصمات الكواهل
 ويالك من نقص عظيم وثلمة
 وهدة لسور الدين صاف المناهل
 فهل أحد يرجى لسد اثلامه
 وفرجته هيئات ذا غير حاصل

فما أم بكر قد أضلته يومها : تحن على فقدانها بالمنازل
بأعظم منى لوعة ومصيبة

لأن قيل مات الشيخ جم الفضايل
هو العالم النحرير والجهيد الذي

يبين الهدى في مشكلات المسائل
هو الناصح البذل في النصيحة وسعه

وغايته كي يُنتهى عن أباطل
إمام لعمرى عارف أهل وقته طيب زمان ماله من مماثل
تقى نقي حازم ذو رزانة

وثابت جأش في اشتداد النوازل
حليم ذكي ذو دهمي وسماحة وذو خلق زاك وحسن شمائل
فقيه نبيه ناسك متورع

وذو نصف في أمره غير مائل
مهيأ إذا ما جثته ذو تبسم وذو شبه بالسالفين الأماثل
قفى أثرهم بالصالحات ونصرهم

بدين الهدى العالى على كل طائر

إليه تشد اليغمات وتنتطى

ظهور الفلامن شامعات المنازل

ومولا لأرحام وإن قَطَعَتْ له

صفوحاً عن الزلات من جهل جاهل

عفواً عن الجاني عليه وجارم

وعن فائل من عرضه أى نائل

وقد كان شمساً للأنام منيرة وكهف العمرى للهداة الأفاضل

وكان شهاباً محرقالندوى الردى وأجناد إبليس اللعين المحتال

يرد على ذى الابتداع ابتداعه ويثنيه مغلولاً على غير حاصل

وسيفاً على الكفار قد سلّ نصله

يفلق من هماماتهم كل طائل

من الترك والأرفاض أخبت شيعة

وعبادة الأوثان أهل الغوائل

وجهمية فى غيرهم من طوائف

وأحزاب كفر قد تحاموا لباطل

وقد كان رذماً دون كل كريهة

تنوب شجى فى حلق كل ماحل
وقد كان قصداً للمفقات ومعتداً
ووالد أيتام وغيث أرامل
إذا منصف يوماً تأمل حاله
وبهجته للارتياح لنائل
تيقن أن الشيخ قد أحرز العلا

بأجمعها سبحان مولى الفضائل
وما قلته من زاكيات خصاله
فوالله نرأى من أقل القلائل
وشهرته تكفى وأخباره التى
يسار بها فى الظاعنين ونازل
فباعين سحى أدمعاً بعد أدمع

على وجناتى واستمرى وواصل
سأبكيه جهدى ما حييت بحرقة

ويبكيه غيرى من شريف وخامل
ويبكيه أصل الدين قطب رضى الهدى

ويشجو على تقريره فى المحافل

ونشر له من بعد لف يبين ما
أراد به الأعلام من كل فاضل
ويبكي فروعا طال ما كان موضحاً
لمرجوحها من راجحات المسائل
ويبكيه حقاً كل صاحب سنة من العلماء العاملين الأمثال
ويبكيه طلاب العلوم بلوعة وأعينهم كالمستهل بوابل
على مجلس ينتابه كل مبتغ
لدين الهدى من استماع وسایل
ومن حافظ تقريره بفؤاده وآخر بالأفلام راوٍ وناقل
ومن قارئ ما يتغنى من مصنف
ولا سيما الأصل المتنافي لباطل
وكتب حديث كالبخاري ومسلم
وغيرهما من أمهات الدلائل
فكان لعمري جنة قد تزخرت
وقد أدنبت منها القطوف لنائل

فهل عوض منها فنقطف مثل ما قطفناه منها عاجلا غير آجل
ويا ليت شعري أننى كنت واجداً

كمجلسه يوماً فأروى غلائي
فهيئات هيئات انقضت وتصرفت

لياليه بالحسنى وجم الفواضل
جزاه إله الناس عنا بمحنة وأسكنه الفردوس أعلى المنازل
وأخلفه بالخير فى عقب وفى عشيرته والله مولى الفضائل
وأبقاهم دهرأ يذبون جهنم

عن الملة السمحا برد الأباطل
ووقفهم للصالحات فإنه

قريب لداع مستجيب لسائل
وأبقى إمام المسلمين موقفاً

عزيزاً لتنفيذ الهدى فى القبائل
وأحيا لنا أשיاخنا أنجم الهدى

لإرشاد غاو بل وتعليم جاهل

وأختم نظمى بالصلاة مسلماً
على أحمد ما أنهل شؤباً بوابل
وآل وأصحاب وتابعهم ومن
يسير على منهاجهم غير مائل

تمت بحمد الله سنة ١٣٤٣



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهذه أيضاً منظومة في وصف أهل الحق والإيمان ،
 وحال أهل الزيغ والطغيان ، وإن الإسلام لا يزداد إلا غربة
 وأمله قلة في كل زمان ومكان ، أنشأها صالح بن سالم لما رأى
 ذلك بالعيان ، وقد تغزل فيها . وقد سبقه إلى هذا التغزل
 كثير من المتكلمين بالنظم ، منهم ابن القيم رحمه الله في أول
 الكافية الشافية ، فقال :

حوراء زارتنى فطال تجلدى حذراً عليها من عيون الحسد
 خلت الهلال جبينها قد لاح من

بين السحاب ذات فرع أسود
 نظرت بطرف فاتر أهدابه
 تزرى السهام وليس ذاك بأرمد
 والثغر ذو ظلم قد ابتسمت به
 فرضابه يحكى السلاف به مسجد
 وتجيل مسواك على رتلٍ بدا
 فسألتها في صورة المتعبّد
 من أرض طيبة من مهاجر أحد
 ممن فقالت إننى من بلدة
 قد أحدثوا في الدين مالم يعهد
 من معشر فيها بفاسد رأيهم

من رفعهم فوق القبور مشاهداً وصلاتهم أولى بهما من مسجد
 هذا إذا ما أزمة أزمّت بهم لم ياجتثوا إلا لصاحب مشهد
 ويرون ذبحاً والنذور لأهلها ودعاءهم أهل البقيع الفرقد
 من أفضل القربات عند شيوخهم

والسبق للاجى لها المتردد
 ويرون أعياد القبور ووردهم شبه النبيح أو قراءة مؤلّد
 وإذا ذكرت الآي أو أثر آتى لمزوك للمز المنكر المتعبد
 فخرجت أطلب رفقة قد آثروا

نص الكتاب ونص شرع محمد
 فقدمت مكة والعراق ومصر والشام المبارك رغبة في المرشد
 فأتاح لي رب العباد بفضلته رجلا يرى فرضاً هداية مهتد
 قال اقصدى نجداً بها أهل لها لم تسمعني منهم ندى ياسيدي
 فقدمتها وارتحت في عرساتها جذلانة من بعد قطع الفدود
 فيها أناس كان من ديدانهم

حب الرسول وحب كل موحد

لم يشركوا بالله شيئاً إنما

فطروا على التوحيد مذر ضعوا الشدى

ويرون أن من الضلالة من يزر قبراً ليسأله الشفاعة في غد

أو جلب منفعة ودفع مضرة هذا المعنى في الجحيم مخلد

ويرون تسوية القبور وهدها بماول قد باشروها باليد

سيان عندهم النبي وغيره في ذا المقام وكل شخص ملحد

حاشا الرسول وصاحبيه فإنهم

قد خصصوا هذى مقالة مهتد

والافتداء بهم و فحتم لازم ويشفعون وهذه لم تجحد

ويرون منع مسافر ليدارهم أهل الشرك للسكنى وللمترده

بل قروا بأدلة معلومة حتى يصرح بالعداوة يبتد

فيها ذو الأشرار مع زوجاتهم والقلب يبغضهم بغير تودد

أو ليس قد نفت المجادل عنهم الإيمان يا من يستفيق ويهتد

هذا وكم آية نزلت بذا أو من حديث قد أتاننا مسند

هى فى الورى مشهورة معلومة إلا على أعمى البصيرة مفسد

أَوْ مَنْ يَقْلُدُ فِي الْأَصُولِ مَشَائِخًا

كَانُوا رِمَادًا فِي الْقُبُورِ الْهَمْدُ

في جيده غل من التقليد لا
يلوى على نص صريح مرشد
ويرون مع تجريد توحيد
تجريد سنة ذى الفضائل أحد
مثلا زمان كل نوع منهما
لقسيمه شرط بذات فتقيد
هذى عقيدتهم تلقوها عن
الحبر التقي الشيخ أطيب محتد
ذى المنقبات الغر والشيم التي
يفنى الزمان وذكرها لم ينفد
درجوا على هذا جميعا ما بهم

من شذ عن هذا السبيل الأوحده

فأجبتها أن الذين عهدت في
أقطار نجد في الزمان الأبعد
قد أقفرت منهم ديار بعد ما
عمرت بهم فالربع صافي المورد
بالله قومي فاندبى زمناً مضى

وأذرى الدموع الجامدات وبدد

فالدار ليست دار ههنا كيف لا

والدين في نقص بغير تزود

وتبدلت بمعاشرهم يدعو
لكنهم ما حققوها مثل ما
ومن أدعى تحقيقها في عصرنا
بل ينسبون له شنايع لم تكن
من بدعة وضلالة مذمومة
يأليتهم رفعوا بنص نبهم
لكنهم قد أعرضوا وتموضوا
والله ما خلق العباد لجمعها
أو أن يكون المال أكبرهم
لو كان يدري العبد أن مقامه
وجيم أمواله وقصوره
ذو غربة بين المقابر فوقه
رصب عليه جنادل من بعد ما
وأنيسه الأعمال في ظلماته
أولا فإن مقامه في حفرة

ن طريقة الشيخ الذكي الأجد
سلف الأولى من كل هادامته
يرمونه بالمعضلات النكد
زوراً وهذا منهموا بتعمد
أو خارجي في الشريعة ملحد
رأساً وهم بالحق أهل تقيد
بالدين دنيا والهدى بتمرد
أو للتنافس فعل طاغ معتد
أبدا يروح له الزمان ويغتدى
فيها قليل ما فتى بمخلد
من غير شك في الرواح أو الغد
أطباق ترب للثرى متوسد
يختال في عال الثياب ويرتد
إن كان من أهل النعيم السرمد
فيها لهيب النار ذات توقد
(٦ - المجموعة الحمديّة)

لو كان للعبد يقين صادقُ فيما ذكرت رأيته في المسجد
أو مجلس يدعو إلى معبوده جهرًا وينشر سنة أحمد
ولربما قد هام مع وحش الفلا من شدة الشوق الذي لم يعهد
فاعذره يا من لم يذق ما ذاقه إن ذقت ما قد ذاقه فلتحمد
هذا وأوصى كل عبد صالح بوصية إن حل فيها يسمد
إن يستقيم على صراط إله قولاً وفعلاً مع جنان مهتد
ومداره تجريده التوحيد مع تجريده لنصوص شرع محمد
وتدل يا هذا علامات على

من يدعى هذا الطريق الأرشد
منها وأعظمها فخشية ربنا سرًا وجهرًا في الرواح وفي الغد
وكذا قبول الحق ممن قاله أكرم بها من خصلة لم توجد
في غالب الناس الذين عرفتهم والمحنة العظمى من المسترشد
أما التعصب فهو داء تقال ما كان بين معاشر في محشد
ألا تناكرت القلوب وأدبرت

وتبدلت بعد البياض بأسود
وكذاك منها ذكره لإلهه فلسانه رطب بلهجته ندى

من حب شيئاً كان يكثر ذكره

ما سابق للقوم غير مفرد

والزهد في الدنيا فامر شاهد

وملاكة الورع الصدوق فن يرد

ودعاؤنا في وقت كل إجابة

أن ينصر الدين ويجمع شملنا

ونسكون من أنصار دين نبيه

ثم الصلاة مع السلام جميعه

وعلى القراية والصحابة كلهم

لمحبة الأخرى بغير تردد

تحقيق ما قد قلته فلا يرشه

لا سيما في كل عرصة مسجد

وكذلك بمنحنا طريقة من هد

وبنصره في كل وقت نهتد

أبدأ على خير الأنام محمد

أهل الفضائل والمقام الأحمد



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ صالح بن سالم رحمه الله تعالى في غرابة الإسلام
 وفضل الغرباء ، وأن الإسلام لا يزداد إلا غربة ولا يزداد
 أهله إلا قلة في زمان .

أقول وأولى ما يرى في الدفاتر
 وأحسن فيض من عيون المحابر
 هو الحمد للمعبود والشكر والتنا
 تقدس عن قول الغوات القوادر
 وجلّ عن الأنداد لأرب غيره
 وعن شافع في الابتداء أو موازر
 وصلى على من قام لله داعياً
 وشيد أعلام الهدى الشعار
 وأوضح دين الله بعد ما سفت
 عليه السواني في القرى والجزائر

وعادا ووالى فى رضى الله قومه
 ولم يشنه عن ذاك صولة قاهر
 محمد المبعوث للناس رحمة
 نذاراته مقرونة بالبشائر
 وبعد فإن تعجب لخطب تبليت
 لفادحه أهل النهى والبصائر
 فلا عجبا يوم من الدهر مثل ما
 أناخ بنا من كل باد وحاضر
 وما ذاك إلا غربة الدين يالها
 مصيبة قوم من عظام الفواقر
 ترى أهلها مستضعفين أذلة
 فما بين طمان عليهم ونافر
 ومستهزء منهم فينفض رأسه
 ويرمونهم شُرر العيون النواضر
 وعاداهم من يدعى العلم والحجى
 وكل خليل أو قريب مصاهر

فما شئت من شتم وقذف وغيبة
 وتنقيصهم في كل ناد لفاجر
 وأنهموا في العالمين خوارج
 إذا الشرك فيما بينهم كالكبائر
 تعاملوا على هذا جميعاً واجلبوا
 وما راقبوا فيهم عليم السرائر
 وأكبر من هذا وأعظم فرية
 موالاة أهل الشرك من كل كافر
 وأعينهم في فعل ذاك قريرة
 فمن صامت في فعله أو مجاهر
 ومن قام بالإنكار فهو مشدد
 يكادون أن يبدوه فوق المنابر
 فأن يحكموا بالسوط ضرباً فإن يكن
 رجوع وإلا بالضباء والخناجر
 وأصبح ذو الإيمان فيهم كقباض
 على الجمر أو في الجنب صلى المجرم

وإخوانه النزاع في كل قرية
 لدى أهلها في ذلهم كالأصاغر
 وما زادم إلا ثباتاً مع الرضا
 بقباب سليم للمهيمن شاكر
 فأكرم بهم من عصابة الحق إنهم
 لحفظ نصوص الدين أهل تناصر
 إذا ما بدا نص الكتاب وستة
 تنادوا عباد الله هل من مثابر
 وعضوا عليها بالنواجذ فاهتدوا
 وما رغبوا عنها لحرص الخواطر
 عليك بهاتيك الصفات منافساً
 فقله ما أمنا سناها لسانر
 هم القوم لا يثنهم عن مرادم
 ملامة لوأم وخذلان ناصر
 بنفسى فتى مازال يدأب دائماً
 إلى ربه أكرم به من مهاجر

مكباً على آى الكتاب دراسة
 بقلب حزين عند تلك الزواجر
 فياليتنى ألقاه يوماً لعله
 يخبرنى عما حوى فى الضمائر
 ونرفع أيدينا إلى الله بالدعاء
 لينصر دين المجتبي ذى المفاخر
 وينصر أحزاب الشريعة والهدى
 ويقمع أهل الزيغ من كل فاجر
 فأه على تفريق شمل فهل لما
 مضى عودة نحو السنين الغوير
 عسى نصرة للدين تجمع شملنا
 تقر بها مما ترى عين ناظر
 فيرتاح أهل الدين فيها أعزة
 وأعداؤه نحت القنا والخوافر
 وأختم نظمى بالصلاة مسلماً
 الحمد ماناضت بروق المواطر
 على أحمد وآل والصحب والذى
 على تابع يسمى بفعل الأوامر

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر مروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

فائدة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال . إذا كان آخر
الزمان تظهر خصال بعد خصال وعجائب بعد عجائب
يتركون الصلاة ويمنعون الزكاة ويتبعون الشهوات وتكثر
فيهم المنكرات وتكثر الخيانات ويتفاخرون بشتم الآباء
والأمهات يرفعون أصواتهم فى المساجد والخصومات
بالكلام ويظفون ويتكبرون على الفقراء والضعفاء
بالنقمة فهناك تقل الحسنات وتكثر السيئات ويمضى
رب الأرض والسموات ، وهنالك تصير السنة كالشهر
والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم واليوم كالساعة
والساعة لا قيمة لها ويفشى الزنى . ويؤكل الرباء ويقل
الحياء ويستحققر العلماء وتجور السلاطين وتكثر الفراعين

ويكرم اللئيم ويهان الحليم فلا يوجد في ذلك الزمان
إلا إمام جائر وعالم فاجر وشاب فاسق وشيخ زان وتظهر
أقوام وجوههم وجوه الآدميين وكلامهم كلام النبين وقلوبهم
قلوب الشياطين ، يعدون على الحرام كالذئاب الضواري ،
إن بايعتهم غلبوك ، وإن أمنتهم خانوك ، وإن حدثتهم
كذبوك ، وإن غبت عنهم أغتابوك ، الفاسق بينهم
كالشريف ، والمؤمن بينهم كالضعيف ، دينهم دراهمهم
وقبلتهم نساؤهم لا بالقليل يقنعون ولا بالكثير يشبعون .
اللهم أجربنا من شرفتنا هذا الزمان الفاسد برحمتك
يا أرحم الراحمين .

وفي مراسيل الحسن إذا أظهروا الناس العلم وضيعوا
العدل وتحابوا بالآلسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا
الأرحام لعنهم الله فأصمهم وأعى أبصارهم .

وقال غيره : علامة العاقل أربعة أشياء : الحلم عن

الجاهل ، ورد النفس عن الباطل ، وإنفاق المال في حقه .
ومعرفة عدوه من صديقه ، وعلامة الجاهل أربعة أشياء .
الغضب من غير شيء ، وإنفاق المال في غير حقه ، وقلة
معرفة عدوه من صديقه واتباع النفس بالباطل .

ومر إبراهيم بن آدم بسوق البصرة : فقالوا يا أبا
إسحاق مالنا ندعوا الله فلا يستجاب لنا . قال إنها ماتت
قلوبكم بعشرة أشياء (الأول) عرفتموا الله فلم تؤدوا
حقه (والثانية) زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم
سنته (والثالث) قرأتموا القرآن فلم تعملوا به (والرابع)
أكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها (والخامس) قلدتم
أن الشيطان لكم عدو ووافقتموه ولم تحالفوه (والسادس)
قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها (السابع) قلدتم أن النار
حق ولم تهربوا منها (والثامن) قلدتم من النوم فاشتغلتم
بعيوب الناس وتركتم عيوبكم (والتاسع) قلدتم أن الموت
حق ولم تستعدوا له (والعاشر) دفتتم موتاكم فلم تعتبروا بهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلام لابن القيم في فضول النظر وما يترتب على
مخالطة الناس على تنوعها

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الحرز العاشر في إمساك
فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس فإن الشيطان
إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب
الأربعة فإن فضول النظر تدعو إلى الاستحسان ووقوع
صورة المنظور إليه في القلب واشتغاله به والفكرة في الظفر
به وهذه الفتنة في فضول النظر كما في المسند عن النبي
ﷺ إنه قال النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن غص
بصره أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه كما
قال النبي ﷺ فالحوادث العظام إنما هي كلها من
فضول النظر ، فكم نظرة أعقبت حسرات ، يا مقلب
القلوب كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
(وقال آخر)

وكننت إذا أرسلت طرفك رايدا
لنفسك الخير أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والمقصود أن فضول النظر أصل كل بلاء وأما
فضول الكلام فأنها تفتح للعبد أبواباً من الشر كلها
مداخل للشيطان فأمسك فضولا تسد عنك تلك الأبواب
كلها وكم حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال النبي ﷺ
لما أذوهم يكسب الناس في النار على مناخرهم إلا
حصائد ألسنتهم.

وفي الترمذي أن رجلاً من الأنصار توفي فقال بعض

الصحابة طوبى له فقال النبي ﷺ وما يدريك فلعله تكلم
 فيما لا يعنيه أو يخل بما لا ينقصه وأكثر المعاصي
 إنما تولدها عن فضول النظر والكلام وهما أوسع
 مداخل الشيطان فإن جراحاتهما لا إعلان ولا يسأمان
 بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ ولم تبقى فيه إرادة
 للطعام . وأما العين واللسان والنظر والكلام فجنايتهما
 كثيرة الأطراف والتشعب عظيمة الآفات

وكان السلف يحذرون عن فضول النظر كما يحذرون
 من فضول الكلام وكانوا يقولون ما شيء أحوج إلى
 طول السجن من اللسان .

وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة
 من الشر فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويشغلها عن
 الطاعات وحسبك بهما شرا .

وأما فضول المخالطة فهي الداء العضال الجانب لكل

شروكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة وكم زرعت
 من عداوة وشروكم غرست في القلب من حزازة تزول الجبال
 الراسيات وهي في القلوب لا تزول ففضول المخالطة فيها
 خسارة الدنيا والآخرة ، وإعنا ينبغي للعبد أن يأخذ من
 المخالطة بمقدار الحاجة ، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام
 متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه
 الشر (فأحدها) من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في
 اليوم والليلة وهذا ضرب أعز من الكبريت الأحمر
 وهم العلماء بالله وأمره مكاييد عدوه وأمراض القلوب
 وأدويتها الناصحون لله وكتبه ورسوله وخلقه فهذا
 الضرب في مخالطتهم الربح كله .

(القسم الثاني من مخالطته)

كالدواء تحتاج إليه عند المرض فادمت صحيحاً فلا
 حاجة لك في خلطته وهم من لا تستغنى عن مخالطتهم

في مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع
المعاملات والمشاركات والاستشارات والعلاج للدواء
ونحوها . فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب
بقية مخالطة من ؟

(القسم الثالث) وهم من مخالطتهم كالداء على اختلاف
مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء
المُضال والمرض المزمن وهو من لا تريح عليه في دين
ولادنيا ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا
أو أحدهما فهذا إذا تمكنت من مخالطته واتصلت فهي
مرض الموت المخوف ومنهم من مخالطته كوجع الضرس
يشتد ضربانه عليك فإذا فارقك سكن الألم ومنهم من
مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذي
لا يحسن أن يتكلم فيفيدك لا يحسن أن ينصت فيستفيد
منك ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها بل أن تكلم
فكلامه كالعصى تنزل على بلوب السامعين مع إعجابه

بكلامه وفرحه به ، فهو يحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس ، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرّها على الأرض .

ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : ما جلس إلي جنبي أثقل إلا وجدت الجانب الذي يليه أثقل من الجانب الآخر . ورأيت يوما عند شيخنا الشيخ الاسلام قدس الله روحه ، رجلا من هذا الضرب والشيخ يحتمله وقد ضعفت القوى عن حمله فالتفت إلى وقال : مجالسة الثقيل حمى الربع ، ولكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت عادة أو كما قال . وبالجملّة فمخالطة كل مخالف حمى الروح فعريضة ولازمة ، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب ، وليس له بدٌّ من معاشرته ومخالطته ، فليعاشر بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا .

(القسم الرابع) من مخالطته الهلكة ومخالطته بمنزلة آكل السم ، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء ،
(٧ - المجموعة المحمودية)

وما أكثر هذا الضرب في الناس لا أكثرهم الله وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ ، الداعون إلى خلافها الذين يصدون عن سبيل الله ويبنونها عوجا فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ، أن جردت التوحيد بينهم قالوا انتقصت جانب الأولياء والمصالحين وإن جردت المتابعة للرسول ﷺ قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين وإن وصفت الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير ، قالوا أنت من المشبهين وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا أنت من المفتنين ، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا أنت من أهل البدع المضلين ، وإن انقطعت إلى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا . قالوا أنت من الملبسين ، وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم كنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين . فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم أن لا تشتغل بأعتابهم ولا باستعتابهم ولا نبالي بذيهم إغضابهم ، فإنه عين كمالك .

كما قال الشاعر :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص
ففى الشهادة لى بأنى فاضل
وقال آخر :-

وقد زادنى حباً لنفسى أننى

بغىض إلى كل امرئ غير طائل
فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة
التي هى أصل بلاء العالم وهى فضول النظر والكلام والطعام
والمخالطة ، واستعمل ما ذكرنا من الأسباب التسعة التى تحرز
من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه
أبواب جهنم ، وفتح عليها أبواب الرحمة وأنعم ظاهره وباطنه ،
ويوشك أن يحمد عند الممات هذا الدواء ، فعند الممات يحمد
القوم التقى وعند الصباح يحمد القوم السرى ، والله الموفق
لأرب غيره ولا إله سواه . والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه نبذة بقلمها الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد
من تاريخ مصر للشيخ عبد الرحمن بن حسن
الجبرتي رحمه الله

الحمد لله المنفرد بالبقاء والتدبير المتصرف في خلقه بالخلف
والرفع وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها الشفاعة ليوم خبير ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج
المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة داعة ملاح
كوكب وقر منير .

وبعد فهذه كلمات يسيرة ملخصة من تاريخ الشيخ الفاضل
عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المصري الحنفي في بعض ماجرى
بين الوهابيين أهل نجد والمساكر التركية ، قطع الله دابرهم
ومحى أثرهم وفرقهم وشتت شملهم .

قال وفي ١٢٢١ وردت الأخبار بأن الوهابيين دخلوا مكة والمدينة والطائف وغيرها من بلاد الحجاز، فرتبوا فيها الرجال وضبطوا الثغور وسبب ذلك أنهم قطعوا الميرة عن شريف مكة « غالب بن سرور » وقطعوا السبل وضيقوا عليهم حتى وقعوا في شدة من غلاء الأسعار، وضيق الحال فصار الأردب من القمح يساوي عندهم خمسمائة ريال وأردب الشعير يبلغ ثلثمائة وعشرة ريال ، وهكذا العسل والسمن واللحم ، فاضطر الشريف غالب إلى مسألتهم ومصالحتهم وساروا في الحجاز سيرة حسنة لم يبلغنا عنهم أنهم أحدثوا شيئاً من الحوادث ، سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع شرب التبناك ظاهراً وهدم القباب المبنية على القبور غير قبة رسول الله ﷺ فإنهم لم يتعرضوا لها بشيء .

ثم إن الشريف غالب صار يكاتب الدولة ويستحسنهم على الخروج لقتال هؤلاء ويرميهم بالأفاعيل المنكرة ، ويقول : إنهم خوارج يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم

وأموالهم ، إلى غير ذلك من الأكاذيب التي سيلقى جزاءها
عند الله تعالى

وفي سنة ٢٦ استعملت الدولة محمد علي باشا على الأقاليم
المصرية ، وحشته على قتال الوهابيين واستنقاذ الحرمين من
أيديهم مع ما انضم إلى ذلك من الحجاز والثغور
فعمد ذلك شمر محمد علي وجد واجتهد وبعث البعث الكثيرة
التي لا يحصى عددها إلا الله ، وأمر عليهم ابنه طوسون ، فعندما
وصلت تلك الجموع الكثيرة ينبع ، وقد ملؤا شعابها ووهادها
خيولا ورجالا وأموالا وأمتعة ، والوهابيون مقيمون بالصفراء ،
وهم نحو ستة آلاف خيال فتجهز الفريقان للقتال وتأهبوا
فحملت الأتراك على الوهابيين شدة رجل واحد فثبت لهم
الوهابيون ثباتا صادقا حتى هزمهم الله فولوا مدبرين ،
لا يلوي أحد على أحد حتى إن بعضهم صار يقتل بعضا بالرصاص
من الشفقة على القطارات خشية أن يسبقه إليها ، ومع هذا لم
يكن خلفهم من يطلبهم لأن الوهابيين لا يلحقون مدبرا ، فلما
وصلوا إلى البحر ركبوا في السفن والمراكب هاربين إلى

مصر يقول بعضهم لبعض ، « كأن خلقنا والله عفاريت » .
 فلما دخلوا مصر إذا هم مذءورون ذعراً شديداً ، وقد
 تغيرت ألوانهم وأجسامهم ، فلما أراد بعضهم السلام على
 محمد على باشا منعه من الدخول عليه حاقداً عليهم في
 هزيمتهم وعدم ثباتهم للوهابيين .

فصار محمد على باشا يستخبر الناس ويسألهم عن السبب
 الذى حصل به هزيمة الأتراك ؟ فن قال : انهزمت الرجال
 وتبعهم الخيل ، ومن قال : لا . الخيالة أولاً ثم انهزم بآخرهم
 بقية المساكر .

وكل هذا ليس بشئ والسبب في هزيمتهم هو ما حدثني
 به بعض الثقات ممن حضر الواقعة قال :

كيف ينصر قوم صحبتهم الخور والزمور واللوواط
 والفجور حتى إن الرجل منهم يأتي للرجل من العرب ويقول :
 لا بد أن تبعث إلى بامرأتك تبیت عندى ليلة وأردها إليك
 غداً وإلا قتلتك .

والوهابيون لم يكن شعارهم حال القتال إلا قوطهم :

«توكلنا على الله ، توكلنا على الله ، توكلنا على الله»

وكانوا إذا دخل الوقت أذن مؤذنه بالصلاة وصفوا
وانتظموا صفوفاً خلف إمامهم يؤدون صلاتهم بخشوع وخضوع
وتؤدة، وإذا تجاوزت الفرسان وتضاربت الشجعان صلوا صلاة
الخوف الواردة في حديث غزوة ذات الرقاع ، والآثر لم
يعرفوا صلاة الخوف ولا سمعوا بها فضلاً عن أنهم لم يروا صفة
فعلها فصاروا يتعجبون من الوهابيين . فهذه النكتة والغاية التي
انتصر بها الوهابيون على الأتراك .

ثم إن الشريف غالب جعل يكاتب الباشا ويشير عليه بأنه
يفرق خروج الأتراك وأن قسماً منهم يقدمون مع ساحل ينبع
وآخرين مع ساحل جده ، ومع ساحل الحديدة حتى يعجز
الوهابيون عن مقاومتهم ، ويرسل معهم الأموال لاستمالة قلوب
العرب من حرب والحويطات وغيرهم . فقبل هذا رأى الباشا
وما أشار به عليه الشريف غالب ، فأرسل إلى ينبع الجموع
الكثيرة والأموال والأمتعة من الكساوى الطيبة والجوخ ،
وجعلها بيد مصطفى بك ، وأرسل آخرين منهم إلى الحديدة .

وجوده. فلما وصلت تلك الجموع إلى ينبع جعلوا يستميلون رؤساء العرب وشيوخها فصاروا يعطون الرؤساء من العرب الآلاف الكثيرة من الدراهم الفرنسية فكانت بوارئيس الحويطات شديداً، فأبى القدوم عليهم ولم يزوالوا يرأسونه ويستميلونه بوعدهم وأمانهم فقدم عليهم فأعطوه مائة ألف من الدراهم وأعطوا شيخ حرب ثمانية عشر ألفاً مع من انضم إلى ذلك من الكساوى الفاخرة والأشياء النفيسة ورتبوا لكل رجل من آحاد الناس خمسة أرايل كل شهر .

والوهابيون لا يعطون أحداً شيئاً . بل يقولون : قاتلوا عن دينكم فبهذا دخلوا الحجاز واستولوا على الحرمين ودانت لهم البلاد ولم يستطع أحد أن يقف أمامهم .

ووردت الأخبار بأن رئيس نجد « سعود بن عبد العزيز » توفى من حمى أصابته . وذلك سنة ١٢٢٩ ، فرحمه الله وصارت الولاية بعده لإبنه عبد الله بن سعود

وفى سنة ١٢٣١ هلك أحمد الملقب طومسون بن محمد أخو

إبراهيم باشا من طاعون أصابه ، فلم يمكث إلا عشر ساعات .
وقد تغير جسمه بزرقة وسواد ، فانتفخ بدنه فصار مثله مرتين ،
وانهار لحمه في ساعة واحدة ، فنعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه .

ثم إن محمد علي أمر تلك الجموع العظيمة أن يتوجهوا إلى
بلادهم نجد ويدوخوا أهلها بالحرب والضرب ، فتوجهوا ممتثلين
أمره ورئيسهم إبراهيم باشا فصاروا يقتلون من النجديين
ويأسرون حتى صار بينهم وبين الدرعية ثمانية عشر ميلا كما
ورد بذلك الخبر من إبراهيم باشا .

وصار محمد علي يرسل الطوائف الكثيرة ، كلما ذهبت
طائفة أعقبها بأخرى ، إمدادا لأولده واتصلت العساكر من مصر
إلى الدرعية .

ثم إن عبد الله بن سعود أوفد رجلين من قومه إلى الباشا
للسمى في الصلح بينهم وإطفاء نار الحرب أحدهما عبد العزيز
والآخر عبد الله ، فوصلا مصر واجتمعا بالباشا فكلماه في .

الصلح ووضع الحرب بينهم . فقال الباشا : ما الذى منعكما من طلب الصلح أولا مع أنا قد كتبنا بذلك . فأما الآن لا تقبل ولا تمتثل .

فقال عبد العزيز : أما ما تقدم أولا فذاك وقت إمارة سمود وهو رجل مقدم يحب الحركة والقتال ، ولا يستقر له حال إلا يبتز رؤوس الرجال ، أما هذا فهو غير أئيه يحب التؤدة والسكون ويكره العداوة والقتال فذا غير الأول .

فقال الباشا : هذا أمر لا نوافق عليه .

فأيسا من عقد الصلح وعلمنا أن قضاء الله يقينا لا بد واقع ، وقد زارنى هذان الرجلان مرتين أو ثلاثا وسألانى : هل بمصر أحد من الحنابلة ؟ فقلت لهم قد انقرضوا وبجئت معهما فى الفقه والنحو والتفسير والحديث وغيرها فوجدت عندهما علما غزيرا وفوائد كثيرة لاسيما على مذهب الحنابلة .

وقد ذهبنا إلى الأزهر فلم يجدا به أحدا لا اشتغال الناس بالحرب وكثرة القلاقل والزعازع .

وفي سنة ١٢٣٣ قدم عبد الله بن سعود مصر أسيراً فأدخل على الباشا فسلم عليه ، وحين رآه أجله وأكرمه فقال الباشا : يا عبد الله كيف رأيت ولدى إبراهيم في الحروب ؟ فقال عبد الله : الكل منا لم يقصر ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، قال له الباشا : أتحب أن أكتب لك السلطان وأستمطفه لك لعله أن يعفو عنك ؟

فقال عبد الله : ما قدر يكون ، فأعجبنا من فصاحته وبلاغته وثبات جنانه ، وكان معه قفص صغير فقال له الباشا ما هذا الذى معك أتيت به من بلاد نجد يا عبد الله ، فأمر به ففتح فإذا فيه أزيد من ثلثمائة جوهرة ولؤلؤة .

فسكت الباشا ووجهه إلى اسطنبول فقتل هناك رحمه الله ، رحمة واسعة وجعله من الشهداء الأخيار الذين هم عند ربهم يرزقون .

وفي سنة ١٢٣٤ قدم فى الأسارى جمع كثير من الوهابيين يزيد عددهم عن أربعمئة وأسكنوهم فى محلة عابدين وفيهم علماء وأفاضل .

وفي سنة ١٢٣٥ قدم من الحجاز أناس من المغاربة ومعهم
بنات وغللمان من أولاد الوهايين ، وجعلوا يبيعونهم على من
يريد شرائهم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، كيف يستحلون بيع
أناس مسلمين أحراراً يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله ، وفيها قدم إبراهيم باشا بعد انتهائه من حرب
النجديين

(انتهى حرفاً بحرف)

رثاء الأندلس

لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي

المتوفى سنة ٧٩٨ هـ

وذلك لما ضيعوا أمر الله وشغلوا باهوائهم وشهواتهم:

لكل شيء إذا ما تم نقصان

فلا يفر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءت له أزمان

وهذه الدار لا تبقى على أحد

ولا يدوم على حال لها شان

يعزق الدهر حتما كل سابغة

إذا نيت مشرفيات وخرسان

وينقضى كل منيف للفناء ولو

كان ابن ذي يزن والعمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من أين
وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم
وأين ما ساسه في القوس سامان
وأين ما حازه قارون من ذهب
وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على « دارا » وقاتله
وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب
يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع متنوعة
ولازمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهها
 وما لما حل بالإسلام سلوان
 دهي الجزيرة أمر لا عزاء له
 هوى له أحد وانهد ثيلان
 أصابها العين في الإسلام فارتزأت
 حتى خلت منه أقطار وبلدان
 فاسأل «بلنسية» ما شأن مرسية
 وأين شاطبة أم أين جيان
 وأين «قرطبة» دار العلوم فكم
 من عالم قد سما فيها له شان
 وأين حمص وما تحويه من نزه
 ونهرها المذب فياض وملآن
 قواعدكن أركان البلاد فما
 عسى البقاء إذا لم تبق أركان
 تبكى الحنيفة البيضاء من أسف
 كما بكى لفراق الألف هيمان

على ديار من الإسلام خالية
 قد أفقرت ولها بالكفر عمران
 حيث المساجد قد صارت كنائس ما
 فيهن إلا نواقيس وصلبان
 حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
 حتى المنابر ترثي وهي عيدان
 يا غافلا وله في الدهر موعظة
 إن كنت في سنة فالدهر يقظان
 وما شيا مرحا يابيه موطنه
 أبعد حصن تفر المرء أوطان
 تلك المصيبة أنست ما تقدمها
 وما لها من طول الدهر نسيان
 يارا كبين عتاق الخيل ضامرة
 كأنها في مجال السبق عقبان
 وحالين سيوف الهند مرهفة
 كأنها في ظلام النقع نيران

ورائعين وراء البحر في دعة

لهم بأوطانهم عز وسلطان

أعندكم نبأ من أهل أندلس

فقد سري بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم

قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم

وأنتم يا عباد الله إخوان

ألا نفوس أئيات لها همم

أما على الخير أنصار وأعوان

يا من لذلة قوم بعد عزم

أحال حالهم جور وطنيان

بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم

واليوم هم في بلاد الكفر عبدان

مثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان في القلب إسلام وإيمان

يا رب أم وطفل حيل بينهما
 كما تفرق أرواح وأبدان
 وطفلة مثل حسن الشمس طلعتها
 كأنما هي ياقوت ومرجان
 يقودها العليج للمكروه مكرمة
 فالعين باكية والقلب حزان



ومن خطب عليّ أيضاً

رضي الله عنه

أغار صفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي على الأنبار
 زمان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وعليها ابن حسان
 أو حسان البكري، فقتله وأزال تلك الخيل من مسالحها
 فخرج عليّ حتى جلس على باب السدة فحمد الله وأثنى عليه
 وصلى على نبيه ﷺ ثم قال :

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، من تركه
 ألبسه الله ثوب الذلة ، وشملة البلاء وألزمه الصغار وسيم الخسف ،
 ومنع النصف ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً
 ونهاراً سرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ،
 فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا فقتلوا كاتم وتخاذلتم ،
 وثقل عليكم قولي . واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شنت
 عليكم الغارات .

هذا أخو غامد ، وقد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان

أو ابن حسان البكري ، وأزال خيلكم من مسالحها . وقتل
منكم رجالا صالحين ، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل
على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فيتزع أحبالها
وفلوسها ورعتها ، ثم انصرفوا واقرين ، ما كلم رجل منهم
كلاماً ، فلو أن امرئاً مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان
عندي ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . فيا عجباً من جد هؤلاء
القوم في باطلهم وفشلهم عن حقكم فقيباً لكم وترحاً
حين صرتم غرضاً يرمى وفيثاً ينهب . يفار عليكم ولا تغيرون .
وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ، فإذا أمرتكم
بالسير إليهم في الحر ، قلم حمارة القيظ ، أمهلنا حتى ينسلخ
عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلم أمهلنا حتى ينسلخ
عنا القر ، كل هذا فرار من الحر والقر . فإذا كتمت من الحر
والقر تفروzfأنتم والله من السيف أقر يا أشباه الرجال ولا رجال ،
ويا أحلام الأطفال ، وعقول ربات الحبال ، وددت أن الله قد
أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني إلى رحمته من بينكم ،

والله لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم معرفة أوجبت
 ندما ، وأورثت صـدري غيظا ، وجرعتونى الموت
 أنفاسا ، وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان ، حتى قالت
 قريش : إن ابن أبى طالب شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب ،
 لله درهم ، وهل منهم أحد أشد لها مراسا ، وأطول تجربة ، نى ،
 لقد مارسها وما بلغت العشرين فيها ، وقد نيفت على الستين ،
 ولكن لا رأى لمن لا يطاع .

قال : فقام رجل من الأزد يقال له فلان بن نفيث ثم أخذ بيد
 أخ له فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله [رب
 أنى لا أملك إلا نفسى وأخى] فمرنا بأمرك ، فوالله لنضربن
 دونك ولو حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد ، قال فأنى
 عليهما ، وقال لهما خيرا .

وقال : أين تقعان مما أريد ثم نزل .

(هذا الفصل نقلناه من زاد المعاد لابن القيم رحمه الله)

(قصة وفد بني المنتفق على رسول الله ﷺ)

منقولة من الهدى لابن القيم

روينا عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في سند أبيه قال : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري ، كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبتك إليك فحدث بذلك عني . قال حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخرافي . قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دليم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب ابن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دليم : وحدثني أيضاً أبو الأسود بن عبد الله عن عاصم ابن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له ، يقال له : نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط : خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله

ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس
 خطيباً فقال: أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ
 أربعة أيام ألا تسمعون اليوم ، ألا فهل من امرء بعثه قومه ؟
 فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ألا ثم رجل لعله
 يابيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلبيه ضال ألا إني
 مستول هل بلغت ألا اسمعوا تعبدشوا ، ألا اجلسوا فجلس
 الناس فقامت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره
 قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب فضحك فقال : لعمر
 الله أعلم أني ابتغى السقطة فقال : إن ربك عنده مفاتيح الغيب
 منها خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله وأشار بيده فقلت : ما هي
 يا رسول الله ؟ قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم
 ولا تعلمونه ، وعلم المني حتى يكون في الرحم قد علمه وما
 تعلمونه ، وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه ، وعلم
 يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك
 قد علم أن غوثكم إلى قريب .

قال لقيط : لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله،
غال : وعلم يوم الساعة قلنا يا رسول الله علمنا بما تعلم الناس
وتعلم ، فأنا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد من مذبح التي
تدنو علينا وخشم التي توألينا وعشيرتنا قال : ثم تلبثون
مالبشم ثم تبعث الصائحة فلعمري إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً
إلا مات تلبثون مالبشم ثم يتوفى نبيكم والملائكة الذين
مع ربك ، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وخلت
عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش
فلعمري إلهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا من
ميت إلا انشق القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه فيستوي
جالساً فيقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يارب أمس اليوم
لعمري بالحياة يحسبه حديثاً بأهله ، فقلت : يا رسول الله
فكيف يجمعنا بعد ما فرقنا الرياح والبلاء والسباع فقال :
أنبيك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرفت عليها وهي
في مدرة بالية ، فقلت لآتخيا أبداً ثم أرسل الله عليها

السماء فلم تابت عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ، ولعمري إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأسواق ومن مصارعكم فتنتظرون إليه وينظر إليكم قال . قلت : يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا ، وننظر إليه قال : أنبتك بمثل هذا في آلاء الله : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتها قلت يا رسول الله : فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قال تعرضون عليه بادية له صفحانكم لا يخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم فلعمري إلهك ما يخطئ وجنة أحد منكم منها قطرة . فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء ، وأما الكافر فينضحه أو قال فينطحه بمثل اللحم الأسود ، ثم ينصرف نبيكم وتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجرة من النار فيقول « حسن »

فيقول ربك عز وجل : أو أنه ألا فتظلمون على حوض
نبيكم على أعظم شيء والله ناهلة قطعاً رثيتها ، فلمر إلهك
ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع على قدح يطهره من
الطوف والبول والأذى ، وتجبس الشمس والقمر فلا ترون
منهما واحدا . قال قلت : يا رسول الله فيما نبصر . قال : بمثل
بصرك ساءت هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم
أشرققت الأرض وواجهت به الجبال قال قلت : يا رسول
الله فيما نجمزي من سيئاتنا وحسناتنا ؟ قال ﷺ : الحسنات
بعشر أمثالها والسيئات بمثلها إلا أن يعمفو . قال قلت : يا رسول
الله ما الجنة وما النار ؟ قال لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب
ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وأن الجنة
لها ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما
سبعين عاما . قلت يا رسول الله : وهل نبصر ما بها من
أنهار ؟ قال : بها أنهار من عسل مصفى وأنهار من خمر ما بها
صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن ما يتغير طعمه ، وماء غير

آسن ، وفا كهة ، ولعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله
 معه أزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج
 ومنهن مصاحات ؟ قال : المصاحات للصالحين . وفي لفظ :
 الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم في
 الدنيا غير أن لا توالد .

قال لقيط : فقلت : يا رسول الله أفصى ما نحن بالفون
 ومنهمون إليه فلم يجبه النبي ﷺ قال قلت : يا رسول الله
 علام أبايعك ، فبسط النبي ﷺ يده وقال : على إقام الصلاة
 وإيتاء الزكاة ، وزيال المشرك ، وأن لا تشرك بالله إله غيره .
 قال : قلت يا رسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟
 فقبض رسول الله ﷺ يده فظن أنى مشروط ما لا يعطينه .
 قال قلت : نحل منها حيث شئنا ولا يحنى على امرئ إلا نفسه .
 فبسط يده وقال لك ذلك تحل حيث شئت ولا يحنى عليك إلا
 نفسك . قال : فانصرفنا عنه ثم قال : ها إن دين ، ها إن دين
 من أتقى الناس في الأولى والآخرة . فقال له كعب بن الجذاريه

أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يارسول الله ؟ قال بنو
المنتفق بنو المنتفق بنو المنتفق — أهل ذلك منهم ؟ قال : فانصرفنا
وأقبلت عليه فقلت : يارسول الله هل لأحد ممن مضى من
خير فى جاهليتهم ؟ فقال : رجل من عرض قریش والله إن
أباك المنتفق لفى النار قال فكأنه وقع حريين جلدى
ووجهى ولحمه مما قال لأبى على رؤوس الناس ، فهمت أن أقول
وأبوك يارسول الله ثم إذا الأخرى أجهل . فقلت : يارسول
الله وأهلك قال : وأهل لعمر الله حيث ما أتيت على قبر عامرى
أو قرشى ، أو دوسى فقل أرسلنى إليك محمد فأبشربما يسروك
تجر على وجهك وبطنك فى النار . قال قلت : يارسول الله
وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وكانوا
يحسبون أنهم مصلحون ؟ فقال ﷺ : ذلك بأن الله بعث
فى آخر كل سبع أمة نبياً فمن عصى نبيه كان من الظالمين ومن
أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته ونخامته وعظمته

على أنه قد خرج عن مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث
عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني رواه عنه إبراهيم
ابن حمزة الزيري، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما
في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن اسماعيل
البخاري. ورواه آفة أهل السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول
وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطمئن أحد منهم فيه ولا في
أحد من رواته. فمن رواته الإمام أحمد بن الإمام أبو عبد
الرحمن عبد الله ابن أحمد بن حنبل في مسند أبيه وفي كتاب
السنة: وقال كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن
الزير الزيري. كتب إليك بهذا الحديث وقد عرضته
وسمعتة على ما كتبت به إليك فحدث به عنى ومنهم الحافظ
الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب
السنة له، ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
سليمان النخعي في كتاب المعرفة، ومنهم حافظ زمانه ومحدث
أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في
كثير من كتبه، ومنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن

حبان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة . ومنهم الحافظ
ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى
في مسنده حافظ أصبهان . ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد
ابن موسى بن مردويه ، ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد
ابن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني ، وجماعة من الحفاظ سوام
يطول ذكركم .

وقال ابن منده : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنماني
وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما . وقد رواه بالمراق بجميع
العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي
وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل ولم ينكره أحد
ولم يتكلم في إسناده ، بل رَوَوْهُ عَلَى سَبِيلِ الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ
وَلَا يَنْكَرُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا جَاهِدٌ أَوْ جَاهِلٌ أَوْ مُخَالَفٌ
لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

هذا كلام أبو عبد الله بن منده وقوله : تهضب أي تَطْرُفُ ،
والأصواء القبور . والشربة بفتح الراء الحوض الذي يجتمع

فيه الماء . وبالسكون الحنطة يريد أن الماء قد كثر فمن حيث
شئت تشرب . وعلي رواية السكون يكون قد شبّه الأرض
بمخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها وقوله : « حس »
كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه
أو يؤلمه قال . قال الأصمعي : وهي مثل أوّه وقوله يقول :
يقول ربك عز وجل أو إنه قال ابن قتبية فيه قولان .
أحدهما أن يكون بمعنى نعم والأخرى أن يكون الخبر
محذوفاً ، كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول والطوف
الغائط . وفي الحديث : لا يصلي أحدكم وهو يدافع الطوف ،
والبول والجسر الصراط . وقوله : فيقول ربك مهيم أي
ماشأنك وما أمرك . وفي ما كنت فيه . وقوله أشرف عليكم
أزليّن الأزل يكون بسكون الزاي : الشدة والأزل على وزن
كتف هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط .
وقوله : فيظل يضحك هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى
التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته .

وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لاسبيل إلى ردها ، كما لاسبيل إلى تشبيهها وتحريفها . وكذلك أصبح ربك يطوف في الأرض هو من صفات فعله كقوله : وجاء ربك والملك . هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ويدنو عشية عرفة يباهي بأهل الموقف الملائكة .

والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم إثبات بلا تمثيل وتزيه بلا تحريف ولا تعطيل . وقوله : والملائكة الذين عند ربك ، لا أعلم موت الملائكة . جاء في حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل رافع الطول . وهو حديث الصور ، وقد استدلوأ بقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) وقوله : فاعمر إلهك هو قسم بحياة الرب جل جلاله ، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها ، وأنها قديمة وأنه يطاق عليه منها أسماء المصادر ويوصف بها ، وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء

وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر دالة عليها . وقوله
ثم تجيء الصائحة ، هي صيحة البعث ونفخته وقوله : حتى يخلفه
من عند رأسه ، هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاه ،
شبه النشأة الأخرى بعد الموت بإخلاف الزرع بعد ما حصد ،
وتلك الخلفة من رأسه كما ينبت الزرع ، وقوله : فيستوى جالسا
هذا عند تمام خلقته وكمال حياته . ثم يقوم بعد جلوسه قائما
ثم يساق على موقف لقيامه إما راكبا أو ماشيا . وقوله يقول :
يارب أمس اليوم إستقلال لمدة لبثه في الأرض كأنه لبث
فيها يوماً فقال : أمس أو بعض يوم ، فقال اليوم يحسب أنه
حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم وقوله :
كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلا والسباع . وإقرار
رسول الله ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم
لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل ، ولم يكونوا يفهمون
حقائق الإيمان بل كانوا مشغولين بالعمليات . وأن أفراخ
الصائبة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم

بالعلميات وفيه دليل على أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات. فيجيبهم عنها بما يُلج صدورهم. وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان وهو يجيب كلا عن سؤاله، إلا ما لا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء المبد بعد مافرقها وينشئها نشأة أخرى ويخلق خلقاً جديداً كما سماه في كتابه كذلك في موضعين فيه.

وقوله : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله ، ألاؤه نعمه وآياته التي تعرف بها إلى عباده ، وفيه إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد والقرآن مملوء منه ، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره ، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على كل شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله وقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد في كتابه أحسن تقرير وأبينه ، وأبلغه وأوصله إلى العقول والافطر . فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيباً له وتمجيذاً له وطعناً في

حكمه تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقوله في الأرض أشرقت
عليها وهي مدرة بالية . هو قوله تعالى : يحيي الأرض بعد
موتها . وقوله ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا
عليها الماء إهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ونظائره
في القرآن كثيرة .

وقوله : فتنتظرون إليه وينظر إليكم ، فيه إثبات صفة
النظر لله عز وجل وإثبات رؤيته في الآخرة . وقوله : كيف
ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ، قد جاء هذا في هذا
الحديث ، وفي قوله في حديث آخر : لا شخص أغير من الله .
والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع في
قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص ، بل هم أشرف عقولا وأصح
أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك . وحقق ﷺ وقوع الرؤية
عياناً برؤية الشمس وانقمر تحديقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذي
يظنه المعطلون .

وقوله : فيأخذ ربك يده غرفة من الماء فينضج بها قبلكم :

فيه إثبات صفة اليد له سبحانه . بقوله وإثبات الفعل الذى هو النضج والريطة الملاءة والحم جمع حمة وهى الفحمة . وقوله : ثم ينصرف نبيكم من هذا . إنصرف من موضع القيامة إلى الجنة . وقوله : ويتفرق على أثره الصالحون ، أى يفزعون ويمضون على أثره . قوله : فتطلعون على حوض نبيكم . ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر .

والسلف فى ذلك قولان : حكاهما القرطبي فى تذكرته والغزالي وغلط من قال : إنه بعد الجسر .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا قائم على الحوض إذاز مرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم هلم . فقلت إلى أين ؟ فقال إلى النار والله . قلت ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا على أديبارهم . فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم . قال : فهذا الحديث

صحته أول دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم ، فمن جازه سلم من النار .

قلت : وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف ، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً . وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط .

فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم ، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بداهم الحوض فشرّبوا منه . فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو يناقض كونه قبل الصراط فإن قوله طوله شهر وعرضه شهر ، فإذا كان بهذا الطول والسعة فالذي يميل إلى إمتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده فهذا في حيز الإمكان وقوعه موقوف على خبر الصادق ، والله أعلم .

وقوله : والله على أظلم ما هم إليه وهذا يناسب أن يكون بعد الماء أى يردونه أظلم ما هم إليه وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فإنه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة .

وقوله : تخنس الشمس والقمر : أى يختفيان ويحتبسان ولا يران . والاحتباس من التوارى والاختفاء . ومنه قول أبى هريرة : فأنخست منه . وقوله : ما بين البابين مسيرة سبعين عاما يحتمل أن يرد به أن ما بين الباب والباب هذا المقدار ويحتمل أن يرد بالبابين المصراعين . ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاما . بوجهين : أحدهما أنه لم يصرح فيه راويه بالرفع بل قال : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاما : والثانى أن المسافة تختلف باختلاف سرعة مسيرة السير منها وبطئه . والله أعلم .

وقوله : فى خمر الجنة أن ما بها صداع ولا ندامة تعريض

بمخمر الدنيا وما يلحقها من صدام الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال، وحصول الشر الذي يوجبه زوال العقل . والماء الغير الآسن : هو الذي لم يتغير بطول مكثه . وقوله : في نساء الجنة غير أن لاتوالد .

قد اختلف الناس هل تلدن نساء أهل الجنة على قولين : فقالت طائفة لا يكون منها حبل ولا ولادة . واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه في المسند وفيه غير أن لأمنى ولأمنية . وأثبتت طائفة من السلف الولادة في الجنة . وحجته بما رواه الترمذى في جامعه من حديث أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضع وصفته فى ساعة كما يشتهى» .

قال الترمذى : حسن غريب . رواه ابن ماجه قالت الطائفة الأولى هذا لا يدل على وقوع الولادة فى الجنة ، فإنه علقه بالشرط فقال : إذا اشتهى ولكنه لا يشتهى . وهذا

تأويل إسحاق بن راهويه حكاه البخارى عنه . قالوا : والجنة دار جزاء على الأعمال ، وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء . قالوا الجنة دار خلود ولا موت فيها ، فلو توالد فيها أهلها على الدوام لما وسعتهم وإنما سعتهم الدنيا بالموت .

وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت : إذ إنما تكون للمحقق الوقوع لا المشكوك فيه ، وقد صح أنه سبحانه ينشئ للجنة خلقاً ليسكنهم إياها بلا عمل منهم ، قالوا : وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل . وأما حديث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم فإن أدناهم من ينظر في ملكه مسيرة ألفى عام .

وقوله : يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه . لأجواب لهذه المسألة ، لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله ، وإن أراد ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار ، فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهى إليه من ذلك .

وإن كان الانتهاء إلى نعيم أو جحيم، ولهذا لم يحبه النبي ﷺ.

وقوله في عقد البيعة وريال المشرك. أى مفارقه ومعاداته فلا تجاوره ولا تتواله، كما جاء في الحديث الذى فى السنن لاتراءى نارهما. يعنى المسلمين والمشركين.

وقوله: حيث مامرت بقبر كافر فقل: أرسلنى إليك محمد. هذا إرسال تفريع وتوبيخ لاتبليغ أمر ونهى. وفيه دليل على سماع أصحاب أهل القبور كلام الأحياء، وخطابهم لهم. ودليل على أن من مات مشركا فهو فى النار، وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارثكبووه وليس معهم حجة من الله به وقبحه، والوعيد عليه بالنار، ولم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم.

وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فله الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت ولو لم

يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم
لتوحيد إلهيته ، وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون
معه إله آخر . وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة
وحدها ، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة
لأهلها ، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل ،
والله أعلم . انتهى من زاد المعاد .

تاج الدين

فيما يجب على الملوك والسلاطين

للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي
رحمه الله

تعريف موجز بمؤلف هذه الرسالة :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التامساني
المراكشي المغربي ، وكان يعيش في آخر القرن التاسع معاصراً
لجلال الدين السيوطي إذ كانت بينهما مراسلات ، وقد سافر
إلى اليمن حتى انتهى إلى أهيراء^(١) عذب بن وكتو وكتينة .
حتى وصل إلى جاوا عاصمة مسكيا في سنة ٩٠٠ ، وله كتاب

(١) قال في تطريز الديباج : دخل بلاد أهر ، ودخل بلاد تشكدة
ثم دخل بلاد كنودكشن من بلاد السودان . . وكتب رسالة في أمور
السلطنة . إلى آخره .

في الفرائض وكتاب في الأحكام ، وألف هذا الكتاب
أثناء تنقله ، وطبع بالعربية والإنكليزية . وتوفي رحمه الله
في سنة ٩٠٩ في توات .

نقلا عن مقدمة طويلة للكتاب أخذت من كتاب
«الابتهاج شرح الديباج» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة تاج الدين ومصباح المسلمين
أبو عبد الله محمد بن الشيخ المرحوم عبد الكريم بن محمد
المغيلي ، لطف الله به آمين ورحمه .

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ،
والصلاة والسلام على رسول الله خير خلق الله محمد بن
عبد الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . وفقك الله للتقوى وعصمك من نزع الهوى ،
 فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله ، فما أعظم
 فضلها وما أثقل حملها ، إن عدل الأمير ذبحته التقوى ، بقطع
 أوداج الهوى ، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى ،
 وعليك بتقوي الله (كل نفس ذائقة الموت ، وإنا نوفون
 أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد
 فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)
 وسأذكر لك من ذلك جملة مختصرة في ثمانية أبواب ،
 والله الموفق للصواب .

الباب الأول

فيما يجب على الأمير من حسن النية .

الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى ، فعلى كل ذى عقل وأمانة أن يبعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها ، فتوكل على الله ، واستعن في أمرك كله بالله ، وإيكن عملك كله لوجه الله .

وذكر نفسك أنك واحد من خلق الله ، كثير أقوى منك ، لولا نصر الله ، فإيكن طمعك كله في الله ، وخوفك كله من الله ، وهمك كله في مصالح خلق الله ، ما ولاك الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم ، وإعنا ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم وديناهم ، واشكر نعمة الله عليك وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تقنط من رحمة ربك فكم من كرب فرجه الله (رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الثاني

فما يجب على الأمير من حسن الهيئة

الإمارة مقممة للنفس الأمانة ، فعلى كل أمير أن يرتدى
برداء الهيئة في الحضرة والغيبة ، فأظهر حب الخير وأهله ،
وأبغض الشر وأهله ، وزين جسمك وطيب ريحك وحسن
ثوبك بمباح من زينة الرجال غير متشبه بالنساء ، ولا مفسد
لبيت المال ، فلا تزين بذهب ولا فضة ، ولا حرير بحال .

فإن ذلك قبح ودناءة وضلال ، وتربع إن جلست .
واسكن ما استطعت ولا تعبث ولو بيدك ، واغضض
من بصرك وليكن نظرك تفرساً ، وإطراقك تفكيراً ،
وإقبالك على الخلق بوجه أداء الحق ، ولا تفتح فمك
ولو للتشاور على الخلق ، فإن كاد أن يغلبك فاذا ذكر ربك
يذهب عنك ، وإن غفلت حتى غلب عليك فسد فاك بظاهر
إحدى يديك .

(شعر آ)

ولا تقهقه أبداً فإنما يقهقه الأعمى ويزداد عمى
وكن على الصمت حريصاً دائماً

فقلما يسلم من تكلم
وإن يكن لابد فاختر محكماً

واخفض من الصوت لئلا تندما

والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فقدم عقلك بين يدي
لسانك ، فإن لسانك مرآة قلبك ، وقلبك مجمع شأبك .

أفبح القبايح إثنان : كبر الفقيه ، وكذب السلطان .
فإذا تحدثت فأصدق ، وإذا وعدت فأوف ، وإذا أمرت
بشيء أو نهيت عن شيء فلا تفعل عنه حتى تبلغ المقصد منه ،
وإياك أن تقصر خطوتك عن مقالك فتذهب هيبتك من
قلوب رعييتك وعمالك .

(شعر آ)

إذا أهمل السلطان شأن مقاله

فقد بان منه الضعف في كل حاله

وأمسى كليل الأمر والنهى فى الورى
ورامى بثوبى عزه وجهاله
ولا تقرب لمجسك وخدمتك ناقصاً فى أعين الناس ،
فإن دائرة المرء لباسه ، فاختر خير لباس .

(شعراً)

إذا قرب السلطان أخيار قومه
وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب السلطان أشرار قومه
وأعرض عن أخيارهم فهو طالح
وكل امرئ ينبئك عنه قرينه
وذلك أمر فى البرية واضح
ولا تجعل نفسك عبد ثوب ولا حصان ، ولا عبد بساط
ولا مكان ، وبالجملة خال الرعية وحال السلطان كفتان فتصرف
فى حالك بالزيادة والنقصان حتى يتبدل الميزان (ورأس كل
بلية احتجاج السلطان عن الرعية) .

الباب الثالث

فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته

الإمارة سياسة في ثوب رياسة. فعلى كل أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته على ما يتمكن به من صلاح رعيته ، فمن ذلك خدام بالحضرة يتصرفون ، وعقلاء يشيرون ، وأمناء يقبضون ويصرفون ، وكتاب وحساب يحفظون ، ورسل وجساس . وحفظة وعساس ، ومن ذلك أيضاً علماء ثقة يرشدون ، وأئمة فضل يجمعون ، وعدول يشهدون ، ومحتسبون يكشفون ويصلحون ، وأرباب شرطة يزجرون ، وشفعاء يشفعون ، وقضاة ثقات يفصلون ، ورجال معظون لوجه الله وعمال يحبون حق الله ، ووزراء لا يخشون إلا الله ، ومن ذلك أيضاً حصن حصين مكفى بالخرائن ، وخيل خديدة ، وظهور شديدة ، ورجال شجعان حاضرة في كل أوان ، وعدد كثيرة متينة ، وأطباء عارفة أمينة ، ومن ذلك أيضاً في الحروب وزراء يجمعون الرجال ويخففون الأثقال ، ويحملون

على الحذر، وحمل السلاح، ويزتبون الجيش للكفاح. يصدر
ثابت من الأبطال، وجناحين من سائر الخيل والرجال، وبلغاء
ينشطون النلوب ويقبحون المروب، وعرفاء بالحروب
برأيهم تذكشف الكروب، فإن الحرب خدعة ليس
بالكثرة ولا بالسرعة.

(ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية)

الباب الرابع

فيما يجب على الأمير من الحذر بالحضر والسفر
الإمارة غرر بجنمها الحذر - فأظهر القوة والجلد والزهد
في الصاحبة والولد، والرغبة في الأبطال والعدد، وانهمض عن
مجاورة الهر والفأر لمساورة ليوث القفار.

(شعراً)

ألا نسبح الله الجبان من الوردى
وأكساه ثوب الخزى في طبق الثرى

أبالجن كان الملك يملك قلبنا
وما الملك إلا بالشجاعة يشتري
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ومقام السلطان فى الحضر رأس كل فتنة وخرر :
(شعراً)

مجال عقاب الطير فى الجو والفلا
وأنشط ديك فى البيوت يحول
وما الملك إلا للعقاب بعزمه
وللديك صوت فى الدجاج يصول
فأركب جياذ العزم على سروج العزم ؛ وأحى البلاد من
فحط الفساد بريح المضار وسحاب الغبار، ورعد الصهيل وبرق
الصقيل وصواعق السيوف وأمطار الصفوف. فالملك بالسيف
لا بالتسويق، وهل يندفع الخوف إلا بالتخويف، ولا يقرب
من طعامك وشرابك وفراشك وثيابك إلا أقرب أحبائك.

ولا تفارق الدرع والسلاح . ولا يقرب منك إلا أهل الأمانة
والصلاح . ولا تم بغير مكان أمين وغير مرقدك في كل حين .
واترك زيك المعروف في كل مكان مخوف . وادن بحماك في
كل حين وأن عصبة أمناء شجعان عساس ورماة . ورجال
وفرسان . وليس وقت الخوف كوقت الأمان . واكنم شرك
عن غيرك حتى تتمكن من أمرك . وخذ حذرک من التمامين ولو
كانوا أكثر من سبعين . ولا تغتر بظواهر الرجال . وكن
كيساً فطناً في كل حال . رسل الهدية عيون صرفهم كيس
وإمساكهم جنون (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بما
يرجع المرسلون) .

وأزل كل حصن لا تقدر عليه ، لئلا تستند أعداؤك إليه
فتنقسم الرعية ، وتمظم البلية . وخف من الجبل لئلا تسمعك الحية .
(ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الخامس

فما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور
 الإمارة حلية في ديوان الحيلة . فعلى كل أمير أن يكشف
 عن بعض الأمور بحسب المقدور ، وذلك كل أمر ولو أعنى
 عنه لخشى ضرورة منه ، فن ذلك أن يسأل عن كل ما جهل
 من المدول والأمناء والمتقين قبله والأوصياء . ويحجر على كل
 مهمل من يتيم وسفيه . ويأمر برفعه إليه ليولى عليه . ويكشف
 من عدد وورثة كل من مات . وعن شأن كل من ترك من
 ضعفاء البنين والبنات . وعن بيت المال وأرزاق المال ، وعن
 كل ما هو موكول للنظر من مال وغير مال . لكن
 على الاستبصار والورع . لا على جهة الإضرار والطمع .

(شعراً)

إذا أهمل الراعى المواشى فى الخلا

وألوى إليها فى المراح وأهمل

فما هو إلا واحد من أسودها وعما قليل تنجلي عنه أولا

ومن ذلك أيضاً أن يحتفظ على عماله في جميع أعماله ويتدبر
أقوالهم ويختبر أحوالهم، ويحصى قبل الولاية أموالهم، ويتفقد
في كل حين أعمالهم، فكل من ظهر منه تقصير زجره، وكل
من خشي منه ظمناً عزله. وكل من تكررت فيه الشكوى
من غير بيان أبدله إن وجد بدله وإلا كان لهم كسمل الدار لربها.
وكما سك قرون البقرة لحالبها وكل ما زاد على أموالهم أخذه.
وإن شك فيه قسمه، وليكن عليهم كراعى الماشية بين
الأسود الضارية. فمن عمال السوء جميع الفساد في كل
البلاد.

(شعراً)

إذا كنت في أمر فكن فيه ناصحاً
وإن تستنب فاختر خياراً لأهله
ومن يأت بالكلب العقور لبابه
فمقر جميع الناس من سوء فعله
حاملك عملك، وفعله فعلك، إن أحسن فالثواب لكما،

وإن أساء ، فالعقاب عليكما ، ومن ذلك أيضاً أن يكشف عمن
 قويت فيه تهمة الفساد إن شهد بوجود علاماته كشف الأمير
 عن بيئته ، فإن وجدته فيه نكلاً وكسراً وإلا توعدده وزجره ،
 ومن ظهرت عليه علامات كشرب من رائحة أو كلام أو مشى
 استشبهه . فإن ثبت عليه رائحة خمر فكشرب به ولو لم يكن متهما
 بذنبه . وإن شك في رائحة زجر بحسب قربه وبعده . ومن
 وجد مع امرأة على حالة منكرة زجر بموجع الجلد ، إن لم
 يثبت عليه موجب الحد ، ومن ذلك أن يكشف عن أخبار
 الأعداء الجساس الأمناء في كل أوان ، من فتنة وأمان ، حتى
 لا يخفى عليه شيء من حركاتهم وسكناتهم في كل زمان ، فإن
 الجبل عمى .

والبصير يغلب ألف أعمى ، وأعظم كل بلية صيحة الغفلة
 على الرعية ، وتدبر قول بلقيس « وإني مرسلت إليهم بهدية » .
 ومن ذلك أيضاً أن يكشف عن ذم النمامين ومدح المداحين .
 فكم قربوا من بعيد وكم بعدوا من قريب ، وكم حببوا من

عدو، وكم كرهوا من حبيب، وكم خرب النمام من قصر مشيد
 بشفتيه لا بفأس من حديد . فأبعد النمام عنك من بعيد . كم سفه
 النمام من عقل رشيد . ومنهم من يمدح كثير آثم يذم أو يذم
 كثير آثم يمدح ، لتنتفى التهمة عنه إن ذم أو مدح .

فأكشف عن كل قضية . واحذر من أعوانك بالكلية
 فكم حولت الهدية من ناسك إلى اليهودية والنصرانية .
 « ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية » .

الباب السادس

فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام

للسلطنة رجلا ن : العدل والإحسان . فالعدل أن يوفى
 كل ذي حق حقه من نفسه وغيره ، والإحسان أن يتفضل
 من نفسه لا من غيره ، فمن العدل أن يسوى بين الخصمين في
 دخولهما وجلوسهما والنظر إليهما والكلام معهما ، وغير ذلك
 من شأنهما ، وليكن في جميع شأنه بمزل عن ظهور الليل

لأحدهما أو غيرها من قبض ينفر أو بسط يجسر فلا يرد على من سلم عليه غير السلام ، ولا ينسط إليه بياشة ولا كلام حتى يتبين له أنه ليس من أهل الخصام ، ولا ذريعة فيه للحرام . فإن سأل أحد الخصمين أو كلاهما عن مسألة أو حال من أحواله : فليعرض عن سؤاله ، وليقل لهما أقبل على شأنكما واستويا فما بينكما . لا أرجحية اليوم لأحدكما . فإن ظهرت أرجحية لأحدهما بدخول أو مكاملة أو نحوها — فليبين للآخر تسويتها . وليعدل بعد ذلك بينهما .

ومن العدل أيضاً أن يعطى كل واحد من الأخصام نوبته من الكلام ، ثم لا يقبل من الشهود إلا عدلاً رضا فيما سبق إليه لا تهمة فيه على المشهود عليه . فإن تعذرت العدالة كرفقة جهل أو قرينة قرينة ضلالة . فبأمثلهم في الصديق حالة . بعد كشف واستكثار وسياسة واستبصار فإن على الشهادة مدار الأمور ، وأكثر الشهداء بالضلالة مغرور . وبالجهالة مغرور . ثم لا بد أن يطلع المطلوب عن أسباب الطالب ،

ويعذر إليه حيث لا يخاف من ظلمه عليه . فإذا انتهى الأمر إلى
 حده حكم بعد المشاورة في قصده . ولا يجوز له شيء من أحكامه
 إلا بمشهور مذهب إمامه . فإن الحكم بغير المعتمد جور و ضلال ،
 ويجب نقضه على كل حال . ويختص دعاوى الجنايات بأنواع
 من السياسات . فالمدعى عليه بسرقة من غير بينة ، ثلاثة أقسام :
 قسم بعيد عما نسب إليه . فهذا لا يلتفت لدعوى المدعى عليه .
 بل يؤدب له إن كان من أهل الصلاح لأجل ما نسب إليه ،
 وقسم قريب من الدعوى فهذا لا بد له من البلوى بحبس ويهدد
 ويومم ويجلد بحسب الجريمة وبُعده من التقوى ، وربما يفرم
 بها كسرقة بالدعوى واليمين من غير تبين . وذلك حيث علم
 بمثل الدعوى واشتهر . وتكرر منه الضرر . لأن شهرته بما
 نسب إليه يصير المدعى كالمدعى عليه ؛ ومن تكررت منه
 الإذاية واشتهر وتكرر منه الضرر . حبس حتى تظهر توبته
 أو يقبر . وقسم بين القسمين لا يعلم من أى الجزئين فهذا لا بد
 أيضاً من اعتقاله ، وكشف الحاكم عن حاله : فإن تبين قسمه

من القسمين حكم له بحكم من الحكيم ، وإلا أرسله بعد سياحة
وتهديد وكشف ووعد بحسبما يقتضيه النظر من التشديد ،
كل ذلك بالتقوى لا بالهوى . وليس كل الناس سواء . فهذا
حكم من ادعى عليه في سرقة كسرقة من غير يئنة .

أما من ادعى عليه بنفس فلا بد فيه أولا من حيس ومن
ربط بالحديد ومن كشف وتهديد . فإن ظهر أمر عمل عليه .
وإلا نظر في قربته أو بعده مما نسب إليه ، فإن قُرْبَ طَوَّلَ
في اعتقاله ، وإن بعد هُجِّلَ بإرساله ، وكل أحد له حكم
بحسب حاله . ولا بد للأمير الأعظم أن يجلس كل يوم
للناس بحيث يصله النساء والأطفال ، ولا يكفيه ما نصبه من
القضاة وغيرهم من العمال ، لأن شكوى الرعية قد تكون
منهم ، وواجب عليه أن يزجرهم عنهم وإلا فهو كسمل الدار
لأربابها ، أو ماسك قرون البقرة لحلابها .

وقد عزل الخلفاء رضى الله تعالى عنهم الصالحين بسبب
الشكوى لما فيه من تأليف الرعية وقرب التقوى .

(ورأس كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية)

الباب السابع

في مجي الأموال من وجوه الحلال

يجب على كل أمير أن لا يجبي الأموال إلا من حيث أباح الله له (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً).

السكرم روح السلطنة، وعدمه نفس الشيطنة، وأول الكرم وأساسه الإمساك عما في أيدي الناس، والكف عن أموال الناس بقاء المملكة وجمالها، والطمع في أموالهم خراب المملكة وزلزالها، فمن الأموال التي أحل الله للأمراء قبضها وصرفها زكاة العين والحرب والماشية وزكاة المعدن وزكاة الفطر وخمس الركاز والمعادن وخمس الغنيمة وأموال الجزية والصلح وما يؤخذ من تجار أهلها، وتركه لا وارث لها، ومال أفاء الله به من أموال الحرب بلا حرب، فإذا كان الأمير عادلاً في صرف مال الله وجب على كل من يده شيء

فيه زكاة عين أو غيرها أن يدفعه له ليصرفه .

وزكاة العين موكولة لأمانة أربابها . فليس للأmir أن يهتك في طلبها أستارهم ، ولا أن يفتش ديارهم ولا أن يخلف إلا أشرارهم . فن ادعى عدم كمال نصابه أو حوله صدق في قوله : كسافر زعم أن قبل قدومه أخذت منه أو أن عليه ديناً يسقط الزكاة عنه .

ومن الأموال التي حرم الله عز وجل على الأمراء وغيرهم كل ظلم ، ومن الظلم ما يأخذه الأمير على ولاية القضاة أو غيره ، وهو حرام بإجماع المسلمين ، وذريعة لإفساد الدين ، وفتح لأبواب الرشوة وقهر المساكين .

ومن الظلم أيضاً « الرشوة » وهي حرام بإجماع المسلمين ، فلا يجوز للسلطان ولا غيره من القضاة والعمال أن يأخذ من أحد الخصمين ولا من كليهما شيئاً ، ولا قبل الحكم ولا بعده ، ولا أن يقبل الهدية من الرعية فإنها ياب كل بلية ، فإذا دخلت الهدية على ذي سلطان خرج عن العدل والإحسان ،

وكل ما يشتريه سلطان أو غيره ممن يتقى شره . فهو قطعة من نار وصاحبه بالخيار .

ومن الظلم أيضاً العقوبة بالمال كأخذ مال السارق والزاني وهي حرام على كل حال ، إلا إذا كانت جنائية الجاني متعلقة بذلك المال ، كلبن خلط بماء . فالصدقة به حلال .

ومن الظلم أيضاً المكس وهو حرام بالإجماع ، ومن زعم حليته فقد جاء في الخبر « لا يدخل الجنة مكاس » .

المكاسون إخوان الكلاب يامنهم حتي الغراب ، ولا يعلأ عين ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

ومن الظلم أيضاً أخذ العشر أو غيره من أرباب الحقوق أو التركات ، وهو حرام بإجماع المسلمين ، ونصوص الآيات . فطوبى لمن تاب إلى الله قبل المات ، وويل لمن غرته شهواته حتى مات ، فإن وقع بالناس مصيبة تفتقر لمال ولا شيء في بيت المال ، ولا يمكن دفع ضررها إلا من أموالهم وجبت الإعانة عليهم بحسب أحوالهم من غير أن يستمر ذلك عليهم ،

وذلك كسقوط حصن بمكان خوف لا كصبيبة نزلت
بسلطان من قائم عليه لينزع عنه ما بيده .

فقد روى عن مالك رضى الله عنه أنه سئل عن الوالى
إذا قام عليه قائم يطلب إزالة ما بيده هل يجب علينا أن ندفع
عنه ؟ قال « أما مثل عمر بن عبد العزيز ، فنعم ، وأما غيره .
فلا ، ودعه وما يريد منه ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم
من كليهما » .

(ورأس كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية) .

الباب الثامن

في مصارف أموال الله

يجب على كل من بيده شيء من مال الله ألا يصرفه إلا في المصارف التي شرع الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

الكرم دوام الملك . والبخل والتبذير خرابه . فالكرم بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة لمستحقه بقدر الطاقة . فمن خرج عن هذا الحد فقد تمدى وظلم ولاحظ له من الكرم . وهو إما بخيل أو مبذر في أرزاق بيت المال . وكل منهما خراب للمملكة على كل حال : فإن كان البخل أو التبذير من جملة سلطان فعليه أن يستنيب في عطايا مملكته من ثقات خاصة أهله . لأن كلا من البخل والتبذير لا يليق بالملوك ولا يقترن بالمملكة أصلاً . قال الله الذي جعله الله رزقاً لعباده قسمان : قسم لأصناف معينة وقسم فيء يصرفه الإمام في

المصالح . فالأول زكاة العين والحرث والماشية وزكاة المعدن
 وزكاة الفطر . فصرف غير زكاة الفطر الى الأصناف الثمانية
 التي في قوله تعالى (إنا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
 عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
 وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) ويجب صرفها
 في محل الوجوب ناجزاً إن وجد به مستحق وإلا نقلت
 لأقرب مكان فيه مستحق، وإن كان في محل وجوبها مستحق
 وفي غيره أحوج منه صرف في محل وجوبها بعضها ، ونقل
 الأحوج بعضها بحسب الاجتهاد : وأجرة نقلها من الفئ
 لأمنها . ولا يجب تعميم الأصناف كلها فإن أخرجت لبعضها
 أجزاء إلا أن تعطى للعامل فقط فلا تجزى . ويقدم الأهم
 فالأهم . والأحوج فالأحوج ، ويفضل بعضهم على بعض
 بقدر الحاجة .

ومصرف زكاة الفطر : الصنفان الأولان فقط . فتصرف

في محل وجوبها ولا يعطى حارسها منها . فإن تعذر صرفها

فيه في أقرب مكان ممكن كالزكاة . والثاني وهو « الفىء »
 كخمس الركاز والمعاذن وخمس الغنيمة وما يؤخذ من أهل
 الامة وأهل الصلح ، وما يؤخذ من تجارها وخراج الأرضين
 وتركه لا وارث لها . وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب
 بلا حرب . وحكم ذلك كله للإمام يصرفه بالتقوى
 لا بالهوى على الأهم فالأهم من مصالح المسلمين وهو واحد
 منهم . فقد اجتمعت حكماء العرب والهند والروم وفارس على
 أن سخاء الملك على نفسه مع البخل على رعيته عيب وفساد
 لمملكته . وأحق الناس بالتوسعة عليه من مال الفىء حماة
 الدين من قضاة المسلمين والعلماء الأتقياء المرشدين وأهل بلد
 كل مال أحق به من غيرهم ، إلا أن تنزل بهم حاجة فينقل
 إليهم منها بعد إعطاء أهلها ما يغنيهم على وجه النظر . فإن
 كان غير أهل بلد المال أخرج من أهل بلده نقل لهم الأكث
 بحسب النظر . وسيرة أئمة العدل في قسمة الفىء . أن يبدأ
 الإمام بسد ما لا بد من سدده من حصن وسلاح وغيره . ثم
 بأرزاق العلماء والقضاة والمؤذنين كل من يده شيء من

مصالح المسلمين كالمقاتلين . ثم بالفقراء الأحوج فالأحوج
حتى يعمهم بأجمعهم من ذكر وأنثى وصغير وكبير بحسب
احتياجهم وأنواع حوائجهم كالطعام أو الثوب أو بناء البيت ،
ثم يعمهم ما بقى جميع الناس بالسوية غنيهم وأغنام . غريبهم
ومولاهم . إلا أن يرى الامام حبسة للنوائب بنية صادقة
ونظر صائب . فان اتسع الحال أبقى منه في بيت المال فصلة
لما يحدث من النوائب وبناء المساجد وفك الأسرى وقضاء
الديون . ومؤونة تزويج العزاب . وإعانة الحجاج وغير
ذلك من وجوه الاحتياج ، ويفضل آل النبي ﷺ في قسم
الأموال وجميع الأحوال . فقد كان عمر بن عبدالعزيز رضى
الله عنه يخص أولاد فاطمة رضى الله عنها كل عام باثني عشر
ألف دينار سوى ما يعطى غيرهم من ذوى القربى

فهذه سنة صرف أموال الله عز وجل للمسلمين . لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين . قطعوا العدل والإحسان .
ووصلوا الظلم والبهتان . فقلت أرزاقهم وساءت أخلافهم وجاءهم

الموج من كل مكان (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
 فقتنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما
 للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن
 آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
 وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا عن رسلك ولا تخزنا
 يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) والصلاة والسلام على سيدنا
 محمد الأُمِّي خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه
 أجمعين ، وسلاماً على الأنبياء والمرسلين ، وآخِردعوانا أن الحمد
 لله رب العالمين .. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
 والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

مختارات

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى أبا موسى الأشعري :

آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطعم
شريف فى حيفك . ولا ييأس ضعيف من عدلك . ولا يمنعك
قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك
أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم . ومراجعة الحق خير من
التمادى فى الباطل .

اجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو يئنة أمداً ينتمى إليه . فإذا
أحضر بيئته أخذت له بحقه وإلا استعملت عليه القضية ، فالحق
أنفى للشك .

* * *

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله :
« أما بعد : فلتجف يدك من دماء المسلمين . وبطنك من
أموالهم . ولسانك من أعراضهم . فإذا فعلت ذلك فليس
عليك سبيل . . »

قصيدة للعالم الكبير

الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني ، بنى فيها الدين الإسلامي

سماحاً عباد الله أهل البصائر
 تشق ثياب الصبر عند سماعه
 ولا تحسبوا هذا وقاء بحق من
 لقد قام ناعى الدين فيكم منادياً
 وأسمع سكان البسيطة كلها
 أوقر على الأسماع أم في أكنة
 أيدفن فيما بينكم شرع أحد
 ولم ير محزون عليه كأنما
 نكلكموا أين التناصح للهدى
 أضعتم وصايا المصطفى وهجرتوا
 وجئتم بأمر منه يبكي ذوى التقى
 وتشتت من أفعالكم كل أمة
 فباعصبة ضلت عن الحق والهدى
 بأى ملوك الأرض كان اقتداركم
 أنافستموا الحجاج في قبح فعله
 لقول له ينفي منام النواضر
 يصب من الأجفان دمع الحاجر
 تنفض وأضحى في مضيق المقابر
 بأرفع صوت في رءوس المنابر
 فما مؤمن للسامعين بماذر
 قلوب البرايا أم عى في البصائر
 ويهدم من بنيانه كل عامر
 دفتم عدواً فقدده غير ضائر
 وأين التسامى للعلا والفاخر
 طريقته في نهيه والأواصر
 ويضعك منه كل رجس وخاسر
 ويصبح مسروراً به كل كافر
 ومالت إلى أفعال طاغ وفاجر
 فما لكموا في فعلكم من مناظر
 ففعلكم في الجور فعل المفاخر

يقديكموا إبليس حين يراكموا
 نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم
 خراجية صيرتم الأرض هذه
 كذلك الرعايا في البلاد تفرقت
 وقد رضيت بالعشر من عين ما لها
 ولم تقنعوا حتى أخذتم جميع ما
 إذا سئلت عن جوركم وفما لكم
 قتل لقضاء السوء لا در درهم
 أما أخذ الميثاق ربى عليكم
 قنعتهم بأخذ السحت جهراً وبالرشا
 وقلتم لوالى الأمر يأخذ ما لهم
 معاذير راجت عند إبليس لا سوى
 وما خاف مولاهم عليهم وإنما
 وهل جائز إلا الذى قد أمرتموا
 ويأخذ بالمنقول منهم عقارهم
 ويكنز باقيه لتكوى جيئه
 ويا عصابة من قاسم هاشمية
 ومن دون هذا أخرج الترك جدكم

يقول بكم والله قرت نواظرى
 فلم تعملوا منه بنص وظاهر
 وضمنتم العمال شر المعاشر
 وفارقت الأوطان خوف العساكر
 وتسمة أعشار تصير لماشر
 حوته وما قد أحرزت من ذخائر
 أجابت علينا بالدموع البوادر
 أما لكم فى نصحبهم سهم قاصر
 بأن تصحبوا للحق أهل المناكر
 ودافعت عنهم بسيف المعاذر
 إذا ما عليهم خاف سطوة قاهر
 وما هى إلا ضحكة فى المسائر
 غدا منفقاً أموالهم فى العائر
 فما غيره فى ذا الورى بمعاذر
 ويعرض عما قد تلى فى التكاثر
 إلى كم ترون الجور إحدى المفاخر
 إلى كم ترون الجور إحدى المفاخر
 فلو عاش أصلاً كم بجد البواتر

فأحلتُموا ما حرم الله جبهة وجوزتموا فعل المكوس بأرضنا
وقلتم نرى فيها الصالح للورى تساويتموا فى كل قبح فعلتموا
وأحلتموا جمع الزكاة وأكلها ورددتموا نص الكتاب بمنعكم
فطعومكم عين الزكاة تجاربا وأما الجراءات التى كل ليلة
فى الترد قد أنفقتُموا وحشيشة بما قد رأينا فى حسين بن طالب
وبأن لكم من غير شك غريمه وحايتم الجاني لأجل قرابة
أكابركم قد ميزوا لصالحهم وأشنع خطب ما يقول خطيبكم
منابر كانت للمواعظ والهدى ملأتم بلاد الله جورا وجثتموا
ووليتُموا أمر العباد شراركم وقد كنتم ترمون من كان قبلكم
وشر ذنوب الخلق ذنب المجاهر وتوفيرها ظلما على كل تاجر
وربكوا أدري بما فى الضائر أكابركم فى فعلهم كالأصاغر
كأجل أهل البيت صيدا الجزائر فقيرا وإعطاء الغنى للساكر
وملبوسكم من مكسكم فى البنادر تسمى سيارة وهى إحدى المفاخر
وخر نحر وهو لاسر ونقطعيه ملقى بمنح المقابر ولكن طرحتم فوقه ثوب سائر
وخشيتكم من حربكم فى الخواضر وإغضائهم عن موجبات الأوامر
من الكذب المنسوب فوق المفاير فما بالها عادت لسخرة ساخر
بما سودت منه وجوه الدفاتر وخولتموا أعمالكم كل ما كر
بظلم وجور قد جرى فى العشائر

وقلتم نرى المهدي قد بان جورته
صدقم لقد كان الظلوم وإنما
وكل فتى قد كان يشكو فعاله
وما أخذ الأوقاف قط وما شكت
ولا ترك الشنجي يأخذ مالها
فبالأخذ كم أغلقت من مدارس
وكم في زبيد أغلقت من مساجد
وفي عافش كم قرية قد تعطلت
ولو تشتري تلك المساجد بأعها
ويا وزراء السوء يا شر فرقة
إلى أي حين في الضلالة أنتم
فملا بالحربي الشقي اعتبرتموا
هو الرأس في هاذي المظالم كلها
ولكنكم جئتم بأضعاف ظلمه
وقلتم نرى الأحياء أمواهم لهم
ولكن دعوا أهل الخليفة كلهم
ومن ختم من شره وفساده
فما يفعل الإنسان مثل صنعكم
لكل سميع في الأنام وناظر
بجوركم قد عاد أحسن شاكر
وسيرته قد عاد أحمد شاكر
مساجدنا في عصره أخذ قادر
ويا بئس مأمورا ويا خزي آسر
وكم من سبيل قد غدا غير عامر
وأغلق فيها جامع للأشاعر
مساجدها من كل تال وذاكر
بيخس وما بالي بصفقة خاسر
وأخبث مأمور لنساء وآسر
جهلتم بأن الله أقدر قادر
ففي فعله للخلق أعظم زاجر
وأول من شاد الضلال لآخر
وزدتم على ما شاده من مناكر
خذوها جهاراً يا ولاية البنادر
وأعوانه من حاكم وموازر
كرومان وابن الحاج أهل العشائر
فلا تشمتوا من بعد هذا بكافر

وأفعالكم لو دمت عداً لحصرها
 وبأعمالكم الدين مالى أراكم
 أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 فإنهم عصوكم فاهجروهم وهاجروا
 إذا كان هذا فعل قاض وعالم
 فموت الفتى خير له من حياته
 ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا
 وما الله عما تعملون بغافل
 وقد أرسل الآيات منه مخوفاً
 وماكم بقحط ما سمعنا بمثله
 أجيئوا عباد الله صوت مناصح
 وقوموا سراعا نحو نصرته دينكم
 وحسن ختام النظم أركى صلاتنا
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

لأنيت في الدنيا مداد الحابر
 تفاضيتوا عن موجبات الأوامر
 فأعرضتم عن ذلك إعراض هاجر
 تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
 وحال أمير مع وزير مظاهر
 بدار هوان بين واش وغادر
 صواعق قهار وسطوة قادر
 ولكنه يعلل لطاغ وفاجر
 ولكن غفتم عن سماع الزواجر
 وحبس سحاب بالإغاثة ماطر
 دعاكم الدين ماله من مناظر
 إذا رتمتموا في الحشر غفران غافر
 على المصطفى والآل خير المفاخر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن عبد الله الثبيتي : مالتى من قومه من الأذى

ومعارضة الحق ونصر الباطل :

ويرجوه نصراً عاجلاً غير آجل

يقول الذى يرجو من الله عفو

وعما يقول الناس ليس بسائل

لمن يتقى المولى ويرجو لقاءه

ولو أن فهمى قاصر فى المسائل

أقول بحمد الله قولاً متقياً

إذا قلت يهوى له كل عاقل

عليه من النص الصريح شواهد

وزاد غرامى من مديم الطوائل

وحالى ظلمت مرة بمدمرة

وما تاب عنها من جميع القبائل

وصالت بنو سعد على حيلة

ویرمونى فى سدها بالقوائل

كأنى عليهم قد جنت جنابة

ولو ناقونى واستعزوا بباطل

يريدون دحض الحق والحق ظاهر

وقالوا رزقنا بأخذ الوسائل

رجال على الظلم العظيم تناصروا

وسلطانهم قول الجدود والأوائل

ويدعون غير الله فى كل لحظة

إذا لم تكن مقرونة بالدلائل

فقلت ذروا الأقوال ليست بحجة

ولا يرتضى من عندهم قول قائل

تريد دليلاً من كتاب وسنة

وما أغنت الأقوال عن كل عادل

فكم قال فرعون وكم قال غيره

وتبديل دين للجدود بهازل

فقالوا ذروا المسكين هذا ترندق

عليه بفعل الشر رحب للنازل

ولكنكم شددوا الوثاق وضيّقوا

وما الله عما يفعلون بغافل

فالقوا على ما استطاعوا من الأذى

هو الله حسبي ثم بالله ضلوقي
أسر بما بي والعيون هوا بر
وفي مدعى الإسلام قلبي مؤمل
فقد رآهم كلهم قد تفرقوا
تواروا وإني حسرة متأسف
فما بين دهرى وما بين مشرك
ولو بذلوا الأموال بقلل ربنا
تركنا الكتاب والحديث وراءنا
لقد حصل المقصود منا عدونا
مشينا جميعا في فساد صلاحنا
وتستعجب الأعداء منا لأننا
أحاطت بنا الأعداء من كل جانب
وصاروا بحاراً يفرق الفلك موجهها
وتخترع الأعداء للحرب قوة
وليس لها منازعيم مصادم
ونحن هبطنا للتراب تواضعاً
فتباً لخب مشرك خاف به
وتباً لعباد الدنانير وكلهم
ولست على من صال منهم بصائل
بدمع على الخدين نج كوابل
على المهل منهم ليس عنهم بذاهل
قلوبا على ما أظهروا من هوائل
عليهم وجاءت رعدة في المفاصل
ولم يعرف الإسلام غير القلائل
إذا الفرض ضاع لاغنى بالنوائل
لأجل مجالات أنت بالتهازل
ومقصودنا منهم فليس بحاصل
ورمنا مرأما خاسراً غير طائل
كمثل القطا تصطادنا بالحبال
كأننا طعام قدموه لا كل
ونحن لهم صرنا كمثل الجداول
وقد هددت من لم يطع بالتقابل
أنت تتمطى ما لها من مقابل
نريد نجاحاً من خفيف القسايل
وداع سواه عند صرع الأثا كل
وتباً لكل الجاهل المتعائل

وتباً لقوم عز فيهم سفيهم
فمن عظم الخسران عز عدوم
ذهبنا جميعاً للعدو غنيمه
نُصبتنا وقد كنا على الفعل رفعتنا
حلقنا لحانا كالجوس تشبهاً
لبسنا الحرير كالعروس تجملاً
وضاقت علينا الأرض من بعد رحبها
فيا ليت للاسلام في الحال شوكة
رجال يرون الموت مجداً وجنة
تذود عن الدين القويم بسيفها
خيا من له في مالك الملك رغبة
ولا تكسلن في رضا الله يافتي
ومن لم يكن حزماً لكل أموره
وهذا زمان ذل فيه سميع
ومن كان ذا عي^ة يقال فصيحنا
وصل صلاة منك لا منتهى لها
محمد المبعوث للناس رحمة

ومستسلم للنهم من دون حائل
وصاروا كمثل القاصرات الأرامل
وكل شجاع صفدوا بالسلاسل
وصار الفتى الفعّال ليس بفاعل
ونستحسن من بعد لبس الخلاخل
لترغبنا عين القبيل المقابل
وقد كدرت طراً جميع المناهل
ذووا نجدة يخشاهموا كل جاهل
عن الذل من فعل الصقور الخلاخل
ومن أرضها تنفي جميع الأراذل
تجنب نواهيها تكن خير عامل
فما فاز من رام العلا بالتكاسل
غزاه العدو من طريق التكاسل
وقد عز فيه كل فسل وخامل
وكل فصيح لقبوه بياقل
على من سما قدراً على كل فاضل
وآل وأصحاب حصاب المناضل

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

ورد في ١٣ شهر ١٢ سنة ١٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة للأخ المحترم عبد الله بن عبد الله الثبيتي يشكو فيها غربته
الإسلام وما وقع فيه كثير من الناس من دعاء القبور والأموات .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين ، أما بعد فإنه لما كان عام الخمس والستين ^(١) أرسل
الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله ^(٢) هيئة إلى قرى في أقصى الحجاز
وموجب ذلك أنه ذكر للشيخ أصنام تعبد من دون الله ، أشجار
وقبور ، فذهبوا بأمر الشيخ إلى المذكور فلم يجدوا شيئاً لأنهم لا يعرفون
القرى المذكورة ، فرجعوا إلى الشيخ قالوا لم نجد شيئاً فأرسل معهم
رجل يسمى عبد الله بن عبد الله الثبيتي ودلهم على الأصنام فهدموها
ورجعوا إلى مكة ، ثم أن الرجل المذكور عبد الله أنشأ منظومة نبطية فيما
جرى في هذه القضية ، وحث الإمام عبد العزيز رحمه الله على إزالة
تلك المعابد والمزارات التي أفست دين الإسلام (وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا) فقال رحمه الله :

(١) بعد الألف والثلاثمائة هجرية .

(٢) ممחה رئيس القضاة في الحجاز .

يَا اللَّهُ إِنِّي طَالِبُ مِنْكَ السَّامِحَ
وَالرَّسُولَ يَقُولُ فِي الطَّيِّبِ مَبَاحَ
وَالرَّسُولَ يَقُولُ جَاهِدَ بِاللِّسَانِ
وَالْإِمَارَةَ تَنْتَظِرُهَا بِالْعِيَانِ
سَدَّتِ الْبِدْعَةَ وَبَدَّعَتِ السَّنَنَ
وَحَاصِلُ فِي الْحَالِ عِبَادَةٌ وَثَنَ
وَكُلُّ قُطْبٍ حَطَّوْا لِقَبْرِهِ قُبَّ
قَالُوا إِنَّا نَسْتَعِينُهُ بِالْكَرْبِ
وَالْقُطْبُ يَقُولُ نَحْنُ قَادِرِينَ
وَأِنْ غَضِبْنَا نَهْلِكُ النَّاسَ أَجْمَعِينَ
قُلْتُ يَا ذَا النَّاسِ مَا هَذَا الْعَمَلُ
خَالَقُ الْإِيْوَانِ وَإِنْ شَاءَ أَيْتَمَا
قَالُوا أَتَرَكَ عَنْكَ فَيْدَ مَسِيلَةٍ
قُلْتُ مَا لَأَبْصَارِكُمْ مَتَغَامِيَةً
قَالُوا إِنَّهُ يَاهِيْلُ مَنِينٌ جِيَتْ
لَوْ يَحْيِيكَ السَّرُّ مِنْ حَيْثُكَ غَشِيَتْ
قُلْتُ خَالَقُنَا هُوَ الْحَيُّ الْمَمِيتُ
الْمُبْصَرُ لِي إِذَا أَنَّى عَمِيَتْ

بعد ما غزير الشعر منى فاح
وانته محلل لجميع الطيبات
عند غربة الدين في تال الزمان
والبدع والشرك في كل الجهات
وما حصل في الشام حاصل في اليمن
ناس يدعون القبور الخامدات
قلت يا ذا الناس ما هذا السبب
وكل يوم جوله برايه وشاة
نرحم الديرة إذا كانت سنين
وإن رضىنا نجعل ذكور وبنات
ربنا رحمان رب الأرض والسما
متكفل بجميع الكائنات
لا نسوى فيك والله هيلة
عن حجج خير الأنام البيئات
انته عن سر المشايخ مادريت
انته ما حقتك لا تؤد الزكاة
كفؤ يكفيني إذا أنى بليت
مطلع في البينة والخلافيات

مستوى ما له شبهه ولا مثيل
مرسل محمد علينا بالدليل
والله إنه باطل ما تفعلون
وإنكم لو ذرة ما تملكون
يا محب الحق أطع محمداً
واجتنب باقى الخليفة ما عدا
وهم أبو بكر وعلى مع عمر
والنجوم الزاهرة بفسد القمر
يا عظيم الشأن تغفر ذنبا
وأسالك يارب تهدي لنا
يرسل لنا فى الحجاز معلمين
وأسرام للمساجد هاجرين
وعم هذا الشرك فى الديرة وطم
يا امام أحذر من العدل الحكيم
لا يفرونك محقة الدقون
لو نصحت لهم فلا لك ينصحون
إن رأوا منكراً فلام منكرون
غير فى هذه المسائل يجمعون
جاعل إبراهيم من رسله خليل
وقد بلغنا بحججه البينات
وإنكم فى قولكم لكاذبون
بل طواغيت وكفار عصاة
الذى أرسل إلينا بالهدى
أربعة لاجت عليك المشكلات
معهم عثمان فى نص الخبر
والرسول أوصى بهم قبل المات
ولدليل الحق يارب أهدنا
الإمام يجعل معنا هيئات
حيث أهله تراهم جاهلين
لا قرآن ولا حديث ولا صلاة
والعرب صاروا أشد من العجم
لا يفرك من يحط مصنفات
لو تراهم فى المجالس يزعمون
جمع وقلوبهم متفرقات
قومه فى الدين عنها يعدلون
مثل قول المصطفى منعا وهات

عاشق الدنيا يفوت الآخرة
حين يوقف والتجارة خاسرة
ما يزحزح عن وقوع الواقعة
يسحبونه سحبا لتلك الهاوية
زينة الدنيا تواليها الفنا
والعمر لا بد له من منتهى
لا يفرونك سخيخين العقول
والسعيد الذي مسك شرع الرسول
لا تقدم في الأمور إلا ذهين
لا تقدم في الأمور مققلين
ما يشونك من حصل له مظلمة
والغنى يبرق لكم بمكالمات
من مشى بالحق مذموم حقير
والكبر لله سبحانه هو الكبير
كل راعٍ يسأل عما رعى
والحكم عدل لمن جا وادعى
والرسول أوصى على الدين الصحيح
والنصيحة مقتضى القول الصحيح
ثم أختتم بالصلاة والسلام
كلكم صلوا على خير الأنام
صلى الله على محمد وآله وصحبه والتابعين أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فوق رأسه استدبر الدائرة
يا خسارة من وقع في المهلكات
وأرسل الخالق له زبانية
وكلوا به ماله منهم نجات
من كسبها ما يفيد إلا العنا
فازوا أهل الأعمال الصالحات
ما بعد حال الطلوع إلا النزول
الذي يرد عنه المبطلات
من خيار الذي بهم تقوى ودين
ثم يحصل في الأمور مدهانات
غير للشرطة تبسح للمحكمة
والضعيف تجمي عليه معدلات
والغنى ما عاد يحسن للفقير
لا لخلق تفارقه الحياة
في نهار فيه الأمة تجمعا
عالم بالبيئة والخافيات
في كتاب الله والسنة صريح
أسأل الله الهداية والثبات
عدد ما صلى المصلي في المقام
الرسول الذي بعث بالمعجزات
والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأدب

قال الشيخ عيسى بن محمد الملاحى رحمه الله :

القول فى آداب الصحبة والتأدب مع الخالق عز وجل
والخلق . اعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك وسفرك
ونومك ويقظتك بل حياتك وموتك هو ربك ومولاك ،
وسيدك وخالقك مهما ذكرته فمرز جليستك . قال تعالى : « أنا
جليس من ذكرنى » ومهما انكسر قلبك حزناً على تقصيرك
فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك إذ قال الله تعالى :
« أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » فلو عرفته حق معرفته
لا تأخذته صاحباً ، وتركت الناس جانباً فإن لم تقدر على ذلك فى
جميع أوقاتك ، فإياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه
بمولاك وتلذذ بمناجاته ، وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة
مع الله تعالى .

فآدابها إطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون
الجوارح ومبادرة الأمر واجتناب النهى وقلة الاعتراض على
القدر، ودوام الذكر وملازمة الفكر وإيثار الحق على الباطل،
والياس من الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت
الحياء، والسكون عند الكسب ثقة بالضمان والتوكل على
الله ومعرفة بحسب الاختيار، وهذا ينبغي أن يكون شعارك
في جميع ليلك ونهارك، فإنه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك
بعض أوقاتك.

وإن كنت عالماً فأداب العالم تسعة عشر، سمة الاحتمال،
ولزوم الحلم، والجلوس بالهيبة على سمة الوقار مع إطراق الرأس
وترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجر آلهم عن الظلم،
وإيثار التواضع في المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق
بالمتعلم والتثبت بالمتعجرف وإصلاح البليد بحسن الإيثار له وترك
التكبر، وترك الأتفة من قول لأهري. وصدق الهمة إلى
السائل وتفهيم سؤاله وقبول الحجة له والالتقياد للحق بالرجوع

إليه عند الجفوة ، ومنع المتعلم من كل علم يضره ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى ، وصد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرض عينه لإصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ، ومواخذته نفسه أولاً بالتقوى ليقتدى المتعلم أولاً بأفعاله ، ويستفيد ثانياً بأقواله .

وإن كنت متعلماً فأداب المتعلم مع العالم أن يبدأ بالتحية والسلام ، وأن يقل بين يديه الكلام ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه أولاً ، ولا يقول في معارضته قال فلان بخلاف ما قلت . ولا يشير عليه بخلاف رأيه أنه أعلم بالصواب من أستاذه . ولا يسار جلسه في مجلسه ولا يمدّ رجليه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب بل يجلس مطرقاً متأدباً كأنه في الصلاة ولا يكثر السؤال عليه من ملالة ، وإذا قام قام له ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله ، ولا يسئ الظن به في أفعاله . وليتذكر قول موسى عند ذلك للخضر عليهما السلام (أخرقها لتفرق أهلها لقد جئت شيئاً إصراً) وكونه غططاً

في إنكاره اعتماداً على الظاهر .

وإن كان لك والدان فأدب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمثل أمرهما . وأن لا يمشی أمامهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ويلبي دعوتهما ويحرص على طلب رضاهما ويخفض لهما جناح الذل ولا يئن عليهما بالبرلما ولا القيام بأمرهما ، ولا ينظر إليهما شزرا ولا يفضب وجهه في وجوههما ولا يسافر إلا بإذنهما .

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقتك ثلاثة أقسام : إما أصدقاء وأخوة وإما معارض وإما مجاهيل ، فإن بليت بالعوام المجهولين فأدب بمجالسة العامة ترك الخوض معهم في حديثهم ، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم ، والاحتراز عن كثرة لقاءهم ، والحاجة إليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عن رجاء القبول منهم .

وأما الأخوة والأصدقاء فعليك فيهم صفتان : إحداها أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصدقة فلا تؤاخ إلا من يصلح

للاخوة قال رسول الله ﷺ « المرء على دين خليله، فلينظر
أحدكم من يخال، فإذا طلبت رفيقا فليكن شريكاً لك في
التعليم وصاحباً لك في دينك ودنياك » فراع فيه خمس
خصال : الأولى العقل فلا خير في صحبة الأحق فألى الوحشة
والوقيعة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أن يضرته
وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحق :
قال على رضي الله عنه تعالى :

لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى حلماً حين أخاه

يقاس المرء بالمرء إذ هو ماشاه

وللشئ على الشئ مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب ، دليل حين يلقاه

الثانية : السوء الخلق ، فلا تصاحب من سوء خلقه وهو

الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة ، وقد جمعه علقمة

الطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال : يا بني إذا أردت صعبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإذا صحبته زانك وإذا وقعت بك مؤنة ما نكر ، أصحب من إذا مديده بخير مدها ، وإذا رأى منك حسنة عدها ، وإذا رأى منك سيئة سدها . أصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإذا حاولت أمراً أمدك ، وإت تنازعتما في شيء آثرك ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

إن أخاك الصدق من كان معك

ومن يضر نفسه لينفعك

ومنه إذا ريبُ الزمان صدعك

شئت منه شمله ليجمعك

الثالثة : الصلاح فلا تصحب فاسق أصر على معصية كبيرة ، لأن من يخاف الله لا يصر على معصية ومن لا يخاف الله تعالى لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الأعراض والأحوال .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هواه وكان أمره فرطاً) فاحذر صحبة الفاسق ، فإن
مشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهة
المعصية ويهون عليك أمرها ، ولذلك هان على القلوب معصية
الغيبة لإلفهم لها ولو رأوا خاتماً من ذهب ملبوساً في يد فقيه
اشتد إنكارهم عليه ، والغيبة أشد من ذلك .

الرابعة : أن لا يكون حريصاً على الدنيا ، فصحبة الحريص
على الدنيا مم قاتل ، لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء ،
بل الطبع يسرق منه الطبع من حيث لا يدري الإنسان ،
فخالطة الحريص تزيد في حرصك ومخالطة الزاهد تزيد
في زهدك .

الخامسة : الصديق ، فلا تصحب كذاباً فإنك منه على
غرور ، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد القريب .
ولعلك لا تدري إجماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد ،

فعليك بأحد أمرين: إما العزلة وإما الانفراد، ففيهما سلامتك، وإما أن تكون مخالطتك مع شريك بقدر خصاله

ولتعلم أن الأخوة على ثلاثة: أخ آخرتك ، فلا تراعي فيه إلا الدين ، وأخ لدنياك فلا تراعي فيه إلا الخلق الحسن ، وأخ لتأنس به فلا تراعي فيه إلا السلامة من شره وخبثه .

والناس في حق الصحبة ثلاثة : أحدهم مثله مثل القدر لا يستغنى عنه . والآخر مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت ، والآخر مثله مثل الدواء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد يبتلى به ، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجب مداراته إلى وقت الخلاص من شره ، وفي مشاهدته فائدة عظيمة ، إذا وفقت لها وهي أن تشاهد من خبثه وأحواله وصفاته ما تستقيحه فتجنبه ، فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن .
وقيل لعل عليه السلام من أدباك ؟ قال: ما أدبني أحد . رأيت -
جمل الجاهل فاجتنبته ، ولقد صدق رضى الله عنه . فلو اجتنب

للناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا
عن المؤدب .

الوظيفة الثانية : مراعاة حقوق الصحبة ، مهما كان
العقد والشركة ، وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة . فعليك
حقوق توجبها عقد الصحبة فللقيام بها اداب .

وقد قال عليه السلام « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداها
الأخرى » ودخل عليه السلام أجمة فاجتني منها سوا كين أحدهما
معوج والآخر مستقيم ، وكان معه بعض أصحابه فأعطاه
المستقيم وأمسك المعوج لنفسه . فقال يا رسول الله أنت أحق
بالمستقيم مني فقال عليه السلام « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة
من نهار إلا سئل عن صحبته هل أدى فيها حق الله أو أضاعه »
وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا
كان أحبهما إلى الله تعالى أرفقهما بصاحبه »

فآداب الصحبة ثلاث : إثارة المال فإن لم يكن فقليل من

الفضل من المال عند الحاجة والإعانة بالنفس من الحاجات على سبيل المبادرة من غير إخراج إلى الالتماس وكتمان السر، وستر العيوب عن تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث وترك الممازاة له، ويدعوه بأحب الأسماء إليه وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنائعه في حقه، وأن يذب عنه في غيبته إذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه، وأن ينصحه باللطف والتعريض إن احتاج إليه، وأن ينفو عن زلته وهفوته، ولا يميم عليه وأن يدعوله في صلاته، وفي خلوته، وفي حياته، وبعد مماته وأن يحسن له الوفاء معه ومع أهله وأقاربه بعد موته، وأب يؤثر التخفيف عنه، فلا يسكفه شيئاً من حاجاته، وأن يظهر له جميع ما يباح له من مسارة، فيروح سره عن مهماته والحزن على ما ناله من مكارهه، وأن يضر له مثل ما يظهر، فيكون صادقاً في حبه سرّاً وعلانية، وأن يبدأ بالسلام عند إقباله وأن يوسع له

في المجلس ويخرج له من مكانه ، وأن يشيعه عند قيامه ،
وينصت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه ، ويترك
المدخلة في كلامه . وعلى الجملة فيعامله بمثل ما يجب أن يعامل
به ، فمن لا يجب لأخيه مثل ما يجب لنفسه فأخوته نفاق ،
وهي عليه في الدنيا والآخرة وبال . فهذا أدبك في حق العوام
المجهولين ، وفي حق الأصدقاء والمؤاخرين .

وأما القسم الثالث : وهم المعارف ، فاحذر منهم فإنك لن
ترى الشر إلا ممن تعرف ، وأما الصديق فيعينك ، وأما الجهول
فلا يتعرض لك .

وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة
بألسنتهم ، فأقل من المعارف ما قدرت ، فإذا ابتليت بهم في
مدرسة أو جامعة أو مسجد أو سوق أو بلد فيجب أن
لا تستصغر منهم أحداً فإنك لا تدري لعله خير منك ، ولا
تنظر إليهم بعين التعظيم في حال دنياهم قهملك لأن الدنيا

صغيرة عند الله تعالى صغير من فيها، ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد قصرت في حق الله تعالى ، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فلن يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ثم حرم ما عندهم فإن عادوك فلا تقابلهم بالمداوة ، فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك فيهم ويطول تعبك وعناؤك ، ولا تسكن إليهم في حال إكرامهم ، إياك وثناهم عليك في وجهك وإظهارهم المودة لك . فإنك إذا طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً .

ولا تطمع أن يكونوا لك في السر والعلن سواء ، ولا تتمتع أن تلبوك في الغيبة ولا تفضب منهم ، فإنك إذا أنصفت وجدت في نفسك مثل ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك والديك . فإنك تذكرهم في الغيبة بما لم تشافهم به وأقطع طمعك من ما لهم وجاههم ومعونتهم ، فإن الطامع إلا كثر خائب في المال وهو لا محالة في الحال .

وإذا سألت واحداً حاجة فقضاها ، فاشكر الله تعالى ثم

اشكره ، وإذا قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصبر عداوة ، وكن
 كالْمُؤْمِنِ فِي طَلَبِ الْمَعَاذِيرِ وَلَا تَكُنْ كَالْمُنَافِقِ بِطَلَبِ الْعُيُوبِ ،
 فَقَدْ قَصَرَ لَمَذَرٌ فِي ذَلِكَ لَهُ لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ وَلَا تَطْمَنُ أَخْذًا مِنْهُمْ
 مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيهِ غَيَايِلَ الْقَبُولِ وَإِلَّا لَمْ يَسْمَعْ مِنْكَ وَصَارَ خَصْمًا
 عَلَيْكَ فَإِذَا أَخْطَوْا فِي مَسْأَلَةٍ فَكَانُوا يَأْنِفُونَ مِنْهُ التَّعَلُّمُ مِنْ كُلِّ
 وَاحِدٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ عِلْمًا وَيَصْبَحُونَ لَكَ أَعْدَاءَ إِلَّا
 إِذَا تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَعْصِيَةٍ يَقَارِفُونَهَا عَلَى جَهْلِهَا فَادْكُرْ الْحَقَّ بِالطَّيْفِ
 مِنْ غَيْرِهِ .

فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْرًا ، فَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي جَاءَ
 بِكَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ سُوءَ فِعْلِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتَعِذْ
 بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ وَلَا تَقْلُ لَهُمْ لَا تَصْرَفُونَ حَقِّي وَأَنَا فُلَانٌ ،
 وَأَنَا الْفَاعِلُ فِي الْعُلُومِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَلَامُ الْحَقِّ ، وَأَشَدُّ النَّاسِ حِمَاةَ
 مَنْ يَرْكَبُ نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَسْلُطْهُمْ عَلَيْكَ
 إِلَّا لِذَنْبٍ سَبَقَ مِنْكَ ، فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ عِقُوبَةٌ
 مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُنْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَهْمٌ عَلَى بَاطِلِهِمْ سَلُوقًا
 بِحَاسِنِهِمْ صَمُوتًا عَنْ مُسَاوِيهِمْ .

واحذر مخالطة متفقه الزمان ، لاسيما المشتغلين بالخلاف
والجدال ، فاحذر منهم فإنهم يتربصون بك لحسدكم ريب
المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ،
ويحصون عليك عثراتهم تكن في عثراتهم حتى يهجوكم بها
في غضبهم ومناظراتهم لا يقبلون لك عثرة ولا يغفرون لك
زلة ولا يسترون لك عورة يحاسبون على النقيير والقطمير ،
ويحسدون على القليل والكثير ، ويعرضون عليك الإخوان
بالنميمة والبلاغة والبهتان ، إن رضوا فظاهرهم الملق ، وإن
سخطوا فباطنهم الحق . ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب
هكذا .

هذا ما قطعت به المشاهدة في أكثرهم إلا من عصم
الله تعالى ، فصحبتهم خسران لنا ومعاشرتهم خذلان ، هذا حال
من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهر بالعداوة ولذلك قيل :
فاحذر من عدوك مرة

واحذر من صديقك ألف مرة

قلربما انقلب الصديق عدواً فكان أعرف بالمضرة
وكما قيل :

عدوك من صديقك مستفاد
فلا تكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال :

هلال بن العلاء الرقي :

لما عفوت لم أحقد على أحد	أرحت نفسي من هم العدوات
إني أحبي عدوي عند رؤيته	لأقطع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كأنه قد ملأ قلبي مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه	فكيف أسلم من أهل المودات
والناس داء دواء الناس تركهم	وفي الجفا لهم قطع الإخوان
فسام الناس تسلم من غوائلهم	وكن حريصاً على كسب النقيات

تخالف الناس واصبر إن بليت بهم أصم أبكم أعمى ذا نقيات

وكن كما قال بعض الحكماء : الق صديقك وعدوك
بوجه الرضا في غير مذلة لهما ولا هيبة منهما ، وتوقر في غير
كبر وتواضع من غير مذلة ، وكن في جميع أمورك أوسطها وكل
طرفي قصد الأمور ذميم كما قيل :

عليك بأوساط الأمور فإنها طريق نهج الصراط قويم
ولا تكن في فهم الأمور مفرطاً كلا طرفي قصد الأمور ذميم

ولا تنظر في عطفك . ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على
الجماعات وإذا جلست فلا تستوفر وتحفظ عن تشييك أصابعك ،
والعبث بلحيتك وخاتمك ، وتحلل أسنانك . وإدخال أصابعك
في أنفك ، وكثرة بصاقتك وتنخمك وتمخطك ، وطرده
الذباب عن وجهك ، وكثرة الضحك ، والتمطى والتثاؤب
في وجوه الناس في الصلاة وغيرها .

وليكن مجلسك هادئاً . وحديثك منتظماً مرتباً ، واصف
إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط .

ولا تسأله إعادته فيه. واسكت عن الضحك عند الحكايات.
ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنعك
وساير أحوالك. ولا تتصنع تصنع المرأة في الزين. ولا
تتبدل تبدل العبد. وتوق كثرة الكحل والإسراف بالدهن.
ولا تلج في الحاجات. ولا تشجع أحدا على الظلم. ولا تعلم
أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك. فإنهم إن رأوا
قليلا هنت عليهم، وإن رأوا كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وأخفهم
من غير غف. ولن لهم من غير ضعف ولا تنازع عبدك
وأمتك فيسقط وقارك من قلوبهم. وإذا خاضعت فتوقر
وتحفظ من جهلك وعجلك في حجبتك. ولا تكثر الإشارة
باليد، ولا تكثر الالتفات من ورائك. ولا تبحث على ركبتك،
وإذا ذهب غيظك فتكلم. وإذا قربك السلطان، فكن منه
على مثل حد السنان. وإياك وصديق العافية. فإنه أعدى
الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

بسم الرحمن الرحيم

كشف الشبهة والحجاب

« قال الشيخ عيسى بن محمد الملاحى »

« ممن توقف فى حل أموال المحاربين من المرتدين والأعراب »
الحمد لله الذى انفرد بالوحدانية والقدم . وخلق الإنسان
بقدرته التامة من العدم ، وخص من شاء بأنواع العلوم النافعة
والحكم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الملك
الأعظم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله برسالة
إلى العرب والعجم . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
حفظوا سنته وبلغوها فى سائر الأمم . وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنه قد وقع لكثير من الناس التوقف عن الجهاد
مع أئمة المسلمين وإعانتهم على من بغى عليهم وعن استحلال
ما غنموه من المشركين والمرتدين ، معللاً بأنهم ظلمة للناس فسقة
بأنفسهم وأن قتالهم لأجل الدنيا لا تكون كلمة الله هي العليا

ودينه هو الظاهر، قلت : وهذا تعليل باطل . وليس الأمر كما
 زعموا بل الجهاد باق إلى يوم القيامة مع كل بر وفاجر، وإعانتهم
 وطاعتهم واجبة على كل مكلف على حسب قدرته ما لم يأمرُوا
 بمعصية فإن أمرُوا بمعصية فلا سمع ولا طاعة وما غنموه من
 من المشركين والمرتدين فهو حلال للمسلمين . وسنذكر ذلك
 مفصلاً إن شاء الله ونبين من يحل دمه وماله ممن لا يحل .
 ومن يجب قتاله ممن لا يجب . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ فصل في بيان ما يجب ويحرم من طاعة أولى الأمر ﴾

قال تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى
 الأمر منكم » الآية .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : واختلف أهل التأويل
 في أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في هذه الآية ، فقال
 بعضهم هم الأمراء .

وهذا مروي عن أبي هريرة وابن عباس وميمون بن مهران .
 وقال ابن زيد عن أبيه : هم السلاطين ، وقال آخرون : هم العلماء

والفقهاء . وهذا مروى عن مجاهد وابن أبي نجيح . إلا أنه قال : والعقل بدل العلم وهو مروى أيضا عن ابن عباس وعطاء ابن السائب والحسن وقيل هم أصحاب محمد ﷺ وقيل : هم أبو بكر وعمر . قال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار بذلك عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأمراء والولاة فيما كان فيه طاعة لله وللمسلمين مصلحة لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « سيلي عليكم بعدى ولاة فيبليكم البر بیره والفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا فيما وافق الحق ، وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلهم ولكم وإن أساؤا فلكم وعليهم » .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية . فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

قال رحمه الله : فإذا كان معلوماً أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله ورسوله ، أو إمام عادل وكان الله قد أمر بقوله : « أطيعوا

الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» .

بطاعة من أمرنا : كان معلوماً أن الذين أمر بطاعتهم تعالى ذكره من ذوى أمرنا هم الأئمة ، ومن ولوه المسلمون دون غيرهم من الناس ، وأن فرض القبول من كل أمير أن يترك معصية الله ويدعو إلى طاعته أنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر ونهى فيما لم تنفهم به حجة إلا للأئمة الذين ألزم الله عبادهم طاعتهم فيما أمروا به برعيتهم ، مما هو مصلحة لعامة الرعية فإن على من أمروه بذلك طاعتهم وكذلك فى كل مالم يكن لله معصية ، وإذا كان ذلك كذلك كان معلوما صحة ما اخترناه من التأويل دون غيره . انتهى كلام ابن جرير ، رحمه الله تعالى

وقال البخارى رحمه الله تعالى (باب السمعة والطاعة) :
للإمام مالم يأمر بمعصيته ، وساق بسنده عن ابن عمر رضى الله
عنهما عن النبي ﷺ قال : « السمع والطاعة حق مالم يأمر
بمعصية فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وقال المجد رحمه الله تعالى : (باب الصبر) على جور

الأئمة وترك قتالهم. وساق في الباب أحاديث، منها حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية » .

وعن عرجة الأشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » رواها أحمد ومسلم .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه . قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان » متفق عليه .

قال في شرح مسلم : « قوله إلا أن تروا كفراً بواحاً » وفي الحديث دليل على أنها لا تجوز المناظرة إلا عند ظهور الكفر البواح .

قال النووي : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاية الأمور

في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً تعلمونه من قواعد الإسلام. فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم، وقولوا بالحق حيناً كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام، باتفاق المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين. وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته. انتهى كلام النووى رحمه الله.

وقال في الفتح وقال غيره: إذا كانت المنازعة في الولاية فلا يقدح أحد في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل راية المعصية. هذا إذا ما كانت المنازعة فيما عدا الولاية فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية، بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق بغير عنف وحمل ذلك إذا كان قادراً. انتهى.

ونقل ابن القين الدارودى: قال الذى عليه العلماء فى أمراء الجور إنه إن قدر على خلعهم بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليهم.

قال فى الفتح: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان.

المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهما ، ولم يستثنوا ذلك إلا إذا واقع السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك . بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث . انتهى .

قال النووي : أجمع أهل السنة على أنه لا ينزل السلطان بالفسق ، قال عياض : أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر ، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انزل . قال وكذلك لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها . قال وكذلك عند جمهورهم البدعة . وقال بعض البصريين : تنعقد للمبتدع وتستدام لأنه متأول .

قال عياض : فلو طرأ عليه كفر وتغير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ، ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك ، فإن لم يقع إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحققوا المعجز لم يجب

للقيام على المبتدع ، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر
بدينه . انتهى ملخصاً من شرح مسلم .

قلت : وتبين بمجموع هذه الأحاديث والآثار أن طاعة
ولاية الأمر في المسلمين واجبة ما لم يأمروا بالمعصية فإنه لا
ولاية لكافر على مسلم ، وأنه متى استولى عليه الكافر ولم
يقدر على إزالته ولا على الامتناع منه ، فلهجرة واجبة عليه إلى
أهل الإسلام وولاياتهم ، والله المستعان ، وصلى الله على محمد .

﴿ فائدة ﴾

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ
« الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة ، والغنى عقوبة ،
والعقل هداية من الله ، والجهل ضلالة ، والظلم ندامة ، والطاعة
قرة عين . والبكاء من خشية الله نجاة من النار ، والضحك
هلاك البدن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » . رواه أبو بكر
البيهقي الشافعي في شعب الإيمان .

(فائدة)

قال أبو الفرج الرازي : قال أحمد بن حنبل : إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه ، وإذا رأيت مع أصحاب البدع . فإياس منه إن الشاب مع أول نشأته . انتهى .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المد والجزر في تاريخ الإسلام

للعلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد . فقد أصيب العالم الإسلامي في هذه السنين

مكبات أفزعت المسلمين وأيقظت مشاعرهم ، لقد
 نكب المسلمون في الهند نكبة عظيمة فقد قتل منهم سنة
 ١٩٤٧ م عام التقسيم أكثر من مليون نفس ، وذبحوا مثل
 الضأن والغنم وحصدوا كالزرع ، وهم الذين فتح آباؤهم هذه
 البلاد في القرن الخامس وهم حفنة من الناس يأتون من
 بلاد بعيدة فيوغلون في الهند غزواً وفتحاً ويشخونها قتلاً
 وجراحاً ، ويؤسسون دولة عظيمة دامت نحو ثمانية قرون ،
 ونكب العالم العربي في فلسطين نكبة عظيمة فقد اجتمعت
 سبع دول عربية بمجنودها وأسلحتها لتكافح الصهيونية
 وتدافع عن البلاد المقدسة وعن قبلتها الأولى فلم تغن شيئاً ،
 وقامت دولة إسرائيل على رغم الدول العربية ومصالحها
 وإبائهم ، وجشمت على صدرها واستولت على أخصب رقعة
 وأجملها وأوسعها في فلسطين العربية ، وعلى طرف الثمام من
 مركز الإسلام ، والذين أسسوا الدولة الإسلامية الكبرى
 في القرن الأول وحاربوا الإمبراطورية الرومية ،

والامبراطورية الفارسية في وقت واحد وهزموها شرهزيمة،
وذابت وتحلت أمامهم أعظم قوة في العالم ، كانوا أقل عدداً
من نفوس بلد صغير من بلاد الدول المرية اليوم .

هنا وقف الناس يتساءلون وحق لهم أن يتساءلوا : لماذا هذا
الفرق الهائل بين الجيل الجديد والجيل القديم ، ولماذا كان
ينتصر العدد القليل وينهزم العدد الكثير، ولماذا هذا الجزر
العظيم بعد ذلك المد العظيم ؟ وما هو منبع القوة وسر الانتصار
في التاريخ ، وإذا استعرنا التعبير المعصرى فما هو الزر
النفسي الذي يرسل التيار الكهربائي في حياة المسلمين ويضيء
العالم ، وما هو مفتاح النور والقوة الذي ضيعه المسلمون
منذ قرون ؟

أهمنى هذا السؤال أيضاً كسلم له ما للمسلمين ، وعليه ما
عليهم ، وأردت أن أكون جاداً مخلصاً في هذا السؤال فلا
أخدع ولا ألتحذم ، وبحث عن خير ثقة شاهد الجيل الأقدم

والرعيّل الأول من المسلمين ، وشاهد الجيل الجديد وسائر
الركب الإسلامي في سفره الطويل ، فعزف مقدمه
ومؤخره وأوله وآخره ، هنالك رجعت إلى التاريخ فهو
الطويل العمر الذي عاصر الطبقة الأولى للمسلمين ، والطبقة
الأخيرة ، وهو الشاهد العدل الذي لا يكذب
ولا يشهد بالزور ، وقلت له : حدثني بالله أيها التاريخ
الأمين ، كيف وجدت هؤلاء الذين خرجوا من جزيرة
العرب في ثياب مرقمة ونعال مخصوفة وعدد ضئيل فدكوا
كل دولة ، وكسروا كل شوكة ، وهزموا كل جند وأسسوا
دولة من أعظم دول العالم ؟ وكيف وجدت الذين ورثوا هذه
الدولة العظيمة والمجد العظيم وضعوه ولم يستطيعوا أن يحافظوا
على تراثهم فضلا عن أن يضيفوا إليه ، وماذا وجدت من
الفرق بين هؤلاء وأولئك مع كل شبه في الأجسام والإنسانية
والأسماء والأنساب وكثير من المظاهر والأشكال ؟
وحدثني التايخ في شرح وتفصيل ، وصور لي طرق

هذه الأمة ، ووضع يدي على الزر ، فسجلت ما قال التاريخ ودوّنته في مقالة ، وإلى الأمم الإسلامية والشعوب العربية أقدم هذه المصارة التاريخية ، وأعرض هذه المرأة الصادقة لترى فيها وجهها ، وتقارن بينها وبين المسلمين الأعزة الفاتحين ، وتهتدي إلى منبع القوة ومصدر الحياة ومفتاح النور والشرف إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المد والجزر في تاريخ الإسلام)

كان العرب قبل الإسلام أمة كادت تكون خاملة منعزلة عن العالم ، فقد فصلتها عن العالم المتمدن المعمور البحار من ثلاثة جوانب ، وصحراء من جانب ، وكانت من الأخطاط والانقسام والضمة والحوول . فكان لا تطمح فيه حيناً من الدهر إلى غزو البلاد ، ولا تحمل بالانتصار على الدول المجاورة لها في المنام ، ولا تحدث به نفسها يوماً من الأيام .

هذا ودولتا فارس والروم يومئذ سيدتا العالم ، وزعيمتا الشرق والغرب ، وقد أحاطت بملكتهما بشبه جزيرة العرب إحاطة السوار بالمعصم . وإنما زهد الفرس والرومان في فتح هذه الجزيرة وعورتها ، وقلة خيراتها ومواردها ، وما يكلفهم ذلك من رجال وأموال ، هم في غنى عن إنفاقها في هذه الصحراء المجربة ، وفي هذه الأمة الفقيرة ، وإنما اكتفوا برقابهم

السياسية عليها ، ويأمراتهم التي أنشأوها على ثغور هذه الجزيرة الواسعة ولهواتها .

هكذا كانت هذه الأمة التي كانت لتمثل دوراً مدهشاً في تاريخ العالم عن قريب ، كانت أمة بدوية موهوبة - ولكن مواهب ضائعة - لا يرفع الناس بأفرادها في العراق والشام ومصر رأساً ، إذا مروا بهم تجاراً أو ممتارين ، ولا يحسبون لهم حساباً . ولا يهتم شأنهم إلا ما يهم أهل المدن شأن الأعراب المستغربين في اللباس والصورة واللسان ، ولا يذكرونهم إذا إذا ذكروهم . إلا بذلاقة لسانهم وفصاحة منطقهم وشجاعتهم ، وجودة خيلهم ووفائها ، إلى غير ذلك مما قد تعرفه الأمم المتقدمة عن الأمم البدوية .

وإذا أردت أن تعرف منزلة العرب عند أهل العالم ، قبل الإسلام ، والنظرة التي كان ينظر إليهم بها جيرانهم في الشرق والشمال ، فاستعرض الآراء التي أبدتها رجال ذلك العصر من أهل البصر والمعرفة ، ووافق عليها العرب أنفسهم وزادوا عليها .

فما حفظ لنا التاريخ من هذه الآراء : ما قال إمبراطور الدولة الفارسية لسفراء المسلمين .

جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ، بعد ما ساق حديث رسل المسلمين في مجلس يزدجرد .

قال : « فتكلم يزدجرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تفزوكم فارس ، ولا تطلبون أن تقوموا لهم ، فإن كان عددكم كثر فلا يفرنكم منا ، وإن كان الجهد دهاكم ، فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم » .

فقال المغيرة بن شعبه :

« أيها الملك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً . فأما ما ذكرت من سوء الحال . فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا : فلم يكن بشبه الجوع . كنا نأكل الخنافس والجمالان والمقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فيأخذ

هي ظهر الأرض، ولا تلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبنى بعضنا على بعض، وإن كان أحداً ليدفن إبنته وهي حية. كراهية أن تأكل من طعامه، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك فبعث الله إلينا رجلاً^(١).

وجاء في هذا الكتاب أيضاً :

« قد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليحكمه، فذهب إليه المغيرة بن شعبه. فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهائته بهم، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً، وأقلهم داراً وقدرآء، وقال ما يمنع هؤلاء الأساورة^(٢) حولي أن ينة ظموكم بالنشاب إلا محاً من جيفكم، فإن تذهبوا نخل عنكم، وإن تأبوا نذركم بمصارعكم. قال : فتشهدت وحمدت الله، وقلت :

(١) البداية والنهاية ج ٤٧ ص ٤٢ .

(٢) الإسوار والأسوار عند الفرس : القائد ، أساور وأساورة .

لقد كنا أسوأ حالا بما ذكرت حتى بعث الله رسوله الخ^(١) .
وفي هذا الكتاب أيضاً :

« ذكر الوليد بن مسلم : أن ماهان طلب خالداً ليبرز إليه
فيما بين الصنفين ، فيجتمعما في مصلحة . فقال ماهان : إنا قد
علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع . فاهلموا إلى أن
أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً ، وترجعون
إلى بلادكم : فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها »^(٢) .
وهذا كله يدل على ما كان يساوى العرب عند الروم ،
وعلى ما كان لهم من قيمة ومنزلة عندهم .

ولكن سرطان ما تغيرت الأحوال وانقلبت الحقائق ،
وبطلت التجارب السابقة وتاه العقل . إذ خرج هؤلاء الأعراب
من صحرائهم يفتحون ويقهرون ويغلبون ويخضعون : تدفق
هذا السيل من مدينة الرسول ﷺ عاصمة العرب الإسلامية

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٠٩ .

(٢) أيضاً : ج ٧ ص ١٠ .

لإحدى عشر سنة للهجرة النبوية واثنين وثلاثين وست مائة ليلاد المسيح ، فغلب كل شيء اعترضه في الطريق وطما على السهل والجبل ، ولم تكن جيوش فارس والروم ومصر وغيرها المعدودة بمئات الألوف الشاكية السلاح . الشديدة البطش التي كانت الأرض ترتل بهازلا لا . لم تكن هذه الجنود المجندة إلا حشائش في هذا التيار الجارف . فلم تعق سيره ولم تغير مجراه ، حتى فاض في مروج الشام وفلسطين وسهول العراق وفارس وربوع مصر والمغرب الأقصى وأودية هملايا ، سال هذا السيل القوى بالمدينيات العتيقة والحكومات المنظمة القوية ، والأمم العريقة في المجد والسلطان فأصبحت خيراً بعد عين (وجملناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) .

خرج العرب من جزيرتهم فاحتكوا بابا فرس والروم ، وكان العرب يكرهون وجوههم ^(١) ويرهبون سطوتهم في ديارهم ، ولكن

(١) قال الطبري : عندما أراد عمر فتح فارس تخوفوا من الفرس وعجبوا كيف يستطيعون أن يحاربوهم ؟ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأنقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزمهم وقهرهم الأمم (تاريخ الطبري ج ٤ : ٦١) .

هانوا عليهم في هذه المرة فغزوه في عقردارهم، ونزلوا بساحاتهم.
فالبثوا أن مزقوا جوعهم شر ممزق وثلوا عروشهم، ووطأوا
تيجان ملوكهم، وفتحوا كنوزهم واقتسموا أموالهم وترات
ملوكهم وسبوا ذراريهم، ومزقوا رداء فخرهم وعظمتهم فلم يرفع
أبدآ، وكسروا شوكتهم فلم تعد أبدآ، وهلك كسرى فلا كسرى
بعده، وهلك قيصر فلا قيصر بعده (وأورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها).

خرج هؤلاء العرب من جزيرتهم في ثياب ضفيقة مرقعة،
ونعال وضيعة مخسوفة. يتقلدون سيوفاً بالية الأجفان رثة
المحامل، على خيل بعضها عارية الظهور متقطعة الغرز. قد بلغ
بهم البعد عن المدينة إلى حد أنهم كانوا يحسبون الكافور
ملحاً وربما استعمله بعضهم في المعجن^(١) فالبثوا أن ملكوا

(١) قال ابن كثير: كان المسلمون يجيئون بمض تلك الدور فيجدون
للبيت ملأنا إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة ويجدون من الكافور
شيئاً كثيراً فيحسبونه ملحاً، وربما استعمله بعضهم في المعجن فوجدوه
صراً حتى تبينوا أمره (البداية ج ٧ ص ٦٧).

الدنيا ، وامتلكوا ناصية أمم بعيدة الشأن في المدينة ، انقلب
 رعاء الشاة والإبل رعاة لأرقى طوائف البشر في العلم والمدنية
 والنظام ، وصار هؤلاء أساتذتهم في العلم والآداب والأخلاق
 والتهديب وحقت كلمة الله (ونريد أن نذكر عن علي الذين استضعفوا
 في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .

هذه القوة القاهرة بعد ذلك الضعف المخزي . وهذا النشاط
 الغريب بعد ذلك الجود العجيب . وهذا الانتباه السريع بعد
 ذلك السبات العميق . لغزة من ألغاز التاريخ . وقد اتفقت
 كلمة المؤرخين على أن هذا الحادث ، أغرب ما وقع في التاريخ
 الإنساني ، وإليك بعض ما قال المؤرخون الأوروبيون :

يقول المؤرخ جبون : « بقوة واحدة وببجاح واحد زحف
 العرب على خلفاء أغسطس (في الروم) واصطخروا (في فارس)
 وأصبحت الدولتان المتنافستان في ساعة واحدة فريسة لعدو
 لم يزل موضع الازدراء والاحتقار منهما . في عشر سنوات من
 من أيام حكم عمر أخضع العرب لسلطانها ستاً وثلاثين ألفاً من

المدن والقلاع . خربوا أربعة آلاف كنيسة ومعبد للكفار ، وأنشأوا أربعة عشر ألفاً من المساجد لعبادة المسلمين . على رأس قرن من هجرة محمد ﷺ من مكة امتد سلطان خلفائه من الهند إلى المحيط الاطلانطىكى . وترفرف علم الإسلام على أقطار مختلفة نائية : كفارس وسورية ومصر وأفريقية وأسبانيا^(١) .

ويقول ستوارد الأمريكى فى كتابه حاضر العالم الإسلامى : « كاد يكون نبأ نشوء الإسلام النبأ الأعجب الذى دون فى تاريخ الإنسان ، ظهر الإسلام فى أمة كانت من قبل ذلك العهد متضععة الكيان وبلاد منخطة الشأن . فلم يحض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر فى نصف الأرض ممزقاً بممالك عالية الذرى . مترامية الأطراف ، وهادماً أدياناً قديمة كرت عليها الحقب والأجيال ، ومنغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام وبانياً عالماً حديثاً متراس الأركان . وهو عالم الإسلام .

(١) انمطاطرومة وسقوطها ، المجلد الخامس ص ٤٧٤ - ٤٧٥ طبع
اكسفورد .

كلما زدنا استقصاءً باحثين في سر تقدم الإسلام وتعالیه زادنا ذلك العجب العجائب بهراً . فارتدنا عنه بأطراف حاسرة . عرفنا أن سائر الأديان العظمى إنما نشأت ثم أنشأت تسير في سبيلها سيراً بطيئاً ملاقية كل صعب ، حتى كان أن قبض الله لكل دين منها ما أراد له من ملك ناصر وسلطان قاهر ، انتحل ذلك الدين ثم أخذ في تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه ومنعت جوانبه . بطل النصرانية قسطنطين . والبوذية « أسوكا » والمزدكية فيا كبرو . كل منهم ملك جبار أيد دينه الذي انتحل به استطاع من القوة والأيد . إنما ليس الأمر كذلك في الإسلام . الإسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية . تجوب فيافيها شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة في التاريخ . فلسرعان ما شرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعة في جهات الأرض مجتازاً أفدح الخطوب وأصعب العقبات . دون أن يكون له من الأمم الأخرى عون يذكر . ولا أزر مشدود . وعلى شدة هذه المسكاره فقد نصر الإسلام نصراً مبيناً عجيباً ، إذ لم يكده غصى على ظهوره أكثر من

قرنين حتى باتت راية الإسلام خفاقة من « البرانس » حتى
(هملايا) ومن صحارى أواسط آسية حتى صحارى أواسط
أفريقية» (١).

ويقول مؤرخ عصرى (٥ ، ١ ، ل فيشر) فى كتابه تاريخ
أوربا : r لم يكن هنالك (فى جزيرة العرب قبل الاسلام)
أثر لحكومة عربية أو جيش منتظم أو لطموح سياسى عام .
كان العرب شعراء خياليين محاربين وتجاراً . لم يكونوا سياسيين ،
إنهم لم يحدوا فى دينهم قوة تثبتهم أو توحدهم . إنهم كانوا
على نظام منحط من الشرك . بعد مائة سنة حمل هؤلاء
المتوحشون الخاملون لأنفسهم قوة عالمية عظيمة . إنهم فتحوا
سورية ومصر . ودخلوا وقلبوا فارس ، ملكوا تركستان
الغربية وجزءاً من بنجاب . إنهم انتزعوا إفريقية من البازنطيين
والبربر . وأسبانيا من القوط . هددوا فرنسا فى الغرب .

(١) حاضر العالم الإسلامى ج ١ تعريف الأستاذ عجاج نويهض
مقدمة فى نشوء الإسلام .

والقسطنطينية في الشرق ، نخرت أساطيلهم المصنوعة في الاسكندرية وموانئ سورية مياه البحر المتوسط ، اكتسحت الجزائر اليونانية . وتحذت القوة البحرية للامبراطورية البازنطينية ، لم يقاومهم إلا الفرس وبربر جبال الأطلس إنهم شقوا طريقهم بسهولة . حتى صعب في بداية القرن الثامن المسيحي أن يقف في وجههم واقف . ويعرقل سيرهم في الفتح والاستيلاء . لم يعد البحر المتوسط بحر الروم . بل أصبح حوضاً عثمانياً لا سيطرة فيه لغير الترك . ووجدت الدول النصرانية من أقصى أوروبا إلى أقصاها منذرة مهددة بمحضارة شرقية مبنية على دين شرقي » .

ويقول مؤلف اشتراكى : « إن الإنسان ليدهش إذا تأمل السرعة الغربية التي تغلب بها طوائف صغيرة من الرحالين . الذين خرجوا من صحراء العرب مشتعلين بحماسة دينية على أقوى دولتين في الزمن القديم ، لم يعض خمسون سنة على بعثة محمد ﷺ حتى غرز أتباعه علم الفتح على حدود الهند في جانب .

وعلى ساحل البحر الإطلانطيكي في جانب آخر . إن خلفاء دمشق الأولين حكموا على امبراطورية لم تسكن لتقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل . على نهاية القرن الأول للهجرة ، كان الخلفاء أقوى ملوك العالم .

كل نبي جاء بمعجزات آية لما يقول . وبرهان أعلى صدقه . ولكن محمداً ﷺ هو أعظم الأنبياء وأجلهم إذ كان انتشار الإسلام أكبر آيات الأنبياء وأروعها إعجازاً وخرقاً للعادة . إن إمبراطورية أغسطس الرومية بعد ما وسعها بطلها تراجان نتيجة فتوح عظيمة في سبعة قرون ولكنها لا تساوى المملكة العربية التي أسست في أقل من قرن . إن إمبراطورية الإسكندر لم تكن في اتساعها إلا كسر آمن كسور مملكة الخلفاء الواسعة . إن الإمبراطورية الفارسية قاومت الروم زهاء ألف سنة . ولكنها غلبت وسقطت أمام سيف الله في أقل من عشر سنوات .

والآن ننظر في هذا الحادث الغريب نظراً علمياً تحليلياً .
ونبحث عن أسبابه الحقيقية .

الجنود والدول في هذا العالم المادى تغلب الجنود والدول
 على الغالب لوفرة عددها . أو بزيادة عدتها وعتاها ولأنها
 أحسن في الشكة والسلاح . وفي التنظيمات العسكرية . وفائقة
 في النظام الحربى . فنتناول جميع هذه العلل المادية التى يرجع
 إليها الفضل في انتصار الجيوش والدول عامة ونبحث فيها
 علة علة .

أما العدد فعلم أن كانت النسبة بعيدة بين المقاتلين في
 العدد وفي جميع المواقف الحاسمة والمعارك الفاصلة في كفاح
 الإسلام والنصرانية والمجوسية ، وكان الروم والفرس أضعاف
 عدد المسلمين في أكثر الوقائع . هذه اليرموك . كان الروم
 الذين نفروا لقتال المسلمين يبلغ عددهم إلى مائة ألف وثمانين
 ألفاً ، وفي رواية مائتى ألف . وفي رواية أربعين ومائتى ألف ،
 وأقل ما روى عن عددهم عشرون ومائة ألف ، وأكثر
 ما ذكر عن المسلمين أنهم كانوا أربعاً وعشرين ألفاً ، كذلك
 كانت النسبة بعيدة في وقعة القادسية ، وهى أختها في العراق
 والنتيجة معلومة وما يوم حليلة بسر .

وقد اعترف بقلة المسلمين ووفرة جنود الروم والفرس المؤرخون جميعاً ، ولم يعللوا الفتح الإسلامى الغريب فى التاريخ بكثرة عدد مقاتلة المسلمين . جاء فى الفصل الرابع من الجزء السابع من « تاريخ العالم » للأستاذين « غود فرواد موبين » و « بلاتونوف » .

« إن العرب الذين أفاضوا من الجزيرة لفتح الأمصار ، لم يكونوا عصائب لا تحصى ولا تعد . تدفقت على الشرق المتمدن . فقد أحصى مؤرخو العرب الجيش الأول المسلمين فى اليرموك بثلاثة آلاف ، ثم أرسل إليهم الخليفة بنجدة أبلغتهم ٧٥٠٠ مقاتل ، وأخيراً تمام عددهم ٢٤ ألفاً ، وأما عدد الروم فقال العرب : إنه كان مائة ألف ، وقيل : ١٢٠ ألفاً ، وقيل : ٢٠٠ ألف مقاتل : ولم يزد مؤرخو بيزنطية على ٤٠ ألفاً ، وعلى كل حال كان المدد الأكبر لأعداء العرب ، وهكذا فى حروب فارس » ^(١) .

(١) حاضر العالم الإسلامى حواشى الأمير شكيب أرسلان ج ٢ ص ٢٩

ومعلوم أن جزيرة العرب قليلة العراش ، بالنسبة إلى مساحتها واتساع رقعتها ومعظمها صحراء ورمال وعساء . وأرض قاحلة جرداء . أما البلاد التي زحف عليها المسلمون ورموا فيها بأنفسهم . فهي من أخصب بلاد الله مستبصرة العمران مكتظة بالسكان . وكانت خليتها تعسل حيناً بعد حين ، وتقطع بعوثاً إثر بعوث . وتتدفق سيول من الجيوش والمقاتلة وتأثمهم الميرة من كل مكان لا تكاد تنتهى .

وكان العرب الغرباء كنقطة مغمورة في بحار من الأعداء نازحين عن بلادهم . منقطعين عن مركزهم . ولا يصلهم المدد إلا بشق الأنفس وبعد شهور . لا يجدون من الميرة إلا ما يتغلبون عليه وينزعونه من أيدي أعدائهم انتزاعاً . فلو تطوعت جزيرة العرب كلها لقتال الروم والفرس ونفر جميع أهاليها للجهاد في سبيل الله — على أن ذلك من المستحيل لما وقعوا من العالم التصرانى والمجوسى . وهما أكثر من نصف

الأرض المعمورة . فكان . فكيف والذين تطوعوا للجهاد
ما كانوا نصف عشر عمران الجزيرة ؟ .

أما العدد والعتاد ، فكان العرب أفقر فيها وأقل منهم في
العدد ، فلم تكن هناك جنود مرتزقة ، ولا جيوش منظمة
تعبئها الحكومة وتسليحها من عندها . ثم تبعثها كاملة السلاح
تامة الجهاز . إنما كان متطوعون يجهزون أنفسهم ، وينفرون
شوقاً إلى الجهاد في سبيل الله ورجاء ثوابه ، ومنهم من لا يجد
راحة ويلتمس عند غيره فلا يجد ، فيقعد متلهفاً على ما يفوته
من سعادة الجهاد في سبيل الله ، وقد أنزل الله فيهم (ولا على
الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه ،
تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون -
براءة) .

وكان المسلمون تدرهم أعين الروم والفرس لما خرجوا
لقتالهم ، وكانوا يسخرون من سلاحهم ونبالهم وثيابهم
ويضحكون ، قال أبو وائل ، أحد الذين شهدوا القادسية :

كان الفرن يقولون للمسلمين : لا يدلكم ولا قوة ولا سلاح ،
ما جاء بكم ؟ ارجعوا . قلنا : ما نحن براجعين . فكانوا يضضكون
من نبلنا ، ويقولون : دوك دوك ، وشبهونا بالمغازل ^(١) .

قال ابن كثير : وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه
إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الواقعة ، فاستأذنوا على كسرى .
فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم
على عواتقهم ، وسياطهم بأيديهم والنعال في أرجلهم ، وخيولهم
الضعيفة وخطبها الأرض بأرجلها ، وجعلوا يتعجبون منها غاية
الدهج . كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها
وعُددها ^(٢) ؟ .

ويقول « ما كس ما يرهوف » في تأليفه (العالم الإسلامي) :
« يكاد يكون مستحيلاً أن نفهم كيف أن أعراباً منقسمين
إلى عشائر ليست عندهم العدد والأعتدة اللازمة يهزمون في

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤ .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٢ .

مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان والفرس الذين كانوا يفوقونهم مراراً في الأعداد والتادوا كانوا يقاتلونهم وهم كتائب منظمة^(١).

ومما قيل في تعليل غلبة المسلمين أن العرب كانوا فائزين في نظامهم الحربي على الروم والفرس في ذلك العصر، وكانت كتائبهم أحسن تنظيمًا وتدريبًا، وأفضل نظامًا عسكرياً وأكثر انقياداً لأمرائها وقوادها من العساكر الرومية والفارسية، وأن الفضل في انتصار العرب مع قلتهم وانكسار الروم والفرس رغم كثرتهم، يرجع إلى مراس العرب للقتال وضراوتهم بالحروب وولوعهم بالغزو والنهب ونشاطهم الجاهلية الأولى النشأة الحربية المحضة.

هذا الكلام يشبه أن يكون وجيهاً وأكثر صواباً من التلميذات السابقة، ولكنك إذا انتقدته كباحث ومؤرخ.

(١) حوانى الأمير شكيب أرسلان، حاضره العالم الإسلامى

وجدته ،خالطة كبيرة يغالط بها الكتاب الأوريون .
ويتعلمون بها ، وقد يفهمون ، وقد لا يفهمون .

قد ثبت في تواريخ القرون الوسطى أن الروم (وكذا
الفرس) كانوا راقين في نظامهم الحربى فى ذلك العصر ، وقد
بلغت الدولة البزنطية فى بداية القرن السابع المسيحى زهوها
وأوج فتوحها الحرية .

فى ذلك العهد دحر الروم الفرس وردوهم على أعقابهم
وجاسوا خلال الديار ، وعبر هرقل جبال الكرد ونهر دجلة
غازياً منتصراً . وبعد حرب دامية فى ساباط ، ومركة فاصلة
فى تدينوا دخل دستجرد ، وتقدم إلى المدائن ، وغرز علم الفتح
الرومى فى قلب فارس ، وذلك كله فى سنة ٦٢٥ م . يعنى
قبل زحف المسلمين على الشام بإثنى عشرة سنة فقط .

وقد أفادت هذه الحروب الطاحنة التى بدأت فى سنة ٦٠٣
الفريقين (الروم وفارس) من جهة الحروب والتدريب كثيراً ،
وقد استفاد الفريقان أساليب جديدة للاقتال وحركة وحسن

بلاء في الحرب ، وتعلم كل فريق منهما من الآخر كما كان الشأن في الحرب الصليبية في القرون الوسطى .

وقد اعترف جيون مؤرخ رومة الكبير بفضل الروم على العرب في الحروب ونظامها ، فقد قال في كتابه (المجلد الخامس ص ٤٧٨) :

« أنا ألاحظ هنا وسأكرره مراراً أن هجوم العرب وقتالهم لم يكن مثل الرومان واليونان الذين كانت لهم رجالة قوية مستحكمة ، كانت القوة العسكرية للعرب مركبة من فرسان ورماة ، وكانت الحرب التي قد تقاطعها مبارزات شخصية ومناوشات من القتال قد تستمر وتطول بغير حادثة فاصلة إلى عدة أيام » .

أما ما قيل من مراس العرب للقتال وتدريبهم عليها بفضل خروبهم القبلية التي كادت تكون مستمرة وتمكنهم بها من الانتصار على الروم والفرس ، فلم تكن هذه المناوشات والغزوات الطائفة بحيث يتمكن بها العرب من قهر

الامبراطوريتين الكبيرتين الرومية والفارسية ، وقد خضع العرب مع هذا كله للعبيشة وفارس في جنوب العرب وانسحبوا أمام جيوش أبرهة في زحفها على مكة ، وأن الله هو الذي تولى حراسة بيته وكفى قريشاً القتال. وجعل أصحاب الفيل كعصف مأكول ، ولماذا لم يجسر العرب على الخروج من جزيرتهم وغزو البلاد، وفتحها في هذه القرون الطويلة التي قضوها في شبه جزيرتهم في خمود وخمول تام ؟ لماذا لم يهاجموا الروم والفرس ، كما فعلوا بعد بمئة محمد ﷺ بغير تراخ ؟

ولماذا لبثوا الأحقاب والأجيال الطوال « معكومين على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم » كما يقول قتادة أحد التابعين الكبار^(١) .

أما ما قيل عن النظام فلا تنس كر حسن نظام العرب في حروبهم وغزواتهم وروح التعاون والتفادى السارى في جنودهم،

والطاعة والانقياد لأمراء الجيوش وقوادها؛ والتفانى والاستماتة في سبيل الله .

ولكن يعلم الخبير أن النظام ليس شيئاً صناعياً ميكانيكياً يحصل بمجرد تنظيمات عسكرية . وفنون حرية . وقواعد رياضية . ولو صفت الحجارة تصقيفاً بديعاً . أو أقيمت العمدة والسوارى على نظام فنى رياضى كامل لم تنفع شيئاً .

وقد قرأت في التاريخ . أن الروم والفرس قد كانوا في بعض المواقف الجليلة يسلسلون أنفسهم ويحفرون لهم في الأرض لثلاً يندحروا أو ينسحبوا من ميدان القتال، ثم لا ينفى هذا عنهم شيئاً . فليس الشأن كله في النظام في الحرب . إنما الشأن الكبير والتأثير البليغ للروح، والمبدأ والغاية التي يقاتل لأجلها الجنود، وتمكنها من النفوس وهى منبع القوة المخارقة للعادة . ومبعث الشجاعة التي تبهر العقول وسبب الفتوح العظيمة التي يتدهش لها المؤرخون والفلاسفة .

وعن هذا المنبع نبحت في نفوس العرب الأولين الذين

خرجوا لفتح العالم . وفتحوا نصف الأرض في نصف قرن .

منبع هذه القوة وسبب هذا الانقلاب العظيم الذي لا يوجد له مثل في التاريخ . أن العرب أصبحوا بفضل تعليم محمد ﷺ أصحاب دين ورسالة فبعثوا بعثاً جديداً وخلقوا من جديد ، وانقلبوا في داخل أنفسهم فانقلبت لهم الدنيا غير ما كانت وانقلبوا لها غير ما كانوا ، رأوا إلى العالم حولهم - وطالما رأوه في جاهليتهم بدهشة واستغراب - فإذا الفساد ضارب أطنا به . وإذا الظلم ماذر واقع وإذا الظلام يخيم على العالم كله . وكل شيء في غير محله فقتوه وأبغضوه . ورأوا إلى الأمم وطوائف البشر حول جزيرتهم . وطالما رأوها بتعظيم وإجلال وغبطة وإكبار . فإذا أنعام ودواب في صورة البشر (يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) وإذا صور ودعى قد كسيت ملابس الإنسان ، فاستهانوا بهم وبما هم فيه من ترف ونعيم وزخارف وزينة . وقرأوا قول الله تعالى : (زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) (ولا تعجبك أموالهم

ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفُسهم
وهم كافرون).

وعلموا أن الله قد ابتعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى
النور. ومن عبادة العباد إلى عبادة الله. ومن ضيق الدنيا إلى
سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وأورثهم أرضهم
وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطؤوها واستخلفهم في الأرض
ومكنهم فيها، وقرأوا قول الله تعالى: (ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)
وقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني
لا يشركون بي شيئاً) وتعلقوا بقول نبيهم ﷺ:

«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها،
وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكثرين:
الأحر والأبيض^(١)».

وقوله : « إذهبك كسرى فلا كسرى بعده . وإذا هلك
قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزها في
سبيل الله ^(١) » .

وعرفوا أن الله قد ضمن لهم بالنصر ووعدهم بالفتح فوثقوا
بنصر الله ووعد رسوله واستهانوا بالقلة والكثرة . واستخفوا
بالخوف والأخطار وذكروا قول الله تعالى : (إن ينصركم
الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده .
وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقوله : (وكم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) .

وقد فطن بهذه الحقيقة معاصري المسلمين وأعدائهم . وأهل
النظر والتمييز في ذلك العصر من الروم والفرس . فمن ذلك
ماروي ابن كثير أن هرقل لما انتهى إليه خبر زحف المسلمين
قال لأهل الشام : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد وإنهم لا قبل
لأحد منهم فأطيعوني وصالحوهم بما يصلحونكم على نصف

خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم. وإن أنتم أبيتم ذلك
أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم^(١).

أما عقيدة المسلمون أنهم مبعوثون إلى الأمم موكلون
بإخراج الناس إلى عبادة الله وحده، وأن الله متولى نصرهم
ضامن بظفرهم فستامحه وتلمسه في كل ما كان يصدر من
المسلمين من كلام وفعال ومن ثقتهم، وسكينة قلوبهم.

ومن ذلك ما روى أن الأمراء لما كتبوا إلى أبي بكر
وعمر في اليرموك يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم وما
يقابلونه من خطر داهم وعدد لا قبل لهم به. كتب إليهم:
أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً. وألقوا جنود المشركين
فأنتم أنصار الله والله ناصر من نصره وخاذل من كفره. ولن
يؤتى مثلكم عن قلة. ولسكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها^(٢).
ولما استشار عمر في أصحابه في مسيره إلى الفراق بوقعة نهاوند

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٥.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٥.

قال له علي بن أبي طالب «يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر وجنده الذي أعزه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده»^(١).

ولذلك كانوا يخاطرون بأنفسهم ويأتون بأعاجيب وأعمال خارقة للعادة ثقة بنصر الله واعتماداً على موعوده . حتى إنهم خاضوا بخيولهم في دجلة . وكانوا يتحدثون مطمئين كأنهم سائرون على البر، وكان منظر أغريباً وجعل الفرس يقولون ديوان آمندد يعنون الجن والعفاريت . ويقولون ديوانه ديوانه يعنون المجانين . وكان الذي يسير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي فجعل سعد يقول : حسبن الله ونعم الوكيل والله لينصر الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزم من الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بني أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الإسلام جديد . ذلت لهم والله

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٠٧ .

البحور كما ذلل لهم البر . أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن
منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً فخرجوا منه كما قال سلمان :
لم يفرق منهم أحد ولم يفقدوا شيئاً^(١) .

بشت هذه العقيدة النفيسة طمأنينة في أنفسهم وسكينة
في قلوبهم . وشجاعة خارقة للعادة واستهانة بالمدد والعدد
وعدم عبادة للمادة . وعدم اتخاذ الأسباب أرباباً ، وعرفوا
أنهم يقاتلون بقوة الدين ويظفرون ويفلبون ببركة الاسلام
فكانوا شديدي الاحتفاظ كثيرى الاعتداد بها يتمثل ذلك
فيما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه . روى يونس عن
ابن إسحاق : أن المسلمين بلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة
ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة (والمسلمون لا يزيدون
على ثلاثة آلاف) فلم يبلغ المسلمين ذلك أقاموا على معان ليلتين
يفتظرون في أمرهم . وقال : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبه
بعدد عدونا . فيما أن يعدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره

فمنهضى له . قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما تقاتل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة . وما تقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين . إمام ظهور وإمام شهادة . قال فقال الناس : قد والله صدق رواحة ، فمضى الناس ^(١) .

وكانوا واثقين بما وعدهم به رسولهم ﷺ من الفتح العظيمة فإذا رأوا من ذلك شيئاً قالوا (هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) .

جاء رجل إلى أبي عبيدة يوم اليرموك فقال : إني قد تهيأت لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، تقرئني السلام وتقول يا رسول الله : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ^(٢) .

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٢ .

وقد بلغوا في قلة الاهتمام بالعدد والاستخفاف بشأن العدو وكثرته حتى كأنهم من حديد والعدو من طين وخزف ، أو كأنهم مناجل والعلوج^(١) حقول ومزارع وقد أينعت وحن حصادها .

قال المؤرخون : لما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ؟ فقال خالد : ويلك أنتخوفني بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لو ددت أن الأشقر برأ من توجعه وأنهم أضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفا واشتكى في محبته من العراق^(٢) .

وقد ارتفع هؤلاء وعلت همهم وكبرت نفوسهم وعظم الدين والحقيقة والأخلاق ، في نظرهم حتى صغرت الدنيا وزخارفها في عيونهم ، وهان أهلها عليهم فكانوا يرون إلى أبهة

(١) العليج : الرجل الضخم القوي من كفار العجم . وقد يطلق على الكافر عموماً .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٩ .

الملوك وفخخة السلاطين، وما فيه أغنياء هاتين المدينتين
ومترفوها من الأثاث والرياش وزخارف الدنيا، كأنهم يرون
إلى لعب الصبيان وكأنهم يرون الدى والبنات المصنوعة من
ورق أو قماش فى مواكبها وزينتها، لا يهولهم شىء ولا يعظم
فى عينهم شىء .

أرسل سعد قبل القادسية ربيعى بن عامر رسولا إلى رستم
قائد الجيوش الفارسية وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه
بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير وأظهر اليواقيت والآلىء
التمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة
التمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربيعى بثياب
صفيفة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس
بها على طرف البساط . ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد،
وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه . فقالوا له : ضع
سلاحك . فقال : لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتونى . فإن
تركتمونى هكذا وإلا رجعت . فقال رستم : ائذنوا له .
فأقبل يتوكأ على رمح فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا :

له ما جاء بكم فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه . فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلنا أبداً حتى نفى إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقاتلكم . فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال نعم كم أحب إليكم يوماً أو يومين ؟ قال : لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا . ولكن المسامون كالجسد الواحد يميز أذناهم على أعلاهم فاجتمع رستم برؤساء قومه . فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لا تنظروا إلى

التياب وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالتياب والمآكل ويصونون الأحساب^(١) .

دخل المغيرة بن شعبه على رستم . وقعد معه على السرير فمشخروا وصاحوا فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم . فقال رستم : صدق^(٢) .

وكان من أكبر أنصار المسلمين أخلاقهم العالية . وميرتهم الملكية فكانوا يمتازون بها . ويعرفون بها أينما رحلوا ونزلوا . وكانت هذه الأخلاق طليعة جيوشهم . تسخر لهم القلوب والنفوس وتشرح لهم الصدور قبل أن تعمل مديوفهم ورمابهم ونبالهم ، والذين كانوا يشهدون أن هؤلاء سيفلبون ويملكون الدنيا . وأن الفرق بينهم وبين أقرانهم كالفرق بين البهائم والملائكة .

روى أحمد بن مروان المالكي في المجالسة بسنده عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠

فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية ،
لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم ، أخبرني عن هؤلاء القوم
الذين يقاتلونكم . أليسوا بشر أمثلكم ؟ قالوا : بلى . قال فأنتم
أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضغافاً في كل موطن .
قال : فما بالكم تهزمون ؟

قال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل
ويصومون النهار . ويوفون بالعهد . ويأمرون بالمعروف .
وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا
نشرب الخمر ونزني . ونركب الحرام . وننقض العهد ونغضب
ونظلم ، ونأمر بالسخط ونهني عما يرضى الله . ونفسد في الأرض ،
فقال : أنت صدقتي .

وسأل هرقل : هذا رجلاً كان قد أسرم مع المسلمين .
فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم . فقال : أخبرك كأنك تنظر
إليهم . هم فرسان بالنهار رهبان بالليل . لا يأكلون في ذمتهم
إلا بشمن ولا يدخلون إلا بسلام . يقفون على من حاربوا حتى

يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكنّ موضع قدسي
هاتين^(١) .

ووصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم
فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا .
أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها .
ويشقون القنا . لو حدثت جليسا حديثا ما فهمه عنك لما علا
من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال :
أنا كم منهم ما لا طاقة لكم به^(٢) .

حيبتهم هذه الأخلاق إلى أعدائهم الذين كانوا يقاتلونهم
حتى إن كان هؤلاء ليؤثرونهم على بني جلدتهم وأبناء ملتهم ،
ويتمنون لهم الظفر ، ويدفعون عنهم العدو ويتطوعون
لمصلحتهم .

قال البلاذري في فتوح البلدان : حدثني أبو حفص الدمشقي
قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني أنه لما جمع هرقل

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٣

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦

للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم بوقعة اليرموك .
 ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا :
 قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم . فقال
 أهل حمص : لو لا يتكم وعدكم أحب إلينا مما كنا فيه من
 الظلم والغشيم ، ولندفع من جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم
 ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة
 حمص إلا أن نُقلب ونجهد . فأغلقوا الأبواب وأحرسوها ،
 وكذلك فعل أهل المدن التي صولجت من النصارى واليهود .
 وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا
 عليه ، وإلا فإننا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله
 الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدينتهم وأخرجوا المقلسين^(١)
 فلبوا وأدوا الخروج^(٢) .

هذا ولما طال على المسلمين الأمد وقست قلوبهم ونسوا
 وتناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس وتوافر من
 (١) قلس القوم : استقبلوا الولاة عند قدومهم بضرب الدف والغناء
 وأصناف الهو .

(٢) فتوح البلدان ص ١٣٧ طبع بريك .

أمم الأرض وهو قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ونسوا ما لأجله خرجوا من جزيرتهم يخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده وصاروا يحكمون الناس حكم الناس على الناس وصاروا يعيشون حياة لاهية حرة ، حياة من لا يعرف نبياً ولا يؤمن برسالة ووحى ولا يرجو حساباً ولا يخشى معاداً . وأشبهوا الأمم الجاهلية التي خرجوا يقاتلون بها بالأمس ، عادوا فقلدوها في مدنيتهما واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها ، وفي كثير مما مقتها الله لأجله وخذلها وأصبحوا لأمهم ولا شغل إلا الأكل والشرب والتنازل ، وأصبحوا كرعايا الناس ليس لهم فرقان ولا نور يعيشون به بين الناس ، وأشبهت ملوكهم وأمرؤهم جبارتها وفراعنتها وأغنيائهم مترفيها وأكابر مجرميها ، وكاد يسبق فجأراهم فجأرها ، تحاسد وبغضاء ومنافسة في السلطان وتكالب على حطام الدنيا ، وإخلاد إلى الترف والنعيم وإعراض عن الآخرة ، وسفك للدماء وهتك للأعراض ، وهضم للحقوق وغدر باليهود والذمم وتمتد

عن حدود الله، وإعانة للظالم وجَنَفٌ في الحكومات والمظالم
وتبذير لأموال الله وعموم الفواحش والمنكرات وابتداع
للجرائم وإبداع في الجناية مما يحتاج بسطه إلى مجلدات،
فهانوا إذاً على الله مع أسمائهم الإسلامية ورغم وجود الصالحين
فيهم وظهور الشعائر الدينية والواجبات الشرعية في بلادهم،
وهانوا على الناس رغم مملكتهم الواسعة وجيوشهم الكثيفة
وخزائنتهم العامرة، ورغم تقدمهم في الحضارة ومظاهرها
الكثيرة، فقل إكرام الناس لهم وهيبتهم إياهم وتجاسروا عليهم،
قال رتبيل ملك رنج وسجستان لرسل يزيد بن عبد الملك
وقد جاءوا إليه يطالبونه بالخراج « ما فعل قوم كانوا يأتون
نخاص البطون سود الوجوه من الصلاة، نعالهم خوص؟ قالوا:
انقرضوا. قال: أولئك أوفى منكم عهداً وأشد بأساً وإن كنتم
أحسن منهم وجوهاً » ثم لم يبط أحد من عمال بني أمية ولا
عمال أبي مسلم على سجستان من تلك الأتاوة شيئاً^(١).

(١) فتوح البلدان ص ٤٠١ طبع بريل .

فإذا كان هذا في القرن الثاني فما ظنك بقرون بعده ١٢

حتى إذا بلغ السيل الزبى وتضاعف كل ما ذكرناه وأفسد المسلمون في الأرض بعد إصلاحها وآسفوا الله ، بعث عليهم عباد آله أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، ساط عليهم المغول والتتار أشقى الأمم وأخلمها وأجهلها وأوحشها ، فوضعوا فيهم السيف وأجروا من دمائهم سيولا وأنهاراً ، وأقاموا من رؤوسهم صروحاً وتلالاً ، وفعلوا بهم الأفاعيل وأحلسوهم الخوف فتمكن من قلوبهم الوهن والجبن حتى أصبحوا لا يصدقون بهزيمة التتر . قال ابن الأثير : سمع عن بعض أكابرهم أنه قال من حدثك أن التتر انهزموا فلا تصدقه ، قال ووقع رعيهم في قلوب الناس حتى كان أحدهم إذا لقي جماعة يقتلهم واحداً واحداً وهم دهشون ، ودخلت امرأة من التتر داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلاً ، ودخل واحد منهم درباً فيه مائة رجل ، فزال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يعد أحديده إليه بسوء ، ووضعت الدلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم

قليلًا ولا كثيرًا نعوذ بالله من الاختلان، وحكى أن أحدهم أخذ رجلاً ولم يجد ما يقتله به، فقال له: ضع رأسك على هذا الحجر ولا تبرح، فوضع رأسه وبقي إن أن أتى التترى بسيف وقتله، قال ابن الأثير وأمثال ذلك كثيرة

وإليك ما قال ابن الأثير قبل أن يسرد وقائع هذه النازلة .
 « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك، فيأليت أُمى لم تلدنى وباليتهى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً .. هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عمت الأيام والليالى عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل إن أهل العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبدلوا بمثلها كان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يداينها... ولعل

الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفتى الدنيا . الخ » .

ولكن مثل هذه الحادثة لم تستطع أن تنبه المسلمين ولم يفيقوا من سكرتهم ولم يغيروا ما بأقسامهم حتى يغير الله ما بهم ، وحق عليهم قول ربهم (لعمر ك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) وقوله (فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وقوله (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما يتضرعون) وما زالوا منهمكين فيما هم فيه من غفلة ولهو وظلم حتى يقول ابن الأثير :

« فالله تعالى ينصر الإسلام والمسلمين نصرًا من عنده ، فما ترى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد ، ولا في نصرّة الدين . بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته ، وهذا أخوف عندي من العدو » وقال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

ومما يجب أن يلاحظه القارئ ويعتبر به المعتبر أن المسلمين

في هذه الظلمات التي غشيتهم، والفتنة التي عمهم كما أفاقوا من
سكرتهم، وأصلحوا شأنهم وأزاحوا العلل وصعدوا في وجه
العدو واستنزلوا النصر. هزموا التتر الذين لم يكونوا يعرفون
الهيبة ولا يصدق الناس بأنهم هزمهم، فقد هزمهم جلال الدين
خوارز مشاء ثلاث مرات وهزمهم الظاهر بيبرس غير مرة
وهزمهم الملك الناصر صاحب مصر بمرج الصفر، قال السيوطي
عن وقعة عين جالوت «فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون
ولله الحمد وقتل من التتار مقلّة عظيمة وولوا الأدبار وطمع الناس
فيهم يتخطفونهم وينهبونهم»^(١).

ولم يزد المسلمون إلا ضعفاً ولم تزد أخلاقهم على مر
الأيام إلا انحطاطاً وتدهوراً ولا أحوالهم وشئونهم إلا فساداً،
حتى أصبحوا أمة جوفاء لا روح فيها ولا دم، وكانوا كصرح عظيم
من خشب منخور قائم لا يزال يورى الناس ويهول من بعيد،
أو كدوحة قد تأكلت جذورها ونخر جذعها العظيم، ولم تنقلع

(١) تاريخ الخلفاء.

بعدُ. وأصبحت بلادهم مالا سائبًا لا مانع له ، وأصبحت دولهم
فريسة لكل مفترس وطعمة لكل آكل ، وحق قول النبي
صلى الله عليه وسلم :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى
قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ
كثير ولكنكم غشاء كغشاء النسل ، ولينزعن الله من صدور
عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قال قائل يا رسول
الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت ^(١) . »

واستمر المسلمون بهذا الحال وزيادة حتى أغار عليهم في
القرن الثامن عشر المسيحي الأمم الأوربية النصرانية الجاهلية .
المتحضرة الوحشية الكاسية العارية ^(٢) ، فسلموها مفاتيح ملكهم
واعتزلوا في مصلحتها عن قيادة العالم .

(١) روله أبو داؤد عن ثوبان رضى الله عنه .

(٢) المطلع على تاريخ حضارة هذه الأمم وطبيعتها يصدق هذه
الصفات المتناقضة .

وقد بلغ المسلمون من الانحطاط الخلقى منزلة ، أن وجد
فيهم أفراد خانوا أمتهم ، وشروا بلادهم بـمـنـ بـخـس ، دراهم
معدودة ، وتطوعوا في جنود العدو يفتحون بلادهم للأجنبي
على حسابهم .

ولكن هذا الهجوم الغربي كان أشد تأثيراً وأعمق أثراً
وأبعد مدى من الهجوم الشرقي (المغولي والتتاري) ، فكاد
يخمد كل جمة في قلوبهم لم تخمد لها العواصف طيلة هذه
القرون ، وبقيت كامنّة في الرماد تحبو مرة وتلهب
مرة أخرى .

فتش عقلاهم عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين
وقلوبهم فوجدوا أن أكبر منبع القوة والحياة هو «الإيمان» ،
وشهدوا ما فعل الإيمان قديماً ، وما أظهر من معجزات وخوارق ،
وما هو خليق بأن يفعل ، فعادوه وسلطوا على المسلمين عدوين ،
هما أفتك بهم وأضر لهم من المغول والتتار ، ومن الوباء الفاتك .
الأول : هو الشك وضيف اليقين الذي لا شيء أدعى الضيف

والجبن منه ، والثاني : ما نعب عنه بالذل النفسى ، وهو أن صار المسلمون يشعرون بالذل والهوان فى داخل أنفسهم وفى أعماق قلوبهم . ويزدرون بكل ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق ، ويستحيون من أنفسهم ، ويؤمنون بفضل الأوربيين فى كل شئ ، ويعتقدون فيهم كل خير . ولا يكادون يترفون ينقصهم وعيهم فى ناحية من نواحي الحياة ، ولا يصدقون بانهمز امهم وفشلهم فى ساعة من ساعات الدهر ، وإذا تمسكن هذا الذل من نفوس أمة فقد ماتت ، وإن كنت تراها تغدو وتروح ، وتأكل وتعيش .

وابتلى المسلمون فى هذه المرة — بتأثير الحضارة الغربية ، والفلسفة الغربية — بمباداة المادة وحب الدنيا ، والجري وراء النفع العاجل وتقديم المصالح الشخصية والمنافع المادية ، على المبادئ والأخلاق ، شأن الأمم الأوربية الجاهلية ، فكانت هذه الأخلاق وهذه النفسية والتربية مانعاً من الجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، ومن تحمل المشاق وتجرع المرائر

ومكابدة الأهوال والخسائر في سبيل المبدأ الصحيح ،
والعقيدة السامية .

كان نتيجة هذا كله أن ظهر جيل في المسلمين ، متنور
الذهن ، ولكن مظلم الروح ، أجوف القلب ، ضعيف اليقين ،
قليل الدين قليل الصبر والجد ، ضعيف الإرادة والخلق ، يبيع
دينه بديناه ، وآجله بماجله ، ويبيع أمته وبلاده بمنافعه الشخصية ،
وبجاه وعزة وهمية ، ضعيف الثقة بنفسه وأمته ، عظيم الاتكال ،
كثير الاستناد إلى غيره .

(وإذا رأيتم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم
كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم) .

هؤلاء هم الذين نشروا في المسلمين الجبن والوهن ، وصرفوا
المسلمين عن الاتكال على الله ، ثم الاعتماد على أنفسهم إلى
الاعتماد على غيرهم والتكفف لديهم والاتجاء في مواقع الخطر
إليهم ، وأطفئوا في قلوبهم شعلة الجهاد في سبيل الله والحمية للدين ،
وأبدلوها بالوطنية العليلة ، والجنسية الناعسة ، وأبدلوا جنونهم

الذى بعث الحكمة من مرقدتها؛ وأطلق العقل من إيساره ،
والذى تمكن مما لم يتمكن منه العقل والعلم في آلاف من السنين ،
أبدلوا هذا الجنون الحكيم بعقل ناقص عليل لا يعرف إلا
الموانع والعرافيل .

وقد ظهر هذا التحول العظيم في العقيدة والنفسية
والإفلاس في الروح والإيمان في شر مظاهره في حرب فلسطين،
فكان فضيحة للعالم العربي في القرن الرابع عشر الهجري ،
كما كان انكسار المسامين وفشلهم الذريع أمام الزحف التتارى
فضيحة للعالم الإسلامى في القرن الثامن ، فقد اجتمعت سبع
دول عربية لتحارب الصهيونية ، وتدافع عن وطن عربى
إسلامي مقدس ، عن القبة الأولى وعن المسجد الثالث الذى
تشد إليه الرحال ، وعن جزيرة العرب والأقطار العربية التى
أصبحت مهددة بالخطر الصهيونى ، فكانت حرب فلسطين
دفاعاً عن حياة وشرف ؛ وعن دين وعقيدة ، وكان العالم العربى
بأسره إزاء دويلة صغيرة لم تستقر بعد ، واتجهت الأنظار إلى
(١٧ - المجموعة الممودية)

مسرح فلسطين ، وانتظر الناس معركة مثل معركة اليرموك أو
وقعة مثل وقعة حطين ، ولماذا لا ينتظرونها والأمة هي الأمة ،
والعقيدة هي العقيدة مع زيادة فائقة في العدد والعدد ، فلماذا
لا ينتصر العرب ، وم عالم ، ولماذا لا يقضون على عدوهم وهو
حفنة من المشركين ؟ ؟

ولكنهم نسوا ما فعلت الأيام وما فعلت التربية ، وما فعلت
الدول والزعامة السياسية ، وما فعلت المادية بالأمة العربية
في هذا العصر ، لقد تقدم العرب إلى معركة اليرموك حقاً ،
ولكن بغير الإيمان الذي تقدم به أسلافهم إلى هذه المعركة
في العصر الأول .

لقد تقدموا إلى وقعة كانت وقعة حاسمة كحطين - لو
ظفر العرب - ولكنهم تقدموا بغير الروح التي تقدم بها
صلاح الدين وجنده المؤمن المجاهد . تقدموا بقلوب خاوية
تكره الموت ، وتحب الحياة ، وأهواء مشتتة ، وكلمة
متفرقة ، يريدون أن يربحوا النصر ولا يخسروا شيئاً وأن

يحافظوا على ترغيم ولا يحاطروا بشيء، كل يعتقد أن غيره هو المسئول عن الحرب وعن الغلبة والهزيمة، ثم هم يقاتلون وحبلهم في يد غيرهم إذا أرخى قليلاً تقدموا وإذا جرّه تأخروا، وإذا قال: حاربوا حاربوا. وإذا قيل: اصطلمحوا اصطلمحوا، وما هكذا يكتسب الظفر ويقهر العدو:

أوردتها سعدٌ وسعدٌ مشتمل

ما هكذا تورا الإبل

وبقى العالم متطلماً إلى ما قرأه في تاريخ الجهاد الإسلامي من روائع الإيمان وخوارق الشجاعة والصبر، والاستمانة بالحياة، والبسالة والبطولة والاستقبال للموت، والتمنى للشهادة وحسن النظام، وروح الإطاعة والإيثار، فلم ير من ذلك شيئاً. إلا لمعات وإشرافات للإيمان كانت تظهر مع بعض المتطوعين في حرب فلسطين والإخوان المجاهدين تجندوا وتطوعوا للحرب بدافع الإيمان والدفاع عن الإسلام، وحملتهم الحمية الدينية على المغامرة، ودفعتهم إلى ميدان الحرب، فشرعوا الدين وأرعوا

القلوب ، وأعادوا التاريخ القديم . وبرهنوا على أن الإيمان لا يزال المنبع الفياض للقوة والنظام ، وأن عنده من القوة والنفوذ والتنظيم وروح المقاومة والجهاد ما ليس عند الدول الكبيرة المنظمة .

لقد ثبت مما ذكرناه في هذا الكتاب ، وما سردناه من الأمثلة والأخبار ، وشهادات التاريخ ومشاهدات هذا العصر - وما حرب فلسطين منا يبعيد - إن المد والجزر في تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين تابعان للمد والجزر في الإيمان وقوة معنوياتهم التي تنبثق من الدين . وأن تنبع قوة هذه الأمة في باطنها وهو القلب والروح ، فإذا غمر القلب بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر : أثبتنا للعالم أننا قوة خارقة للعادة لا يغلبها العالم ، ولو سعى بأسره وجميع شعوبه وجنوده ودوله ، ويصيرون قضاء الله الغالب وقدره المحتوم وكلته العليا (ولقد سبقنا كتبنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية الفضيل

ذكر بعض المؤرخين : أن هرون الرشيد حج ومعه الفضل بن الربيع قال : أتاني أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً . قلت : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إلى لائيتك فقال : ويحك ، قد جال في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله ، قلت : ههنا سفيان بن عيينة فقال : أمض بنا إليه . فأتيناه ففرغت الباب ، فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً وقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى لائيتك . فقال : خذ لما جئناك له رحمك الله فحدثه ساعة . ثم قال له عليك دين . قال : نعم . فقال : أقض دينه .

فأما خرجنا قال : ما أغني عني صاحبك شيئاً أنظر لي رجلاً أسأله . قلت : ههنا عبد الرزاق . فذكر مثل ما جرى له مع سفيان وقال : ما أغني عني صاحبك شيئاً أنظر لي رجلاً أسأله فقلت :

ههنا الفضيل بن عياض، فقال: أمض بنا إليه فإذا هو قائم يصلي
يتلو آية من القرآن يرددها قال : أقرع الباب . ففرغت فقال:
من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولأمر المؤمنين.
فقلت: سبحان الله أماله عليك طاعة، فنزل ففتح الباب ثم
ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا
البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف أمير
المؤمنين قبلي إليه، فقال يالها من كف ما أليتها إن نجت غداً
من عذاب الله عز وجل، فقلت: ليكمنه الليلة بكلام نقي. فقال
له: خذ لما جئناك له رحمك الله .

فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن
عبد الله ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم:
إني بليت بهذا البلاء، فعدا الخلافة بلاء وعدتها أنت وأصحابك
نعمة .

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله
فصم عن الدنيا، وليكن فطرك منها الموت .

وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم عندك ابنا. فوقر أباك، وأكرم أخاك، ونحن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مات إذا شئت.

وإني أقول لك يا هرون: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هرون بكاء شديداً حتى غشى عليه فقلت: أرفق يا أمير المؤمنين. فقال: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا، ثم أفاق فقال: زدني رحمك الله.

فقال له يا أمير المؤمنين: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه السهر فكتب إليه: يا أخى اذكر سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد. وإياك أن ينصرف بك هذا عن الله

من وجل ويكون آخر العهد وانقطاع الرجا، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما أقدمك ، فقال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل . قال : فبكى هرون بكاء شديداً حتى غشى عليه ، ثم قال : زدني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمرني على إمارة . فقال له ياعم إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً ، فافعل . فبكى هرون بكاء شديداً ، وقال زدني رحمك الله .

فقال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه فافعل . وإياك أن تصبح وعمسى وفي قلبك غش لأحد من رعيته ، فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاش لهم لم يرح رائحة الجنة » .

فبكى هرون وقال : عليك دين . قال : نعم دين ربى لم يحاسبنى عليه ، فالويل لى إن سألتى ، والويل لى إن ناقشنى ، والويل لى إن لم ألهم حجتى . قال : إنما أعنى من دين العباد ، قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا . وقد قال الله عز وجل (إن الله هو الرزاق) .

فقال له : هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك ، وتقو بها على عبادتك .

قال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا ، سالمك الله ووفقك . ثم صمت ولم يكلمه فخرجنا من عنده .

فلما صرنا على الباب قال لى هرون : إذا دلتنى على رجل ، فدلني على مثل هذا . هذا سيد المسلمين

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت له : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال لفرجت عنا .

به . فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هرون هذا الكلام قال : ندخل فمسي أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب المغرفة . فجاء هرون فجلس إلى جانبه يكلمه ولا يجيبه . فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سواداء فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة . فانصرف رحمك الله ، فانصرفنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصايا نافعة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ولغيره
قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الإبل لكان قليلا . لا يرجون أحدكم إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد .

وقال أيضا : من أراد الغنى بلامال ، والكثرة بلاeshire ،
فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، أبقى الله إلا أن يُذلَّ
من عصاه .

وقال الحسن : من خاف الله ، أخاف الله منه كل شيء ،
ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء .

وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن
أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن
أخلص سريره ، أخلص الله علانيته .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب
رضي الله عنهما عند موته ، حين استخلفه : أوصيك بتقوى
الله فإن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله
بالليل ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وإنما ثقلت
موازين ، فمن ثقلت موازينه باتباعهم الحق وثقله عليهم ،
وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت
موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته

عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .
وأن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن
سيئاتهم ، فإذا سمعت بهم قلت إني أخاف أن لا أكون من
هؤلاء . وذكروا أهل النار بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم ،
فإذا سمعت بهم قلت إني أخاف أن أكون من هؤلاء ، وذكروا
آية الرحمة مع آية المذابح ، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى
على الله غير الحق .

فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من
الموت ، وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائب
أكره إليك من الموت ولن تعجزه .

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهم يعمده
في مرضه ، فرآه يصبو بصره في صندوق في البيت ويصعده
ثم قال أبا سعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد
منها زكاة ولم أصل منها رحماً . قال ثكلتك أمك ولمن كنت
تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشرة ،
قال : ثم مات فشهد الحسن فلما فرغ من دفنه . قال : انظروا

إلى هذا المسكين أتاه شيطانه فحذرهُ روعة زمانه ، وجفوة
سلطانه ، ومكاثرة عشيرته عمارزقه الله إياه وغمره فيه ، انظروا
كيف خرج منها مسلوباً محزوناً ، ثم التفت إلى الوارث فقال :
أيها الوارث . لا تتخذن كما خدع صوبيحك ، بالأمس أتاك
هذا المال حللاً . فلا يكون عليك وبالا . أتاك عفواً صفواً
ممن كان له جموعاً منوعاً من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، قطع
فيه بلج البحار ، ومفاوز القفار ، لم تكدح فيه يمين ولم يعرق
لك فيه جبين ، إن يوم القيامة يوم ذوحسرات ، وإن من أعظم
الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك فيألفها عثرة لا تقال ،
وتوبة لا تنال .

وقال أبو الدرداء : يا أهل دمشق ما لكم تبنون ما لا تسكنون ،
وتؤملون ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون . هذه عاد
وعمود قدملوا ما بين بصرى وعدن ، أموالاً وأولاداً فمن يشتري
منه ما تركوا بدرهمين .

وقال ابن شبرمة : إذا كان البدن سقيماً لم ينجع فيه الطعام .

تولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرماً بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

وقال رجل لبعض الحكماء: لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك .

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء: أما بعد فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهى ، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامك ذكراً . وصمتك فكراً ، ونظرك عبراً ، فإن الدنيا تنقلب ، وبهجتها تتغير ، فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام . فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك أما بعد : فإنني أوصيك بتقوى الله عز وجل وأن تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لموتك ، ومن جفائك لمودتك ، وأذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلتين ، إما في الجنة وإما في النار ، فإنك لا تدري إلى أيهما تصير .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان عامله في البصرة

أما بعد : فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك وتأمر فينفذ
أمرك. فيألفها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتطغيك على من
دونك ، فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة .
وإياك أن تسقط سقطه لا تقوى لها ، وتمثر عثرة لا لها
أى لا إقالة .

وكتب الحسن إلى عمر : أن فيما أمرك الله به شغلا عما نهاك
عنه . والسلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن أجمع لى أمر الدنيا
وصف لى أمر الآخرة ، فكتب إليه : إنا الدنيا حلم والآخرة :
يقظة والموت متيقظ ، ونحن فى أضغاث أحلام . من حاسب
نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجح .
ومن أطاع هواه ضل ، ومن عمل غنم ، ومن خاف سلم ، ومن
اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل .
فإذا زلت فارجع ، وإذا ندمت فاقطع ، وإذا جهلت فاسأل ،

وإذا غضبت فامسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهته
النفوس عليه .

وقال حكيم لابنه : يا بني إني موصيك بوصية فإن لم تحفظ
وضيتي عني لم تحفظها عن غيري : اتق الله ما استطعت وإن
قدرت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم ،
فافعل . وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك والياس مما في أيدي
الناس فإنك لن تبس من شيء إلا أغناك الله عنه ، وإياك وما يعتذر
منه فإنك لن تعتذر من خير أبداً وإذا عثر عائر ، فاحمد الله أن
لا تكون هو ، يا بني خذ الخير من أهله ودع الشر لأهله ، وإذا
قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع ، وأنت ترى أن لا تصلي
بعدها

﴿ فائدة ﴾ قال رجل للرشيديا أمير المؤمنين إني أريد أن
أعظك بمظة فيها بعض الغلظة فاحتملها . قال : إن الله هو خير
منك بأمانة القول لمن هو شر مني — قال لنبيه موسى إذا أرسله
إلى فرعون : (فقول له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر رحمه

الله تعالى يا أبت مالك لا تنفذ الأمور، فوالله لا أبالي في الحق ولو غلت بي وبك القدور، قال له عمر « لا تعجل يا بني فإن الله تعالى ذم الحمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة وأنا أخاف الفتنة » .

اللهم صل وسلم على محمد النبي الكريم وآله وصحبه أجمعين وأرحم العلماء العاملين .

ومما قال حسان في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أغر عليه للنبوّة خاتم من الله مشهور يلوّح ويشهد
 وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
 وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

﴿ شروط كلمة الإخلاص ﴾

« فائدة »

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : العروة الوثقى هي لا إله إلا الله ومعناها لا معبود
 (١٨ - المجموعة المحمودية)

بِحَقِّ إِلَّا اللَّهَ وَهِيَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ (لَا إِلَهَ) نَفْيٌ (إِلَّا اللَّهَ) إِثْبَاتٌ .
 وَتَحْقِيقُهَا الْمَوَالِدُ وَالْمَعَادَةُ . وَأَرْكَانُهَا ثَلَاثَةٌ : - ١ - نَطْقُ اللِّسَانِ
 - ٢ - وَعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ - ٣ - وَاعْتِقَادُ بِالْجَنَانِ . وَشُرُوطُهَا سَبْعَةٌ :
 (الْأَوَّلُ) الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ - (الثَّانِي) الْإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلشِّرْكَ
 - (الثَّالِثُ) الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ (الرَّابِعُ) الْقَبُولُ الْمُنَافِي لِلرَّدِّ
 (الخَامِسُ) الْإِتْقَادُ الْمُنَافِي لِلتَّرْكِ (السَّادِسُ) الصَّدَقُ الْمُنَافِي
 لِلْكَذِبِ (السَّابِعُ) الْمَحَبَّةُ الْمُنَافِيَّةُ لِمُضَادِّهَا وَهِيَ الْكَرَاهَةُ .

فائدة

فِي تَنْزِيهِهِ الْأَسْمَاعُ عَنْ الْخُضَا كَتَنْزِيهِهِ اللِّسَانُ عَنِ النَّطْقِ بِهِ
 نَقَلَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ حَسَنِ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ .
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : خَرَجَ الشَّافِعِيُّ
 يَوْمًا مِنْ سَوِّقِ الْقُنَادِيلِ فَتَبِعْنَاهُ . فَإِذَا رَجُلٌ يَسْفُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ
 أَهْلِ الْعِلْمِ . فَالْتَفَتَ الشَّافِعِيُّ إِلَيْنَا فَقَالَ : نَرَاهُ أَسْمَاعَكُمْ عَنْ
 اسْتِمَاعِ الْخُضَا . كَمَا تَنْزَهُونَ عَنِ النَّطْقِ بِهِ . فَإِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكَ
 الْقَائِلِ ، وَإِنْ السَّفِيهَ لِيَنْظُرَ إِلَى أَخْبَثَ شَيْءٍ فِي وَعَائِهِ فَيَحْرَمُ

أَنْ يفرغه في أوعيتكم ، ولوردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى قائلها .

وقال الشافعي : كتب حكيم إلى حكيم يقول : إنك قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسمى أهل العلم بنور علمهم .

وقال رحمه الله : من قال إنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب .

﴿ فصل في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة ﴾

وعلماء السوء ﴿

قال رسول الله ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقال عليه الصلاة والسلام : من أوتي علماً ولم يزد زهداً لم يزد من الله إلا بعداً .

واعلم أن العالم بالخوض بالعلم يحرم السلامة . فإما الهلاك ، وإما الشقاء الأبدي .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعاموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فاحذروه .

وقل شفيان الثوري : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ، وعلماء الآخرة هم الذين لا يأكلون الدنيا بالدين ، ولا يبيعون الآخرة بالدنيا لما علموا من عز الآخرة وذل الدنيا ، ومن لم يعلم ، مضادة الدنيا للآخرة ومضرتها فليس من العلماء فإن أنكر ذلك فقد أنكر ما دل عليه القرآن والأخبار وجميع الكتب المنزلة وجميع الأنبياء ، ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان وقد أهلكته الشهوات وغلبت عليه شقوته ، ومن اقتدى به هلك ، وكيف يمد من العلماء وهذه درجته .

وقال في مناجاة داود عليه السلام : يا داود أتدري ما أصنع بالعالم إذا أثر شموته على محبتي ، أن أحرمه لذيت مناجاتي ، يا داود

لا تسألنَّ عن عالم قد أسكرته الدنيا فيصدمك عن طريق محبتي .
أولئك قطاع طريق عبادي .

يادادود : إذا رأيت طالباً فكن خادماً له . يادادود من
رد إلى هارباً كتبته شهيداً ، ومن كتبته شهيداً لم أعذبه
بالنار أبداً .

وكذلك قال الحسن : عقوبة العلماء موت القلوب ، وموت
القلوب طلب الدنيا بعمل الآخرة .

وقال عمر رضي الله عنه : إذا رأيت العالم محياً للدنيا فاتهموه
على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب .

وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول : يا علماء الدنيا يا أصحاب
العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية وأبوابكم ظاهرية
وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيتكم فرعونية
ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة
المحمدية وأنشد :

وراع الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب
وقال عيسى عليه السلام:

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد
واعلم أن اللائق بالعالم المتدين أن يكون مطعمه وملبسه
ومسكنه وجميع ما يتعلق بمعاشه في الدنيا وسطاً . لا يميل إلى
الترفه والتنعيم، ولا يبالغ في هذا الطرف وأن يبالغ في طرف
الزهد فيها .

وينبغي له أن يحتزم من الدخول على السلاطين وأرباب
الدنيا ما أمكنه حذر الفتنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة في خوف الفتنة والأئمة المضلين

للشيخ حمد بن عتيق

من حمد بن عتيق إلى الأخ محمد بن عبد العزيز
ابن وريثان .

تخرج الله صدره من الإيقان ، وأزال عنه شبه أهل الزيغ
والخذلان . آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، بموجب الخط إبلاغ السلام والسؤال عن حالك
وخطك وصل وصلك الله ما يرضيه ، ونرجو أن الله يثيبك على
التعزية ، والميت لم يمت إلا بأجله المحتوم . رزقنا الله وإياكم الرضاء
بالمقسوم ، ولكن والله ما بلغت مصيبتى بالإبنين معشار
ما بلغ بي من المصيبة التي حلت بكثير من الإخوان من هذه
المصيبة العظمى والفتنة المظلمة الشنعاء . بين ما لرجل يدعو
إلى التوحيد ويحذر من أهل الشرك والتنديد . إذا هو منقلب
على عقبيه وصار من حزب الضلال والدعوة إلى الإفك والمحال ،
ومن أسباب الشر أناس كانوا في خصائص الإخوان منهم من
له مشاركة في العلم ، وآخر له عبادة ومحبة ، لكنهم عدموا
البصيرة في الدين . فلما ابتلى أهل الإسلام بما أخبر به الصادق
المصدوق من الفتن التي تغير القلوب . التبس عليهم الحق
بالباطل ، وصاروا كسائر في ليلة ظلماء ليس لها نجوم ، وصارت

محكمات القرآن عندهم كالشيء الذي لا حاصل له . فهوذا بالله
من الخذلان حتى آل بعضهم أن يستدل بالقرآن على تحقيق
زيغه وفتنته ، والأمر في هذا يطول .

وتنبه أنت لمسألة ، وهي أن عندهم من يعيل إلى عبد الله
ابن فيصل ، ويدعو إلى توليته وولايته ، وقد جرى منا ما قد
علمتم ، واطّلع غيركم على أمور لا تملونها . فمن ذلك أني
وجدت له خطأ كتبه إلى ولد أبيطين يقول فيه : أنت خابر أن
الدولة غرضهم تغي الفساد من الأرض وتأمين السبل والرفق
بالرعية ، هذا لفظه . ثم بعد ذلك ادعى أنه تاب . والله أعلم
بسرائره .

ولما كان في هذه الأيام في جمادى الأخير ، وصل إلى الأفلاج
منه جملة خطوط أشرفت على ثلاثة منها بعث بها أناس يظن
أنهم على رأيه ، وقد تبرؤا منه وأن خطوطه ممقوطة عند أهل
التوحيد .

ومن لفظ خطوطه : إنا كاتينا الدولة وفوضونا على

الإحسان والقطيف وغيرها، فاحذروا بأسه وكونوا على علم ،
وهذا جوابه نرجو الله أن يخذله وأن ينزل به بأسه الذي
يتوعد به المسلمين .

فالقلب الذي يبقى فيه لهذا الرجل محبة وميلا إليه قلب
مفتون، نعوذ بالله من ذلك .

فإن كان عبد الرحمن أبا الغنيمى عندكم فاعرضوا عليه هذا
الكلام واسألوه عن قصة الشيخ محمد رحمه الله مع أخته فويقبه ،
لأنه كثيراً ما يذاكر بها ، وقولوا له أى الجنايتين على الإسلام
أشد . جناية هذه المرأة التى أجنيتها تختص بها . أم جناية من
جر المشركين واستدعى بهم حتى نزلوا فى بلاد المسلمين ، وأعلنوا
فيها الشرك وجميع المعاصى ، وهو مع ذلك يزعم أنهم ينفون
الفساد ويؤمنون ويرفقون بالرعية ، فسبحان من طبع على قلوب
من شاء من خلقه . فبهذا يوجب للعبد أن يخاف على دينه وقلبه
من مثل قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ولولا ما نحن عليه
من محبة الخير لمثل هؤلاء ، وإننى لكثير الدعاء لهم أن الله

يزيل الشبهات عن قلوبهم، ويظهر فيها النور كما يظهر الصبح من الليل، لكان لنا قولاً ثانياً. والمعارضة التي يلقونها من قيل سعود مما هو صدق ربما هو كذب لسنا منها في شيء، لأننا لا ندعو إلا إلى طاعة الله وطاعة رسوله والتمسك بالكتاب والسنة.

ونحض على عداوة المشركين وعداوة من تبعهم، ولما ظهر

لنا من هذا الرجل النفرة منهم والحرص على جهادهم أولاً، فلما تنكر له أهل نجد وتركوا نصرته سعى في إبعادهم حتى بعث أخاه وابن عمه في ذلك، والبناء على ذلك وأحبينا نصرته عليه، واعتقدوا أنه الإمام في هذا الوقت الذي يجب السمع والطاعة له بالمعروف، لا سيما وقد انقاد له عامة أهل نجد ودعوه إماماً لهم، وما يجري منه مما لا يجوز ليس بأكبر مما جرى للملوك قبله، ولم يمنع ذلك من صحة إمامتهم.

ويكنى المسلم. لأن رأس القضية ظهور الفرق بين فتنة الظلم في الأموال ونحوها، وفتنة الردة عن الإسلام والدعوة إلى الدخول في طاعة أهل الباطل والإنقياد لهم، والذي لم

يفرق بين هاتين لاشك في الطبع على قلبه وافرؤا عليه .

« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير »
 فأخبر أن القتال في الشهر الحرام كبير ، وصعد عن سبيل
 الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند
 الله ، والفتنة أكبر من القتل .

وإننا ما كتبنا هذا لك إلا رجاء من الله أن يبصرك في الدين ،
 وتدارك نفسك قبل الموت . فأبى أخاف أن بعض الناس يموت
 على غير الإسلام بسبب هذه الفتنة .

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ،
 غير خزايا ولا مفتونين ، وأنت سالم ، والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

(فائدة من كلام أبي سليمان الداراني)
« رحمة الله عليه »

قال : مفتاح الدنيا الشبع . ومفتاح الآخرة الجوع . وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل . وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب . ولا يعطي الإيمان إلا من أحب خاصة ، ولأن أدمع من عشائي لقمة أحب إلى من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره . كلما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم . إنما غصى الله من عصاه لهم وأنهم عليه ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه . إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق . وإذا شبعمت ورويت عمى القلب .

ما يسرنى أن لى من أول الدنيا إلى آخرها أنفقها في وجوه البر ، وأنى أغفل عن الله طرفة عين ، لو أن الدنيا كلها

في لقمة ثم جاءني أخ لي لأحببت أن أضعها في فيه .
 إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها ، وإذا
 كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة
 والدنيا ائيمة . من حسن ظنه بالله ثم لا يخاف الله فهو مخدوع
 من صفى صفي له ومن كدّر كدّر عليه ومن كان يومه مثل
 أمسه ، فهو في نقصان .

ومن كلام بلال بن سعد رحة الله عليه ، إن الخطيئة إذا
 خفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير ضرر العامة ،
 إن الله يفر الذنوب جميعاً ولكن لا يحوها من الضعيفة
 وإن تاب .

ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة : رب مسرور
 مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له في كتاب الله
 أنه من أهل النار .

أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله . خير لك من
 أخ كلما لقيك وضع في كفك دينار . لا تنظر إلى صغر الخطيئة

ولكن انظر من عصيت . أمأما وكلكم به فتضيئون وأما
 ماتكفل لكم به فتطلبون ، ذوو عقول في طلب الدنيا وبها ،
 عن ما خلقتم له كما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعة الله ،
 كذلك أشفقوا من عذاب الله بما تنتهكون من معاصيه .
 إعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال وفي دار
 زوال لدار مقام ، وفي دار نصب لدار نعيم ومن لم يعمل على اليقين
 فلا يتبعني .

« هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم
 أو أن شيئاً من ذنوبكم غفر لكم » .

ومن كلام يحيى بن معاذ رحمه الله عليه : الذي حجب الناس
 عن التوبة طول الأمل . وعلامة التائب إسبال الدمعة ،
 وحب الخلوة ، والمحاسبة للنفس عند كل همة .

اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب منك
 بالقلوب ، عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب ، وذنوب بعد
 الرمل والتراب ، ثم قطع بالكواعب والآتراب .

ما أقواك لو خالفت هواك ليكن حظ المؤمنين منك
ثلاث : إن لم تنفعه ، فلا تضره . وإن لم تفرحه فلا تنمه . وإن
لم تعدحه فلا تنمه .

إلهي كيف أفرح وقد عصيتك ، وكيف لا أفرح وقد عرفتك
وكيف أدعوك وأنا خاطيء ، وكيف لا أدعوك وأنت كريم .
دواء القلب خمسة أشياء : (١) قراءة القرآن بالتدبر ،
(٢) وخلاء البطن (٣) وقيام الليل (٤) والتضرع عند السحر
(٥) ومجالسة الصالحين .

ليكن بيتك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المناجاة .
فإذا أن تموت بدائك أو تصل إلى دوائك .

الناس ثلاثة : رجل شغله معاده عن معاشه ، ورجل شغله
معاشه عن معاده ، ورجل مشغول بهما جميعاً . فالأولى درجة
الفائزين . والثانية درجة الهالكين ، والثالثة درجة المخاطرين .
ليس بعارف من لم تكن غاية أمله من ربه العفو .
مصيبتان للعبد لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما . في ماله

عند موته يؤخذ عنه كله ويسأل عنه كله .

مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب .
لا يزال دينك متمزقا مادام قلبك بحب الدنيا مُتعلقا . الليل
طويل فلا تقصره بنامك ، والنهار تقي فلا تدنسه بآثامك .
أخوك من عرفك العيوب ، وصديقك من جذبك عن
الذنوب . إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضى عنك ،
لولا أن العفو أحب الأشياء إليه ، ما ابتلى بالذنوب أكرم
الخلق عليه .

الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها ، والآخرة
دار عمران وأعمار منها قلب من يطلبها .
عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ، كيف لا يحزن على
نقصان دينه .

على قدر خوفك من الله بهابك الخلق ، وعلى قدر حبك
لله يحبك الخلق ، وعلى قدر شعلك بأمر الله يشتغل بأمرك الخلق .
الزأ منها والمقيل في غيرها إن وضع علينا عدله لم تبق لنا حسنة ،
وإن آتى فضله لم تبق لنا سيئة .

بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ فرائد جلية من كتاب الفوائد ﴾

للعلمة ابن القيم

نجائب النجاة مهياة للمراد ، وإقدام المطرود موثقة
 للقيود ، هبت عواصف الأقدار في بيداء الأكوان ، فتقلب
 الوجود ونجم الخير فلما ركبت الريح ، إذا أبو طالب غريق
 في لجة الهلاك وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة
 يقدم قومه في التيه ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم ، والنجاشي
 في أرض الحبشة يقول : لييك اللهم لييك ، وبلال ينادي : الصلاة
 خير من النوم .

وأبو جهل في رقدة المخالفة ، لما تقدم في القدم لبسابقة
 سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آباءه في التمجس ، فأقبل
 يناظر أباه في دين الشرك ، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب
 إلا القيد ، وهذا جواب يتداوله أهل الباطل من يوم حرفوه ،
 وبه أجاب فرعون وموسى لأن اتخذت إلها غيري . وبه أجاب

الجهمية الإمام أحمد لما عرضوه على السباط . وبه أجاب أهل البدع شيخ الإسلام حين استودعوه السجن ، وهانحن على الأثر فنزل به ضيف (ولنبلونكم) فقال يا كرامه مرتبة سلمان منا أهل البيت ، فسمع أن ركباً على نية السفر فسرق نفسه من أبيه ولا قطع ، فركب راحلة العزم يرجو في ذلك مطلب السعادة ، فغاص في بحر البحث لينقع بكرة الوجود فوق نفسه على خدمة الأدلاء .

« فصل »

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتلك الشيطان وقياد النفوس ، رأوا الدولة للنفس الأمانة لجؤا إلى حصن التضرع والاتجاء كما يأوى العبد المذعور إلى حرم سيده ، شهوات الدنيا كلب الخيال ، ونظر الجاهل مقصور على الظاهر ، فأما ذر العقل فيرى ما وراء الستار لاح لهم المشتهى ، فلما مدوا أيدي التناول بأن لا يضار البصائر خيط الفخ . فطاروا بأجنحة الحذر ، وصوبوا إلى الرحيل الثاني .

يأليت قومي يعلمون ، تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود ،
فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل ، وشمروا للسير في سواء السبيل .
فالناس : مشغولون بالفضلات وهم مشتغلون في قطع الفلوات ،
وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح ، وقع ثلبان
في شبكة فقال أحدهما للآخر : أين الملتقي بعد هذا ؟ فقال : بعد
يومين في الدباغة .

تالله ما كانت الأيام إلا مناماً فاستيقظوا ، وقد حصلوا
على الظفر ؛ ما مضى من الدنيا أحلام وما بقى منها أمانى ،
والوقت ضائع بينهما ، كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه وولد
لا يعذره ، وجار لا يأمنه وصاحب لا ينصحه وشريك لا ينصفه ،
وعدو لا ينام عن معاداته ، ونفس أمارة بالسوء ، ودينامتريته ،
وهوى مرد ، وشهوة غالبية له ، وغضب قاهر وشيطان مزين ،
وضعف مستول عليه . فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له
هذه كلها ، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه ،
فكانت الهلكة لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة

والحكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد في فطرتهم وظلمة في قلوبهم. وكدر في أفهامهم وبحق في عقولهم. وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير فلم يروها منكراً.

فجاءتهم دولة أخرى أقامت فيها البدع مقام السفن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجبل مقام العلم والرياء مقام الإخلاص والباطل مقام الحق والكذب مكان الصدق، والمداينة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وصار أهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها وكان أهلها هم المشار إليهم.

فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت وراياتها قد نصبت وجبوشها قد ركبت، فبطن الأرض والله خير لك من ظهرها، وقلل الجبال خير من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس.

اقتشعت الأرض ، واطلمت السماء وظهر الفساد في البر
والبحر ، من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات وقلت الخيرات ،
وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة وبكى
ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ،
وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش
وغلبة المنكرات والقبائح .

وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن ببلاء
قد ادلهم ظلامه ، فأعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح
مادامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح وكأنكم بالباب وقد أغلق ،
وبالزهد وقد غلق ، وبالجناح وقد غلق ، وسيعلم الذين ظلموا
أى منقلب ينقلبون .

اشتر نفسك اليوم فإن السوق قاعة والتمن موجود والبضائع
رخيصة وسيأتى على تلك السوق والبضائع يوم لاتصل فيه إلى
قليل ولا كثير ذلك يوم التغابن يوم يعرض الظالم على يديه .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

وأبصرت يوم الحشر من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثلها وأنت لم تُرصد كما كان أرصدا
 العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يعلأ جرابه رملا
 يثقله ولا ينفعه ، إذا حلت على القلب هموم الدنيا وأثقالها ،
 وتهاونت بأوراده التي هي قوته وحياته ، كنت كالمسافر الذي
 يحمل دابته فوق طاقها ولا يوفيقها علفها فما أسرع ما تقف به .
 (شعرا)

ومشتت العزمات ينفق عمره حيران لا ظفر ولا إخفاق
 هل السائق العجلان يملك أمره
 فما كل سير اليعملات وخيد
 رويدا بأخفاف المطى فإنما
 تداس جبال تحتها وخدود

فائدة جلية

كل من آثر الدنيا من أهل العلم على الآخرة واستحبها ،
فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره ،
وإلزامه لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي على خلاف
أغراض الناس ، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات ،
فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بخالفه الحق ودفعه كثيرًا ، فإذا
كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما
ذلك إلا بدفع ما يضاذه من الحق ولا سيما إذا قامت له شبهة
فتتفق الشبهة والشهوة ، ويثور الهوى فيخفى الصواب ،
وينطمس وجه الحق .

وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على
مخالفته ، وقال لي مخرج بالتوبة وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى :
(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) .
وقال تعالى فيهم أيضًا : (فخلف من بعدهم خلف ورثوا

الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن
يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة
خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع عنهم
بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا وإن عرض لهم عرض آخر
أخذوه فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن
يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه؛ وهم
علمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك. أو لا يعلمون
أن ذلك دينه وشرعه وحكمه فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون،
وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا
فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على
الآخرة وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا
بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها والآخرة

وإقبالها ودوامها وهؤلاء لابد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل ، فيجتمع لهم الأمران . فإن اتباع الهوى يعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة . فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات . وهذه الآيات فيهم إلى قوله : (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) .

هذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه وتأمل ما تضمنته هذه الآية الكريمة من ذمه ، وذلك من وجوه أحدها : أنه ضل بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً . وثانيها : أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها . ولو بقي منها شيء لم ينسلخ منها .

وثالثها : أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه ،
ولهذا قال : فأتبعه الشيطان ، ولم يقل تبعه ، فإن في معنى أتبعه
أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى . ورابعها : أنه
غوى بعد الرشيد والغى الضلال في العلم والقصد وهو أخص
بفساد القصد والميل كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد .
فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر وإن اقترنا فالفرق ما ذكر .

وخامسها : أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب
هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالاً عليه فلم يكن عالماً كان خيراً
له وأخف لمذابه .

وسادسها : أنه سبحانه أخبر عن خسة همته وأنه اختار
الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى .

وسابعها : أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر
وحديث نفس ، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته
إلى ما هناك ، وأصل الإخلاد اللزوم على الدوام كأنه قيل :
لزم الميل إلى الأرض . ومن هذا يقال : أخلد فلان بالمكان إذا

لزم الإقامة به قال مالك بن نويرة شعراً:
بأبناء حى من قبائل مالك

وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض لأن الدنيا

هى الأرض وما فيها ، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع .

وثامنها : إنه رغب عن هذاه ، وأتبع هواه فجعل هواه

إماماً له يقتدى به ويتبعه .

وتاسعها : أنه سبحانه شبه بالكلب الذى هو أخس

الحيوانات همة وأسقطها نفساً وأبخلها ، وأشدّها كلباً ولهذا

سمى كلباً .

وعاشرها : أنه شبه لهثته على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه

لفقدها ، وحرصه على تحصيلها يلث الكلب فى حالتى تركه

والحمل عليه بالطرد . وهكذا هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا

وإن وعظ وزجر فهو كذلك ، فاللهث لا يفارقه فى كل حال

كلهث الكلب .

« وقال ابن قتيبة » كل شئ يلهث فإنما يلهث من أعياء أو

عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الرى وحال العطش، فضر به الله مثلاً لهذا الكافر، فقال : إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث. وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث وذلك أخس ما يكون وأشنعه .

فصل

الدراهم أربعة : درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله، فذلك خير الدراهم ، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذلك شر الدراهم ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج في أذى مسلم فهو كذلك ، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة . فذلك لاله ولا عليه .

هذه أصول الدراهم وعليها دراهم أخر منها : درهم اكتسب بحق وأنفق في باطل ، ودرهم اكتسب بباطل وأنفق في حق ، فإنفاقه كفراته ، ودرهم اكتسب من شبهة ، فكفراته أن ينفق في طاعة .

وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم بإخراج الدرهم، فكذلك يتعلق باكتسابه، وكذلك يسأل عن مستخرجه ومصرفه من أين اكتسبه وفيما أنفقته .

فصل

المواساة للمؤمنين أنواع : مواساة بالمال ومواساة بالجاه ، ومواساة بالبدن والخدمة ومواساة بالنصيحة والإرشاد ، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ، ومواساة بالتوجع .
وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة ، فكما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوى قويت .

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلا تباعة من المواساة بحسب إيتابهم له ودخلوا على أبا نصر في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض . فقالوا : ما هذا يا أبا نصر ؟ فقال : ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم به ، فأحببت أن أواسيهم في بردهم . والله أعلم .

فصل

من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه
زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره .
وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد
في سخائه وبذله وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من
الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم .

﴿ فائدة جلية — الشقاوة ﴾

وعلامات الشقاوة : أنه كلما زيد في علمه زيد في كبره
وتيهه . وكلما زيد في عمله زيد في فخره واحتقاره للناس ، وحسن
ظنه بنفسه . وكلما زيد في عمره زيد في حرصه ، وكلما زيد
في ماله زيد في بخله وإمساكه ، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد
في كبره وتيهه .
وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلي بها عباده فيسعد
بها . أقوام ويشقى بها أقوام وكذلك الكرامات امتحان
وابتلاء ، كالملك والسلطان والمال .

قال تعالى : عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده
 (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) فالنعم ابتلاء
 من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور ،
 كما أن المحن بلوى منه سبحانه فهو يتلى بالنعم كما يتلى
 بالمصائب

قال تعالى : (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه
 فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقتدر عليه رزقه فيقول
 ربي أهانن كلا » .

أى ليس كل من وسعت عليه وأكرمه ونعمته يكون
 ذلك إكراماً منى له ، ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته
 يكون ذلك إهانة منى له . والله أعلم .

فصل

إذا عزم العبد على السفر إلى الله تعالى ، وإرادته عرضت
 له الخواضع وللقواطع فينخدع أولاً بالشهوات والرياسات والملاذ

والمنالكح والملابس ، فإن وقف معها انقطع وإن رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه . ابتلى بوطء عقبه ، وتقييل يده والتوسعة له في المجلس والإشارة إليه بالدعاء ورجاء بركته ونحو ذلك .

فإن وقف معه انقطع به عن الله وكان حظه منه ، وإن قطعه ولم يقف معه ابتلى بالكرامات والكشوفات ، فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه ، وإن لم يقف معها ابتلى بالتجريد والتخلي ولذة الجمعية وعزة الوحدة والفراغ من الدنيا .

فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود وإن لم يقف معه وسار ناظر إلى مراد الله منه وما يحبه بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ومراضيه أين كانت وكيف كانت تعب بها أو استراح تنعم أو تألم . أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم لا يختار لنفسه غير ما يختاره له وليه وسيده واقف مع أمره ينفذه بحسب الإمكان ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم راحتها ولذتها على مرضاة سيده وأمره . فهذا هو العبد الذي

قد وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شيء البتة ، وبالله التوفيق ،
وصلى الله على محمد .

فصل

خلق بدن ابن آدم من الأرض وروحه من ملكوت
السماء ، وقرن بينهما فإذا أجاعه وأسهره وأقامه في الخدمة
وجدت روحه خفة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذي خلقت منه،
واشتاقت إلى عالمها العلوى، وإذا أشبعه ونعمه ونومه واشتغل
بخدمته وراحته أدخل البدن إلى الموضع الذي خلق منه فأنجذبت
الروح معه فصارت في السجن فلولا أنها ألقت السجن
لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي خلقت
منه كما يستغيث المعذب .

وبالجملة: فكلما خف البدن لطفت الروح وخفت وطلبت
عالمها العلوى، وكلما ثقل وأدخل إلى الشهوات والراحة ثقلت
الروح وهبطت من عالمها وصارت أرضية سفلية، فترى الرجل
روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك فيكون ناعماً على فراشه

وروحه عند سدرة المنتهى ، تجول حول العرش ، وآخر
واقف في الخدمة بيدنه وروحه تجول حول السفليات .

فإذا فارقت الروح البدن التحقت برفيقها الأعلى أو الأدنى ،
فعند الرفيق الأعلى كل قرّة عين وكل نعيم وسرور وبهجة
ولذة وحياة طيبة .

وعند الرفيق الأسفل : كل هم وغم وضيق وحزن وحياة
نكدة ومعيشة ضنك .

قال تعالى : «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا»
فذكره كلامه الذي أنزله على رسوله ﷺ والإعراض
عنه ، ترك تدبره والعمل والمعيشة الضنك . فأكثر ما جاء في
التفسير ، أنها هذاب القبر . قاله ابن مسعود وأبو هريرة
وأبو سعيد الخدري وابن عباس ، وفيه حديث مرفوع وأصل
الضنك في اللغة الضيق والشدة وكل ماضاق فهو ضنك ، يقال :
منزل ضنك وعيش ضنك ، فهذه المعيشة الضنك في مقابلة

التوسيع على النفس والبدن بالشهوات واللذات والراحة .
فإن النفس كلما وسعت عليها ضيقت على القلب حتى تصير
معيشة ضنكا ، وكلما ضيقت عليها وسعت على القلب حتى
ينشرح وينفسح .

فضنك المعيشة في الدنيا بموجب التقوى سعتها في البرزخ
والآخرة وسعة المعيشة في الدنيا بحكم الهوى ضنكها في البرزخ
والآخرة ، فأثر أحسن المعيشتين وأطيبها وأدومها ، وأشق البدن
بنعيم الروح ولا تشق الروح بنعيم البدن فإن نعيم الروح
وشقاءها أعظم وأدوم ، ونعيم البدن وشقاؤه أقصر وأهون ،
والله المستعان العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدر
على تركها ، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم .
فتترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة فكيف يؤمر بالفضيلة
من لم يقيم بالفريضة .

فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم
بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه ، وصفات كماله ونعوت جلاله .

فإن القلوب مقطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها
ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها .

وقد قال يحيى بن معاذ : طلب العاقل الدنيا خيراً من ترك
الجاهل لها ، العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل
عليهم الإجابة ، والزاهد يدعوهم إلى الله ويترك فتشق عليهم
الإجابة .

فإن الفطام عن الثدي الذي ما عقل الإنسان نفسه إلا وهو
يرتضع منه شديد ولكن تخير من الرضعات أذكاهن وأفضلهن ،
فإن اللبن تأثيراً في طبيعة المرتضع ورضاع المرأة الحلقى يعود
بمحق الولد وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على
مرارة الفطام وإلا فارتضع بقدر . والله أعلم .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التهنئة للمسلمين وإمامهم في فتح الطائف ومكة
لما فتحتها الله على يد الإخوان أهل الغبطة وإخوانهم

شعري

قال الشيخ محمد بن عثمان الشاوي القصيمي :

لَكَ الحمد اللهم يا خير وأهب يا خير مرجو لنيل المأرب
ويا خير من يرجى لكشف ملمة

ويا خير من يسدى العطا والمواهب
لَكَ الحمد حمداً يملأ الأرض والسماء ويملاً ما بين الثرى والكواكب
لَكَ الحمد كل الحمد إذ كنت أهله على نعم تربو على عدحاسب
على كبت أحزاب الضلالة والردى

وعن لعنديد كفور مشاغب

وكسر لأوثان وهدم مشاهد
ويدعونها حباً وخوفاً وخشية
ولا كان ذا قضا لدين محمد
وهذا هو الإشراف بالله وحده
يلوذ بها الكفار من كل ناكب
وهذا لعمرى من كبير المصائب
نبي الهدى ختم البكرام الأطايب
فأعظم به نكراً وخيم المواقب
على المنهج الأسنا أجل المطالب
فسرنا بحمد الله والشكر والثناء

جهاد ذوى الإشراك حرب ذوى التقا

جنود حسين من أتى بالعائب
وكانوا لدى حصن طويل ممنع

لديهم من العدات أهبة حارب
فزعزعهم ربى وشتت شملهم
وما بين مجدول على أم رأسه
وما بين مكلوم شديد المعاطب
ترى الطائر مع غرث السباع عصائبا

تنوهمو من كل قطر وجانب
وأورثنا ربى ديار ذوى الردى
وأموالهم رغما على أنف غاضب
بأيدى ذوى بأس شداد أعزة
خلا لإنهم للصحب أهل تحاب
ججاجح فى الهيجا مراويع فى الوغا

بأيدهمو يبيض الرقاق المضارب
على عارفات للطعاب عوابس
بهن كُلولم بين دام وجالب
إذا استنزلوا عنهم للطنن أرقلوا
إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
فهم يتساقون المنية بينهم
يرون لقاءها من كبير المكاسب
خوس لهم كانت لديهم ثمينة
وقد أرخصوها فى قتال المحارب
ومن بعد ذا سرنا على من تألبوا
وصدوا لوفد الله أكرم نائب
ولكنهم فى بلدة ومحلة
بهايت رب العرش أغلب غالب

فلا يُرْتَضَى فيها قتال وفتنة إذا قد أتى نص بأعلا المراتب
وزكن مولانا الكريم بفضلته

أزال العدا من غير ضرب القواضب
نقامهم رُهب شديد فأرجفوا وفروا سراعا من جميع الجوانب
فلما تحققتنا وطاب لنا المنى

بفضل ولى الفضل مسدى المواهب
دخلنا نلبى حاسرين رؤوسنا

وطقنا بذى الأنوار بين الأخاشب
دعونا وكبرنا على الرو والصفاء

وتلك البقاع النيرات الأطائب
ووالله لم نفسك دماء ولم يكن سوى الحرم العالى لنا من مأرب
مع الهدم للاوثان والشرك والردى

وتجويدنا التوحيد أوجب واجب
فشكر المُن أسدى الجميل بصنعه فتلك لعمري من عجيب العجايب
فيا أيها المزجى ذبولا عرندسا عذافرة تطوى طويل السبابسب
إذا ما رأت للوسط ظلال رأيتها كقائدة الأرام ريعت بطالب
تحمل هديت الخير منى تحية إلى ملك سامى الذرى والمناقب
وقل بعد تسليم مع البعد والنوى

ليهنك يا ابن الأجددين الأطائب

بلوغ للمنى والفوز بالعز والهنا وفتح لدار الوحي جل المطالب
فأم القرى تدعوك قد مسها الضنا

وقد مرضت من فعل طاع وناكب
أتتك تجر الذيل هيفا مليحة معندمة الخدين أجل كعاب
وقد عزفت عن كل بعل وخاطب

لأجلك يا ابن الأجددين الأطائب
ففيها لها مهرأ من البر والتقى
وحكم بها شرع الإله وذينه
وكن شاكرأ لله جل ثناؤه
ومن مبلغ عنى حسينا وفيه صلا
بأنا بحمد الله لا رب غيره
فلا ندعو إلا الله جل جلاله
وندعو إلى التوحيد سرأ وجهرة
ونأمر بالتقوى وننهى عن الردى
ومن صدعن هذا تمرد واعتدى
ونلقمه صخرأ ونشدخ رأسه
وقل للمدى فى كل قطر وجانب
وطهر حماها جميعا من المعائب
تنل من إله العرش أسنى المطالب
ققيد الأيادى شكر مسد وواهب
وأعوأنهم من كل قدم وعائب
على منهج المختار ختم الأطائب
تقدس عن ند وقول لكاذب
إلى أن يكون الدين خال الشوائب
وندعوا للحج البيت لافعل كاذب
سنسقيه كأسأ من سموم العقارب
إلى أن يرى الله أول آيب
بكل النواحي عجمها والأعارب

أُنذِبُوا وَإِلَّا فَاسْتَعِدُّوا وَاجْمَعُوا
جُنُودَ تَرْيِكُمْ فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ ظُلُمَةً
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حُلُقَ فَوْقَهُمْ
تَلَازَمَهُمْ حَتَّى يَفْرَنَ مَقَارِمَ
مُحْمَدٍ مَعَشَرَ الْإِخْوَانِ دَامَ سُرُورُهُمْ
لَهُمْ أَسْوَةٌ فِي فِعْلٍ مَحَبِّ نَبِيِّهِمْ
فِيَارِبِي يَا مَنَّانُ يَا مَنْ لَهُ الْبَقَاءُ
أَعْزَمُ مِنَ الْإِعْجَابِ مَعَ كُلِّ فِتْنَةٍ
وَصَلَّى إِلَهِي مَا تَأَلَّقَى بَارِقُ
وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا حَنَ رَاعِدُ
كَذَا الْآلُ وَالْأَسْحَابُ مَعَ كُلِّ تَابِعٍ
لَبِيبُ وَفَرَسَانُ وَجَرْدُ شَوَازِبِ
تَرَى الْبَيْضَ فِيهَا كَالنَّجُومِ الثَّوَاقِبِ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِبِ
وَلَا مَرَّ مِنْ يَرْمِيهِمْ بِالْمَعَائِبِ
وَمَهْمُهُمْ مَعْرُوفَةٌ فِي الْعَوَاقِبِ
وَيَا خَيْرَ مَنْ يَرْجَى لَنَيْلِ الْمَآرِبِ
وَيُبْتَهِمُو يَارَبُ يَا خَيْرَ وَاهِبِ
وَمَا نَهَلَ وَدَقَ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ
عَلَى السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ مِنْ نَسْلِ غَالِبِ
وَتَابِعُهُمْ مَا ضَاءَ نُورُ الْكُورِ كَبِ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام « محمد بن عبد الوهاب » في جواب له قال
ابن القيم رحمه الله تعالى في « الأعلام » :

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب
الحق، وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض . وقال عمرو بن
ميمون سمعت ابن مسعود يقول : عليكم بالجماعة فإن يد الله
على الجماعة . وسمعتة يقول : سيلي عليكم ولالة يؤخرون الصلاة
عن وقتها . فصل الصلاة وحدك (وهي الفريضة) ثم صل معهم
فإنها لك نافلة . قلت يا أصحاب محمد : ما ما أدري ما تحدثون؟
قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة ثم تقول : صل الصلاة وحدك .
قال يا عمر بن ميمون ، لقد كنت أظنك من أئقّه أهل هذه
القرية ؟ أتدري ما الجماعة قلت لا . قال : الجماعة ما وافق الحق
وإن كنت وحدك .

وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فطليك بما كان
عليه الجماعة - قبل أن تفسد الجماعة - فإنك يومئذ أنت الجماعة .

وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل ، إلا نفر آيسير آ .
فكانوا هم الجماعة . وكانت القضاة والفقهاء والمفتون والخليفة
وأتباعهم كلهم الشاذون . ولمالم تحتمل ذلك عقول الناس قالوا
للخليفة : يا أمير المؤمنين أ تكون أنت وقضاتك وولاتك
والفقهاء والمفتون على الباطل وأحد وحده على الحق . فلم
يحتمل ذلك فأخذ بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، فلا
إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله
وصحبه أجمعين :

وكتب سفيان الثوري إلى أخيه عباد بن عباد : السلام
عليك . أما بعد : فاعلم يا أخى أنك في زمان كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله أن يدركوه ولهم من العلم
ما ليس لنا . فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة فقه وقلة
صبر وقلة أعوان على الخير ، وكثير من الدنيا وفساد من الناس ،

فعليك يا أخى بالأمر الأول تمسك به ، وعليك بالتحول وعليك
 بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فإن الناس فيما مضى إذا التقوا ينفع
 بعضهم بعضاً . أما اليوم فقد ذهب ذلك كله فالنجاة في تركهم .
 وإياك والأمر أن تجالسهم أو تدنو منهم ولو في شيء قليل .
 وإياك وفتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل
 مفتون : إياك وإياك أن تكون ممن يجب أن يؤخذ بقوله أو
 يعمل بقوله وإياك وحب الرياسة فإنها ربما أن تكون الرياسة
 أحب إلى الرجل من الذهب والفضة . وهو باب غامض
 لا يفتن له إلا سماسة العلماء . فتفقد نفسك يا أخى ، واعمل بنية
 وحسبة واعلم أنه قد دنى من الناس أمور وفتن ، يحب الرجل
 أن يموت قبلها والسلام . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .
 قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الصلاة :

فصل

قال : المكمل للصلاة أهلاً وسهلاً بكل ما جاء عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وهل ندندن إلا حوله

الإقتداء به ، ومتابعته ومتابعة هديه وسنته ؟ ولا تضرب سنته بعضها ببعض ، ولا تأخذ منها ما سهل وتترك منها ما شق . علينا لسكسل وضعف عزيمة واشتغال بدنيا قد ملأت القلوب ، وملكت الجوارح ، وقرت بها العيون ، بدل قرنها بالصلاة ، فصارت أحاديث الرخصة في حقها شبهة صادفت شهوة ، وفتورا في العزم وقلة رغبة في بذل الجهد في النصيحة في الخدمة ، واستسهلت حق الله تعالى وجعلت كرمه وغناه من أعظم شبهاتها في التفريط فيه وإضاعته وفعله بالهويناء تحلة القسم . ولهجت بقولها ما استقصى كريم حقه قط . ويقولها : حق الله مبني على المسامحة والمساهلة والعفو . وحق العباد مبني على الشح والضيق والاستقصاء ، فقامت في خدمة المخلوقين كأنها على الفرش الوثيرة والمراكب الهنية ، وقامت في حق خدمة ربها وفاطرها كأنها على الجمر المحرق . تعطيه الفضلة من قواها وزمانها وتستوفي لأنفسها كمال الحظ . ولم يحفظ من السنة إلا « أفئتان أنت يا معاذ » و « أيها الناس إن منكم منفرين » ووضع الحديث على غير موضعه ، ولم يتأمل ما قبله وما بعده

ومن لم تكن قرعة عينه في الصلاة ونعيمه وسروره ولذته فيها
وحياة قلبه وانشراح صدره ، فإنه لا يناسبه إلا هذا الحديث
وأمثاله بل لا يناسبه إلا صلاة السراق والنقارين فنقرة الغراب
أولى به من استفراغ وسعه في خدمة رب الأرباب. وحديث
« أفتان أنت يا معاذ » الذي لم يفهمه أولى به من حديث :
كانت صلاة الظهر تقام فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضى حاجته
ثم يأتي أهله فيتوضأ ثم يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الركعة الأولى — وحديث صلاته صلى الله عليه وسلم الصبح
بالمعوذتين ، وكان هذا في السفر أولى به . من حديث صلاته
في الحضر بمئة آية إلى مئتين — وحديث صلاته صلى الله عليه
وسلم المغرب بقل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، الذي
انفرد ابن ماجه بروايته أولى به من الحديث الذي رواه البخاري
في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فيها بطول
الطولين وهي الأعراف . فهو يميل من السنة إلى ما يناسبه
ويأخذ منها بما يوافقه . ويلطف لمن خشن في تأويل ما يخالفه
ودفعه بالتي هي أحسن .

ونحن نبرأ إلى الله من سلوك هذه الطريقة ، ونسأله أن يعافينا مما ابتلى به أربابها بل ندين الله بكل ماصح عن رسوله ولا نجعل بعضه لنا وبعضه علينا فنقر ما لنا على ظاهره وتأول ما علينا على خلاف ظاهره ، بل السكل لنا لا نفرق بين شيء من سننه ، بل تلقاها كلها بالقبول وتقابلها بالسمع والطاعة وتتبعها أين توجهت ركائبها . وننزل معها أين نزلت مضاربها ، فليس الشأن الأخذ ببعض سنة رسول الله ﷺ وترك بعضها ، بل الشأن في الأخذ بجملة ما . وتنزيل كل شيء منها منزله ووضع موضع .

فنقول وبالك التوفيق : الإيجاز والتخفيف المأمور به والتطويل المنهى عنه ، لا يمكن أن يرجع فيه إلى عادة طائفة وأهل بلد وأهل مذهب ولا إلى شهوة المأمومين ورضاهم . ولا إلى اجتهاد الأئمة الذين يصلون بالناس ورأيهم في ذلك . فإن ذلك لا ينضبط وتضطرب فيه الآراء والإرادات أعظم اضطراب ، ويفسد وضع الصلاة ، ويصير مقدارها تبعاً لشهوة الناس ، ومثل هذا لا تأتي به شريعة بل المرجع في ذلك والتعاكم

إلى ما كان يفعله من شرع الصلاة للأمة وجاءهم بها من عند الله وعلمهم حقوقها وحدودها وهياتها وأركانها . وكان يصلي وراءه الضعيف والكبير والصغير وذو الحاجة ولم يسكن بالمدينة إمام غيره صلوات الله وسلامه عليه . فلذى كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقد سئل بعض أصحاب رسول الله ﷺ فقال : مالك في ذلك من خير فأعادها عليه فقال : كانت صلاة الظهر تقام فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى مما يطولها . رواه مسلم في الصحيح ، وهذا يدل على أن الذي أنكره أبو سعيد وأنس وعمران بن الحصين والبراء ابن عازب إنما هو حذف الصلاة . والإختصار فيها والاختصار على بعض ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ولهذا لما صلى بهم أنس قال : إني لا ألوان أصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ثابت : فكان أنس يصنع شيئاً لا أراكم

تصنعونه . كان إذا انتصب قائماً يقوم حتى يقول القائل قد أؤم .
وإذا جلس بين السجدين مكث حتى يقول القائل قد أؤم .
فهذا مما أنكره أنس على الأئمة حيث كانوا يقصرون هذين
الركنين كما أنكر عليهم تقصير الركوع والسجود ، وأخبرهم
أن أشبههم صلاة برسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز ، فحذروا
تسبيحه في الركوع والسجود عشراً عشرأ . ومن المعلوم أنه
لم يكن يسبجها هذا سراعاً من غير تدبر ، فخالهم أجل من
ذلك . انتهى . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن القيم أيضا في كتاب الصلاة :

فصل

« في الحكم بين الفريقين وفصل الخطاب بين الطائفتين »
 معرفة الصواب في هذه المسألة مبنى على معرفة حقيقة
 الإيمان والكفر، ثم يصح النفي والإثبات بعد ذلك . فالكفر
 والإيمان متقابلان إذا أزال أحدهما خلفه الآخر . ولما كان
 الإيمان وصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً .
 فالصلاة من الإيمان . وكذلك الزكاة والحج والصيام ،
 والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة
 إليه ، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إمطة الأذى عن الطريق
 فإنه شعبة من شعب الإيمان . وهذه الشعب منها ما يزول
 الإيمان بزواله كشعبة الشهادة ومنها ما لا يزول بزوالها كترك
 إمطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً ،

منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب . ومنها ما يلحق بشعبة إمالة الأذى ويكون إليها أقرب . وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر . والحياة شعبة من الإيمان ، وقلة الحياة شعبة من شعب الكفر .

والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر . والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان .

وشعب الإيمان قسمان : قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية . ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية ،

فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر إختياراً وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والإستهانة بالمصحف فهذا أصل .

وما هنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل . والقول قيمان : - قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قيمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء . فإن تصديق القلب شرط في إعتقادها وكونها نافعة ، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق : فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة . فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته واتقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركن الذين كانوا يتقنون صدق الرسول بل ويقرون به سرّاً وجهرّاً ، ويقولون : ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ، ولا نؤمن به .

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانهياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت. ويلزم من عدم طاعته وانهياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان. فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه. وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والإتيان. وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه. والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتمام، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقا فليس هو التصديق المستلزم بالإيمان، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته.

بسم الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين :

قال ابن هشام في كتاب سيرة الرسول ﷺ : قال ابن
إسحاق :

خرج ستة نفر من المدينة يريدون الحلف من قريش بمكة،
فلما قدموا مكة سمعوا برسول الله ﷺ قد بعث فقالوا : لو
أتينا هذا الرجل فأتوه . فقال لهم رسول الله ﷺ : ألا
أدلكم على خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك قال : تؤمنون بالله
ورسوله ، فمرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام وقرأ عليهم
القرآن فأسلموا . ثم أرسل معهم مصعب بن عمير يعلمهم الإسلام
ويقرؤهم القرآن بالمدينة . فلما قدموا المدينة كان أسعد بن زرار
ومصعب في حائط رجل منهم يعلمان الناس الإسلام ويقرءانهم
القرآن ، فلما كان ذات يوم قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير :
لا أباك يا أسيد أن تأتي هؤلاء الرجلين يغشيانا في ديارنا ويسفهان

ضعفاءنا . فلولا ما بيني وبين أسعد من القرابة لعانت ما أصنع .
فقام أسيد فأخذ حربته ومشى حامداً إليها فلما أقبل عليهما قال
أسعد بن زرارة لمصعب : جاءك سيد قومك فأصدق الله فيه .
فقال مصعب : إن مجلس أكله . فقال ما جاء بكما تفشيانا في
ديارنا وتسفهان ضعفاءنا ؟ فقال له مصعب : أوتجلس وتسمع
فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته صرفنا عنك ما نكره .
قال : ما أحسن هذا فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه
القرآن ، فقال : ما أحسن هذا وأجمله . كيف تصنعون إذا أنتم
أسلمتم وأردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا : تطهر وتطهر ثوبيك
وتشهد شهادة الحق . فقال : وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة
الحق ، ثم قال : إن ورأى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه من قومه
أحد . ثم أخذ حربته ومشى حامداً إلى نادى قومه فلما
أقبل عليهم قالوا : نحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي
ذهب به من عندهم . فلما وقف عليهم قال له سعد : ما فعلت ؟
قال : جئت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً ولكني حدثت

أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخذلوك . ثم أخذ الحربة من يد أسيد ثم قال : ما أراك أغنيت شيئاً ثم مشى عامداً إليهما فلما رآهما مطمئنان عرف سعد أن ما أراد أسيد أن يسمع منهما . فلما أقبل عليهما قال أسعد بن زرارة لمصعب : جاءك سيد من ورائه فأصدق الله فيه .

فقال مصعب : إن يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشاماً قال : ما جاء بكما تغشيانا في ديارنا وتسفهان ضعفاءنا . فلولا ما بيني وبينك من القرابة لعلمت ما أصنع ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن . فقال ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم وأردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا : تطهر وتطهر ثوبيك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين ، فقام وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق . ثم أخذ حربته ومشى عامداً إلى

نادى قومه فلما أقبل عليهم قالوا : نخلف بالله لقد جاءكم
 سمع بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال :
 يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا
 وأفضلنا رأيا وأيعتنا نقيبة ، فإن كلام رجالكم ونسائكم على
 حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى
 دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة إلا
 قبيلة من بنى الحارث كان بهم شاعر فوقف بهم عن الإسلام
 حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدر وأحد
 والخندق ، ثم أسلم الشاعر رضى الله عنه فقال :

فقلوا ربنا كنا يهوداً	ومادين اليهود بنى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى	مع الأحبار فى جبل الخليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا	حنيف ديننا عن كل جيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال ابن هشام في السيرة، قال ابن إسحاق : لما قتل الله من قتل من صناديد قريش في يوم بدر ألقى أكابرهم في قلبه بدر، ثم وقف عليهم من الليل فقال : يا أهل القلب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً . يا أهل القلب بشئ عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس . وطرذتموني وآواني الناس . وخذلتوني ونصرتني الناس . يا أهل القلب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا نبيها ومنها ابني الحجاج، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً . فيقول أصحابه : يا رسول الله أتلكم قوماً قد جيفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع منهم لي ولكنهم لا يحجيون ، فقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثير

كخط الوحي في الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون	من الوسمي منهمر مكوب
فأضحى رسمها خلقاً وأمسّت	يباباً بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم	ورد حرارة الصدر الكثير
وحدث بالذي لا عيب فيه	بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر	لنا في المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء	بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منّا يجمع	كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه	على الأعداء في لفح الحروب
بنو الأوس الغطارف وازرتها	بنو النجار في الدين الصليب
فقادينا أبا جهل صريعاً	وعتبه قد تركنا في الجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال	ذوى حسب إذا نسبوا حسب
يناديهم رسول الله لما	قدفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقاً	وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذارأي مصيب
وكان أبو جهل قبل الواقعة يقول : —

ما تنقب الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدني أي

وقال ابن إسحق : —

خرج ستة نفر من المدينة يرون الحلف من قريش بمكة ،
فلما قدموا مكة سمعوا برسول الله ﷺ قد بعث فأتوه ، فقال
لهم رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على خير مما جئتم له . قالوا :
وما ذاك ؟ قال : تؤمنون بالله ورسوله . فعرض عليهم رسول
الله ﷺ الإسلام وقرأ عليهم القرآن . فأسلموا فأرسل معهم
مصعب بن عمير إلى المدينة يعلمهم الإسلام ويقرئهم القرآن .
فلما قدموا المدينة كان أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير في
حائط رجل من الأنصار يعلمان الناس الإسلام ويقرءانهم
القرآن .

فلما كان ذات يوم قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير :

لا أباك يا أسيد أن تأتي هذين الرجلين يغشيانا في ديارنا
ويسفهان ضعفاءنا . فلولاً ما بيني وبين أسعد من القرابة لعلمت
ما أصنع . فقام أسيد وأخذ حربته ومشى حامداً إليهما فلما أقبل
عليهما قال أسعد بن زرارة لمصعب : جاءك سيد قومك فأصدق
الله فيه . فقال مصعب : إن يجلس أكله فلما وقف عليهما متشهماً
قال : ما جاء بكما تغشيانا في ديارنا وتسفهان ضعفاءنا . فقال له :
مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرأ قبلكه وإن كرهته
هزلنا عنك ما تكره . قال : أنصفت . فرض عليه مصعب
الإسلام وقرأ عليه القرآن . فقال : ما أحسن هذا الكلام
وأجمله ، كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم وأردتم أن تدخلوا في
هذا الدين ؟ قالوا : تطهر وتطهر ثوبيك وتشهد شهادة الحق ،
فقام وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم قال : إن ورائي
رجل إن أتبعكم لم يتخلف عنه من قومه أحد - يعني أسعد
ابن معاذ رضي الله عنه - ثم أخذ حربته ومشى حامداً إلى ناديه
قومه فلما أقبل عليهم قالوا : نخلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير

الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال له سعد :
 ما فعلت ؟ قال : جئت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ولا سكراني
 حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ،
 وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك . فقال سعد :
 ما أراك أغنيت شيئا . فقام سعد مغضبا وأخذ حربته ومشى
 حامدا إليهما فلما أقبل عليهما فإذا هما مطمئنان فعرف سعد أنهما
 أرادا أسيد أن يسمع منهما ، فقال أسعد بن زرارة لمصعب بن
 عمير : جاءك سيد من وراءه فأصدق الله فيه فلما وقف عليهما
 قال : ما جاء بكما تغشيانا ديارنا وتسفهان ضعفاءنا . فلو لا ما بيني
 وبينك من القرابة لعلمت ما أصنع . فقال له مصعب بن عمير :
 أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك
 ما تكره . قال : أنصفت . فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ
 عليه القرآن . فقال ما أحسن هذا الكلام وأجمله . كيف
 تصنعون إذا أنتم أسلمتم . وأردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟
 قالوا : تطهروا تطهروا نويك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين .

فقام وتطهر وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين
 ثم قام وأخذ حربته ومشى حامداً إلى نادى قومه . فلما أقبل
 عليهم قالوا : تحلف بالله لقد جاءكم محمد بغير هذا الوجه الذى
 ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل
 كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأعزنا
 نقيبة قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا
 بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أسمى فى دار بنى عبد الأشهل
 رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة إلا قبيلة من بنى الحارث
 كان بهم شاعر فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول
 الله ﷺ . ومضى بدر وأحد والخنديق ثم أسلم الشاعر رضى
 الله عنه فقال :

فلولاً ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بنى شكول
 ولولاً ربنا كنا نصارى مع الأحبار فى جبل الخليل
 ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيف ديننا عن كل جيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كآل الشريعة

وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

الحمد لله وأشكره على نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن
محمدأ عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد . فهذه كلمة تبين كآل الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه
البشر . لا يخفى أن والله بمث نبيه محمدأ ﷺ إلى البشر رحمة
منه وإحساناً ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم
إلى صراط مستقيم . وكانت العرب قبل بعثته (ﷺ) في جاهلية
جهلاء وشقاء يعبدون الأصنام ويشدون البنات ، ويسفكون
الدماء بأدنى سبب وبلا سبب ، في ضيق من العيش وفي نكد
وجهد من الحياة ، يعيشون عيشة الوحوش ومع الوحوش
يتحاكمون إلى الزكهان والطواغيت ، فلما جاء الله بهذا النبي

الكريم أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ، أخرجهم من
 ظلمة الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد ، ومن ظلمة
 الجهل والطيش إلى نور العلم والحلم ، ومن ظلمة الجور والبغض
 إلى نور العدل والإحسان ، ومن ظلمة التفرق والاختلاف إلى
 نور الاتفاق والوئام ، ومن ظلمة الأنانية والاستبداد إلى نور
 التواضع والتشاور ، ومن ظلمة الفقر والجهد إلى نور الغنى والرخاء .
 بل أخرجهم من ظلمة الموت إلى نور الحياة السعيدة (أو من
 كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يعشى به في الناس كمن مثله في
 الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا
 يعملون) أكمل الله به الدين وتم به مكارم الأخلاق أمر بعبادة
 الله وحده لا شريك له وأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام
 والإحسان إلى الفقراء والمعوذين حتى قال (ص) «إن الله كتب
 الإحسان على كل شيء وأمر بالتعاطف فيما تنازعوا فيه إلى الله
 ورسوله » لا خير آ لأول الأمة عليه ولا شر إلا حذرهما مثله
 أخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة . كما قال حذيفة
 (٢٢ - المجوعة المصودة)

رضى الله عنه . قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك
شبهًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه . وقال أبو ذر رضى الله عنه : لقد توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال - لقد تركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا
منه عامًا ، رسم لأتمته طريق السعادة في الدنيا والآخرة في سياسته
الشرعية التي يمجز كل أحد أن يأتي بناحية من نواحيها فرسم
لهم طريق السياسة مع الأعداء ، وبين لهم ما تعامل به الأمم
الأجنبية من الحرب ووجوبه والسلم ووجوبه والمهادنات
والصالح وحفظ المهود ، وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة .
يستطيعونها قال الله تعالى :

(فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون .
وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب
الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون .
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون.
وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو
السميع العليم).

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على مقتضيات الحرب
والاستعداد لذلك وتأهب المسلمين بالقوة لعدوهم بما يرهبهم
وبيان الصالح والسلم ، إلى غير ذلك مما دلت عليه هذه الآيات
من آي القرآن .

كما قسمت الشريعة أيضاً السياسة إلى ثلاث أقسام :

سياسة شرعية دينية .

سياسة جائزة مباحة .

سياسة شيطانية فرعونية إبليسية .

فالسياسة الشرعية الدينية هي ما دل عليه الكتاب والسنة
من قتل القاتل وقطع يد السارق ، وإقامة الحدود : كحد الزنا

والقذف وجد المسكر ودية منافع الأعضاء، وغير ذلك مما لا يدخل تحت حضر.

والسياسة الجائزة المباحة وهي ما يسوس بها ولاية الأمور
رعايهم مما لم يخالف كتاباً ولا سنة.

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هم بفروة وري
بغيرها وقال: الحرب خدعة إلى غير ذلك.

والسياسة الشيطانية الفرعونية الإبليسية هي كل ما خالف
كتاب الله وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن
زعم أهلها أنهم مصلحون بسياستهم فهم خفاً مفسدون. قال
تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن
مصلحون فقال الله ألا إنهم المفسدون ولكن لا يشعرون).

فالمبرة بالحقائق لا بالمسميات. وكما قال فرعون (ما أرىكم
إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وأى رشد عند
فرعون القاتل (أنا أرىكم الأعلى) ليرد عليه القرآن في موضع آخر
قال تعالى (وأما أمر فرعون برشيد) وبينت الشريعة الإسلامية

السياسية الخارجية كما قدمنا في الآيات بشأن السلم والحرب والصالح والمعاهدة إلى غير ذلك فمن ذلك. أيضاً قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم) الآية فالآية تدل على أن المسلمين مأمورون بالحذر وبالتأهب والانتعداد لعدوهم بالآلات الحربية كالطائرات والدبابات والصواريخ وغيرها . مما يجد ويحدث مما يزيد المسلمين قوة . وبذلك يأخذون حذرهم وفي قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ما يبين ذلك .

كما بينت أيضاً السياسية الداخلية فبينت ما للإمام من الحقوق على رعيته قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقال النبي ﷺ «أسمع وأطيع لمن ولاه الله أمرك» الحديث . وقال «أسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي» .

ومن بيانها لحقوق الرعية على ولي الأمر قوله تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) وقول الرسول ﷺ «اللهم من ولي أمرأ

من أمور أمتي فرفق بهم فأرفق به، ومن ولي أمر آمن أمور أمتي فشق عليهم فاشقق عليه » ... وأمرت الشريعة بمشاورة أولى الرأي بل جعلت الشريعة مكانة الشوري بين الصلاة والزكاة للاهتمام بها وعظم شأنها كما في قوله تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ونهى الرسول ﷺ عن الإخلاد إلى الكسل والعجز والدعة والراحة وأخبرهم أن هذا سبب الذل بل أمرهم أن يكونوا أقوىاء أشداء أعزاء لاتلين قناتهم لأحد سوى الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فأمرت الشريعة بالضرب في الأرض لطلب الكسب والتجارة قال تعالى (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) وقال (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) .

وأمرت بحرث الأرض للمعاش وحثت على ممارسة الزراعة وشجعت أهلها بما لهم من البركة والأجر والفضل العظيم، كما قال ﷺ « ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغمس غرساً فياً كل منه

طير أو دابة أو إنسان إلا كان له به صدقه». وقال ﷺ «من أحيا أرضاً ميتة فهي له».

كما جاء الأمر بالصناعة في قوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً). ففي هذا الأمر بالصناعة مع العمل الصالح، وداود عليه السلام هو أحد أنبياء بني إسرائيل المأمور نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام بالافتداء بهم في قوله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان) الآيات. إلى أن قال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده).

وبالجملة، فقد رسمت أحكاماً لكل من الزراعة والصناعة والتجارة وأوجبت حفظ الحقوق فأمرت بالكتابة والإشهاد وحرمت كتمان الشهادة أشد تحريم حماية للأموال وسلامة للصدور عن التقاطع والتباغض كما نهت عن الغش والخداع في المعاملات وحرمت الربا بأنواعه وبيع البعض على بيع البعض،

وعن التدليس ويبيع الضرر كل هذا حفظاً للحقوق وحرصاً على إتمام الروابط بين المسلمين .

وعلمت الشريعة كيفية الاقتصاد وينت كيف يصرف المال فنهت عن التبذير وعن التقدير وأمرت بالقوام بينهما قال الله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) . وقال في وصفه لعباد الرحمن (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) . وينت الشريعة كيف تقام البيوتات وتؤمّن العائلات فشرعت النكاح وحثت عليه ورغبت فيه وينت ما للرجل على زوجته من الحقوق وما لها عليه وينت ما عسى أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل .

قال تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فمظوهن واهجرهن في المضاجع واضربوهن فإن أطنعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إن الله كان علياً كبيراً . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما)

إن الله كان عليماً خبيراً). كما شرعت الخلع والطلاق عند تعذر
الوثام بينهما وعدم الثام حالهما. ونظمت شئون الأسرة
الواحدة عموماً. وبينت حقوق الوالد وما عليه وحقوق الأولاد
وما عليهم وجميع الأقارب وذوى الأرحام كل بحسبه.

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته من حين رضاعه
إلى إبان وفاته، بل إلى ما بعد ذلك فبينت الأولى بتفسيه وتكفينه
وحمله والصلاة عليه ودفنه وميراثه ووصيته وحقوقه وقضاء
ما عليه من الديون، وحكم أوقافه ما يصح منها وما لا يصح.
فإنه ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسمها.

وكل ما ازداد المرء معرفة بها إزداد لها إحتراماً وتعظيماً
وتوقيراً، فلذلك كان الصحابة رضی الله عنهم لكمال معرفتهم
أشد الناس تمسكاً بها وتمشياً مع تعاليمها بكل جليل ودقيق وإنه
من العجب إعراض أكثر الناس في هذه الأزمنة عن تعاليم
هذه الشريعة السامية الكاملة واستبدالها أو شوبها بقوانين
وضعية ظاهرة التناقض واضحة الجور فاسدة المعنى. فلذا كثيراً

ما يطرأ عليها التغير والتبديل ، كل يرى أنه أحسن ممن تقدمه
وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه . ثم يجرى عليها تغييراً
وتبديلاً بحسب رأيه وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم
المستمدة من نخاتة الأفكار وزبالة الأذهان . . أما الشريعة
الإسلامية فهي صالحة لكل زمان ومكان مضى عليها أربعة
عشر قرناً وهي هي في كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع
الحقوق لجميع الطبقات وإهداء الناس جالاً وأنعمهم بالآ والأقرهم
عيشاً أشدهم تمسكاً بها سواء في ذلك الأفراد والشعوب أو
الحكومات وهذا شيء يعرفه كل واحد إذا كان عاقلاً منصفاً .
وإن لم يكن من أهلها بل وإن كان من المناوئين لها .

وقد سمعنا وقرأنا كثيراً مما يدل على ذلك فقد ذكر بعض
عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا
للسياسة ، أن نشأة أوربا الحديثة إنما كانت رشاشاً من نور
الإسلام فاض عليها من الأندلس ومن صفحات الكتب التي
أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الشرق والغرب .

وقال القس طيلر: إن الإسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من نتائجه، وقال كوتنس: يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة في السجاياء وشرف الأخلاق قد طبعت في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف غيرهم، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك .

وقال أيضا: إن من أهم النعمت التي يمتاز بها المسلم عزة في النفس فهو سواء في حالة بؤسه ونعيمه لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله .

وهذه الصفة التي غرسها الإسلام في نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال .

قال هانوتو وزير خارجية فرنسا في وقته: إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ثابت الأركان وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمرا وأفواجا، وهو الدين الإسلامي

العظيم الذي تفوق شدة الميل إلى الدين به كل ميل إلى اعتناق
أى دين سواه فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز
الإسلام فيه حدوده فانتشر في الآفاق .

وقال بعضهم: لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا
حكمه وأحكامه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة
من آراء الرجال فشا فيهم فساد الأخلاق فكثر الكذب
والنفاق والتحاقد والتباغض، تفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم
الحاضرة والمستقبلية، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم، وقنعوا
بحياة يأكلون فيها ويشربون . . . ويتامون ثم لا ينافسون
غيرهم في فضيلة ولكن إذا أمكن لأحدهم أن يضر أخاه
لا يقصر في إلحاق الضرر به. وأقوالهم في هذا الموضوع كثيرة
جداً، يعترفون فيها بمعظمة الإسلام وشمولة المصالح ودرء
المفاسد، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً لصاروا أرقى
الأمم وأسعد الناس ولكن ضيعوا فضاءها واكتفوا منه بمجرد
التمسك بأنهم مسلمون .

مناقب شهد العدو بفضلها: والفضل ما شهدت به الأعداء
ولسنا والحمد لله في حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم ، بفضل
الاسلام وعلومكاته. ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله في فهمه
والعمل به وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه إذ جهلوا مصالحه
وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة وأعداؤه يفضلونه
ويشهدون له بالكمال، وأنه فوق كل نظم. ولا شك أنه الدين
الصحيح الكفيل بكل ما يحتاجه البشر على وجه يكفل لهم
المصالح ويدرأ عنهم المفاسد، دين الفطرة السليمة دين الرقي الحقيقي
دين العدالة بأسمى معانيها دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح ،
دين العمل دين الاجتماع دين التوادد والتناصح والتحابب دين
رفع ألوية العلم والصنائع والحرف. لم يقتصر على أحكام العبادات
والمعاملات بل شمل جميع منافع العباد ومصلحتهم على ممر السنين
وتعاقب الدهور إلى أن تقوم الساعة .

ولكن يا للأسف ويا للمصيبة أن أبناء هذا الدين جهلوا
قدره وجعلوا حقيقته بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يبدسون

عليه معاولهم ليهدموه وليفرقوا أهله ويفضلون أهل الغرب
على المسلمين، ظنّ منهم بقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن
الدين هو الذي أخروهم، ولكنهم أخروا أنفسهم بالإعراض عن
تعاليم دينهم، وأخذوا إلى الكسل وقنعوا بالجهل فأصبحوا في
حيرة من أمرهم

إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه لوصلوا فوق ما وصل
إليه غيرهم من التقدم الصناعي ولكنهم تركوا دينهم واقتنعوا
بالترف والتعيم وأهلوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب
عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة، وأن الواجب على أهل
الإسلام خصوصاً العلماء منهم وولاة الأمور أن يبشوا الدعوة
له وينشروا محاسنه لنشئهم ليرغبهم فيه ويرشدوا الأمة لأحكامه
وحكمه، كما فعل أوالثهم الأماجد فإنهم قاموا بالدعوة فبينوا
للأمم محاسنه ومما حته شارحين لهم حكمه موضحين مزاياه .
وبذلك امتد سلطانهم واتسعت ممالكهم وأخضعوا من سواهم
لتعاليمه. ولكن ما لبث أبناءهم أن حرقوا فأنحرفوا وتمزقوا

بعد ما اجتمعوا واشتبه الحق عليهم بالباطل، فتفرقت بهم السبل وأصبحوا متفرقين في آرائهم متباينين في مقاصدهم، وكيف يحمل لهم الرقي، وأنى يتسنى لهم التقدم، وقد رضوا بقوانين وضعية استمدوها من أعدائهم يجرؤ وراءهم وينهجون نهجهم تقليداً لهم ومصادمة للشريعة الإسلامية التي هي عزهم ونفخهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم، والله سبحانه وتعالى يقول: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون).

ويقول جل شأنه: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه وتعالى: (وإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقد تكفلت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها قال تعالى: (ما فرطنا من الكتاب من شئ) وقال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى

ورحة وبشرى للمسلمين) ففي هذه الآية، أن القرآن فيه البيان لكل شيء، وأن فيه الاهتداء التام وأن فيه الرحمة الشاملة وأن فيه البشارة الصادقة للمتمسكين به الخاضعين لأحكامه . قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال ﷺ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » . وقال ﷺ « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعديم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله . . . إلخ » .

فكيف يجترى من يدعى الإيمان مع هذا البيان الواضح والآيات البينات والأحاديث الصحيحة على الرضى بالتحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن شريعة الله . والله قد نفى الإيمان عن لم يحكم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر قال تعالى : (فلا

وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ممن لا يجدوا
 في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وإنه لمن أعظم
 الضلال أن يعتقد من يدعى الإسلام أن الشريعة لم تأت بما
 يكفل مصلحة الجميع وأن الناس محتاجون إلى غيرها في شيء
 من شؤونهم ومشاكل حياتهم، أليس ذلك طعنا وتكديبا لقوله
 تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
 ورضيت لكم الإسلام ديناً). ياله من دين ما أجله وما أكمله،
 فإن من تأمل حكم هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة
 المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها ولا يدرك الوصف حسناتها
 ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت، وكانت على أكمل
 عقل رجل منهم مثلاً وحسب العقول الكاملة الفاضلة أن أدركت
 حسناتها وشهدت بفضلها وأنه ما طرق العالم شريعة أكمل ولا
 أجل ولا أعظم منها، فهي نفسها الشاهد والمشهود له والحجة
 والمجتمع له والدعوى والبرهان وهي من أعظم نعم الله التي
 أنعم بها على عباده، فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم
 (٢٣ - المجموعة الحمودية)

لها وجعلهم من أهلها، ومن ارتضاهم لها فلهذا امتن على عباده
 بأن هداهم لها . قال تعالى : (لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث
 فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
 الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وقال
 معرفا لعباده ومذكرا لهم عظيم نعمته عليهم مستدعيا منهم
 شكره على أن جعلهم من أهلها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

قال بعض السلف : يا له من دين لو أن له رجالا — والله أعلم .
 وصلى الله على محمد .

الرئيس لقام للاشراف الديني بالمسجد الحرام

عبد الله بن محمد بن حميد



منظومة نقلناها من مقامات الحريري

خل اذكار الأربع	والمعهد المتربع
والظاعن المودع	وعده عنه وودع
واندب زمانا سلفا	سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا	على القبيح الشنيع
كم ليلة أودعتها	مأتما أبدعتها
الشهوة أطعتها	في مرقد ومضجع
وكم خطي حثتها	في خزية أحدثها
وتوبة نكثتها	للمعب ومصرع
وكم تجرأت على	رب السمات البلى
ولم تراقبه ولا	صدقت فيما تدعى
وكم غمضت بره	وكم أمنت مكره
وكم نبذت أمره	نبذ الخذاء المرقع
وكم ركضت في اللعب	وفتت عمداً بالكذب

ولم ترع ما يجب	من عهده المتبع
فالبس شعار الندم	واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم	وقبول سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف	ولد ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف	عنه انحراف القلع
إلام تسهو وتني	ومعظم العمر فني
فيما يضر المتقي	ولست بالمرتدع
أما ترى الشيب وخط	وخط في الرأس خطط
ومن يلح وخط الشمط	بفوره فقد نمي
ويحك يا نفس احرصي	على ارتياد الخلد
وطاوعي واخلمي	واستمعي النصح وعي
واعتبري بمن مضى	من القرون وانقضى
واخش مفاجأة القضا	وحاذري أن تخدعي

واتهجي سبل الهدى	وادكرى وشك الردى
وإن متواك غدا	في قعر لحد بلتع
أهاله بيت البلى	والمزل الفقر الخلا
ومورد السفر الأولى	واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه	قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسمة	قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحمله	داهية أو أبله
أو منسر أو من له	ملك كملك تبع
وبمده العرض الندى	يحوى الحلى والندى
والمبتدى والمحتدى	ومن رعى ومن رعى
فيا مفاز المتقى	وربح عبد قد وقى
سوء الحساب الموبق	وهول يوم المفزع
ويا خسارة من بنى	ومن تعدى وطنى

وشب نيران الوغى	لمطعم أو مظمع
يا من عليه المتكل	قد زاد ما بي من وجل
لما اجترمت من زلل	في عمرى المضيع
فاغفر لعبد محترم	وارحم بكاء المنسجم
فأنت أولى من رحم	وخير مدعو دُعي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه تهنئة للامام عبد العزيز والمسلمين . نظمها حمد بن مزيد
(في وقفة « تربة » بين الشريف عبد الله والإخوان . وفيها انتصر
الإخوان أهل النقط ومن تبعهم من إخوانهم على الشريف وقومه) .

الحمد لله ذى الآلاء مولانا	حداً كثيراً على ما كان أولانا
ونشكر الله شكراً لا نفاذ له	وليس نحصى لذي الإناعام شكرانا
وحسبنا الله مولانا وناصرنا	على الذى رام للإسلام خذلانا
لقد أتى ابن حسين الوغد فى خيلا	بالكبر والفخر والإعجاب سكرانا
على ذوى الدين والإسلام ذا حق	بالغيظ والحق والعدوان ملانا
يقود جنداً كثير العد ذا عدد	كادت تضيق به أفواه ريعانا
بدواً وحضراً وأسقاطاً ملفقة	من كل قطر وأتراكا وسودانا
جاؤا بهول عظيم من مدافعهم	مع المسكائن تحكى ضوء نيرانا
قد سلسلوا عندها أصحابها حذراً	من أن يفروا إذا وقت الوغى حانا
جاءوا يريدون إطفاء لنور هدى	ويهدمون من الإسلام أركاننا
ويسلبون بنى الإسلام دينهموا	ويلزمونهموا بدعون أوثانا
فذا أتى تربة استدعى جميعهموا	فن أطاع له أولاه إحسانا
وظل يقتل من لا يستجيب له	وبالشريعة والإخلاص قد دانا
سبى بيوتهم بغيك وهدمها	كما سبا لهموا بالظلم نسوانا

فيا لها محنة سيم العباد بها
 خطب به سر من في قلبه مرض
 وميز الله أهل الزين أجمعهم
 وثبت الله أهل الصدق فيه ولم
 وهذه سنة في الإمتحان مضت
 فينما نحن في غم وفي كرب
 إذ فل عبد العزيز الشهم رايته
 وسار بالعزم والإقدام مشتملا
 في عصبة من بني الإسلام عادتهم
 وحارب النوم مع حلو الطعام ولم
 وضل كالأسد المؤذى ببقائه
 حتى يضر ج من آذاه في دمه
 لما تامت به في الصدق نيته
 جاء البشير له بالنصر يخبره
 على يدي معشر من جنده صدقوا
 رئيسهم خالد من كان منتصيا
 أكرم به من أمير صادق وفي
 لإزال توفيق مولانا محمد له
 خفنا ورجنا وزلزالا وأحزانا
 وفتحوا عينا منهم وأذانا
 وأظهر الله للرتاب أضفانا
 يزدهوا غير تسليم وإيمانا
 متى يكن أكرم الإنسان أو هانا
 كادت تدوب له ياصاح أحشانا
 وجاد بالنفس في مرضات مولانا
 بالحزم مؤثرا ما كان كسلانا
 يوم التعام الوغى تصرع أقرانا
 يشرب للذيذ ولو أن كان عطشانا
 له زئير ولم ينفك غضبانا
 ومنه يخضب أظفارا وأسنانا
 ونال من ربه أجرا ورضوانا
 وباتخذال الذي قد رام طغيانا
 ما عاهدوا الله إسرارا وإعلانا
 إلى لوى حليف المجد مذ كانا
 بالعهد والوعد لأقدما وخوانا
 وزاده الله إيماننا وإحسانا

كذلك من بالوفى والصدق ساعده
مع ساكنى الفطط لمستوطنين كذا
كذلك من كان فى صبحاء مسكنه
قوم تعد آمنوا بالله خالقهم
وجاهدوا فى سبيل الله بل صبروا
تعلم العلم فى الاصباح همهموا
وجامع الأمر إن تطلب لوصفهموا
إذ جاء صيتان من عند الخبيث بما
وقال إخوانكم بالأمس قتلهم
فبادروا بالسكا حتى كأنهموا
ونكسوا الروس حتى لا ترى لهموا
ثم استعانوا برب الناس خالقهم
ومن أراد عن المشا يذبهم
جاؤه فى حفر فى الأرض خندقها
والجند كلهم للحرب حزمهم
فما استكانوا ذلك الهول بل صبروا
فقد رؤهم فباعوا الله أنفسهم
سلوا السيوف وبانوا من ثيابهموا

أعنى به ابن بجاد الشهم سلطانا
من فى سنام ومن فى الرين سكا
قبائل تنقى حقا لقططانا
وهاجروا وانقوا إثمًا وعدوانا
وصابروا لذوى الإشرار أزمانا
وينقضى ليلهم ذكرًا وقرآنًا
نهارهم أسد والليل رهبانًا
يهيج من قلب ذى الإيمان أشجانًا
وظل يسبى لأهل الدين نسوانا
نكلا أعاد عليها الدهر أحزانًا
إلا الشيع ودمعًا كان هتانًا
على قتال الذى قد رام طغيانًا
قالوا أما قد سمعتم قول صديتانًا
أعد فيها دنائيتنا ونيرانًا
وأظهروا من عظيم السكيد أفنانًا
واستمحوا الله تثبيتنا وإيمانًا
وأعلنوا الذكروا الكبير إعلنانًا
واستبدلوا سرًا ويلا وأكفانًا

وخالطوهم عياناً في خنادقهم
 فذروا أفعالهم فيهم وصبرهم
 وظل جند الهدى بالبيض يحصدهم
 فبدد الله جمع المشركين فما
 أوجيف منهم الأرواح قد خرجت
 لكما جملة الأتراك قد قتلوا
 وسوف يعتاد نسر الجومصرهم
 لم ينتج منهم سوى قوادهم هربوا
 وخلفوا خلفهم رغماً مدافعهم
 كذا ذخائرهم صارت وما جمعوا
 هذا لعمرى هو الفتح الذى طلعت
 فتح به فتحت أبصار أفئدة
 فتح به أعين الإسلام قد فتحت
 فتح به عاد حزب الله منة صفاً
 فتح به ارتجت أرض الحجاز كذا
 وذلك من فضل مولانا ومنته
 أعنى حليف التقى عبدالعزيز ومن
 فكان أهل الهدى والدين شيعة
 وأنخنوهم بحمد السيف إنخاضاً
 ألقوا سلاحهم ذلاً وإذعاناً
 حصاد زرع هشيم وقته حاناً
 ترى سوى ساقط في الأرض أناثاً
 أو هارب في بقاع الأرض هيماناً
 صاروا طعاماً لغربان وعقباناً
 والذئب يشبع لحماً فيه أزماناً
 على جباد لهم زعراً لما كانا
 مع المساكين مع بز وعقباناً
 فيثا يقسم في الإخوان سهمانا
 به شمس الهدى والشرك قد هاننا
 غلق عليها ظلام الريب قد رانا
 فأبصرت بعد دمع كان هتاناً
 من الوضيع عدو الله قرناناً
 أرض العراق ومن في الشام سكاناً
 العظمى لتمهيد عز الدين مذكاناً
 قد شاد للدين والتوحيد أركاناً
 وعضده وله جنداً وأعواناً

وإعنا عزهم من عزه وهو
لقد تولا هموا من حين هجرتهم
بنا مساجدهم فيها وأنحفهم
فعلوهم أصول الدين أجمعها
وقد حباهم بأموال وأسلحة
وكان ركننا شديداً في الملم لهم
يرى محبتهم مع نصحه لهموا
أكرم به من إمام عادل فطن
كم فرج الله كرب المسلمين به
قد كان فوق السهى في المجد منزله
لا زال إسعاد مولانا يساعده
يا راكباً فوق وجناء عذافرة
حث للسير ولا تسلم لشقته
إلى الإمام الإمام الشهم من حدت
أبلغه منى تسلياً وتهنية
وناده برفيع الصوت مجتهداً
ففس هنيئاً مريئاً في السرور وفي
فقد حباك إله الناس خالقنا

بالله ثم به سرّاً وإعلاناً
حتى بنى لهموا مدناً وبلداناً
مشائخاً كلوا علماً وعرفاناً
وبينوا لهم التوحيد تبلياناً
كما أنالهم رفداً وإحساناً
كهناً منيعاً لهم إن مزعج آنا
ولطفه بهموا ديناً وإيماناً
يخوض نار الوغى إن وقتها حاناً
وأذهب الله أغصاناً وأحزاناً
وفاق في الجود والإقدام أقراناً
أزاده الله تمكيناً وسلطاناً
سامت سنيئاً لدى الدهنا وصبياناً
واطوى الفيافي عليها صاح عجلاًنا
أفصاه وحى للدين أركاناً
أحلى من الشهد أوماء لظماناً
ليهنك النصر والفتح الذى كانا
عز ونصر ولا نخشى لخلداناً
ملكاً عظيماً وذكراً فى الورى زاناً

فاشكر إلهك تردد من فضائله
 وخف من الله رب الناس واتقه
 ولازم العدل في من قد وليت له
 وقرن لذوى التقوى وعزهموا
 واحذر مصاحبة الفساق قاطبة
 لا تطلعنهم على الأسرار منك ولا
 إن الخبيث وإن أبدى تنسكه
 نقول هذا لكي نبدي مناصحة
 فاسمع نصيحتنا واغفر لزلتنا
 هذا ومنى سلام كلما طلعت
 على الإمام رفيع الصيت والدكم
 أكرم به من أخ عدل حليف تقي
 كذلك الشيخ عبد الله قدوتنا
 لا زال بداراً منيراً للهدى علماً
 ثم الصلاة على المعصوم سيدنا
 وآل والصحب ما هب النسيم وما
 وكان إفضاله بالشكر هتافاً
 وراقب الله إسراراً وإعلاناً
 واجعل لك القسط مكيلاً وميزاناً
 واجعلهموا لك إخواناً وخلاناً
 وكل قدم ومرتاب وخواناً
 تجعلهموا لك عمالاً وأعواناً
 فسوف تبدي له الأيام أضغاناً
 وأنت أعلمنا في ذا وأدرانا
 وأول عورتنا سترأ وكتماناً
 شمس وما قر من أفعه باناً
 نجل الأفاضل غيث الضد مذكناً
 لا زال غيثاً بوبل الجود هتافاً
 وصفوة الجيل من شيب وشباناً
 بنوره يهتدى من كان حيراناً
 محمد المصطفى من نسل عدناناً
 قد غرد الطير فوق الدوح الحناناً

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ على بن الشيخ حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
رحمهم الله :

خليلي عوجا عن طريق العواذل
لعل انحذار الدمع يعقب راحة
أرى عبرة غبراء تنبع أختها
تهيج ذكراً للأُمور التي جرت
وبسقط من بطن الحوامل حملها
فبينما نسود الناس والأمر أمرنا
وتحقق رايات الجهاد شهيرة
تبدلت النعماء بؤساً وأصبحت
وبث عتاة الدين في الأرض بغيرهم
وأقبل قادات الضلالة والردى
فخانت لهم نجد لما قد أتوا بها
فقد خاموا والله ربة دينهم
ظلم يفلحوا والحمد لله وحده
وشقت شمل الدين وأثبت أصله
وفرعن الأوطان من كان قاطناً
بمهجور ليلى فابكيا في المنازل
من الوجد أوبشقى عليل البلايل
على إثر أخرى تستهل بوابل
تشيب النواصي واللحى للأمانيل
وتذهل أخيار النساء الماطفل
وتنفذ أحكام لنا في القبائل
بشرق وغرب يمنة وشمال
طفاة عتاة ملجئاً للأراذل
وريعت قلوب المؤمنين الغوافل
وساداتها في عسكر وجحافل
ولم يبق للإسلام غير قلائل
وبار أمير مع وزير وعامل
ولم ينتهوا بل شرهم في تطاول
فأضحى مضاعفاً كالبدور الأوافل
تراهم فرادى نحو قلعر وساحل

وفرق شمل كان للخير شاملا
وسادشمرار الخلق في الأرض بعدهم
فأصبحت الأموال فيهم نهائياً
فكم دمروا من مسكن كان أنساً
وكم خربوا من مسجد ومدارس
وكم قطعوا من باسقات نواعم
وكم أهلوا كواحرنا ونسلاً بينهم
وكم هتكوا سترأ حياء ممنعاً
وكم حرقوا من كتب علم وحكمة
وكم هدموا سوراً وقصرأ مشيداً
وكم أسروا من حاكم بعد عالم
وكم قتلوا من عصابة الحق فنية
يذودون عن ورد الدنيا نفوسهم
فما بعدهم والله في العيش رغبة
مضوا وانقضت أيامهم حين أورثوا
قوا أسفاً من فقدهم وفراقهم
فجازا فم الرب الكريم برحة
وأبقى لهم نصراً وأهلاً مؤثلاً

وزالت ولاية المسلمين الأعدال
ودارت رحى للأرذالين الأسافل
وأضحت الأيتام خص الحواصل
وكم خربوا من مربع ومعاقل
يقام بها ذكر الضحى والأصايل
وكم اغفلوا من معقل ومنازل
وكم أيتموا طفلاً بغدر وباطل
وكم كسفوا حجب العذارى العقايل
وقفه وتوحيد وشرح مسايل
وحصناً حصياً أو هزوا بالمعاول
وكم زلزلوا من محصنات غوافل
تقاة هداة في الدجى كالشاعل
ويسعون جهداً لاقتناء الفضائل
وما بعدهم للخير والدين فاعل
ثناء ومجداً كالهداة الأوائل
وواسوءتاً من بعد أهل الفضائل
تعم عظماً أودعت في الجنادل
يمز هداة الدين بين الجحافل

لقد بخلت عين تضن بمائها
فقد كسفت شمس المعارف بعدهم
فكم عاتق غراء تبكى بشجوها
ينجن بأكباد حرار وعبرة
يرجعن ألحان التعزى بحرقة
فلو شهدت عينك يوم رحيلهم
وفرت الأحباب في كل قرية
يسوقونهم سوقاً عنيفاً بشدة
لذابت جنون العين واحترق الحشا
فقد عاثت الأحزاب في الأرض بعدهم
فكم فارة غبراء يكره وردها
وكم فتنة كبرى تتابع اختها
تري خيلهم في كل يوم مغيرة
وجاءت لأهل المدن تبغى خفارة
فقد طال ما قد أذمنوا وتذللوا
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا
ويعمر السمحاء ربوعاً تهدمت
فيظهر نور الحق يعلو سناؤه

على ققدم أودمع عين تهامل
وسالت جفون بالدموع الموامل
وأرلة تسلكى وحبل وحایل
ويكظم غيظاً في الجوانب داخل
ويظنون صبراً عن شاة وعاذل
عن المسكين الأعلى الرفيع المنازل
وسار بهم حزب العدو المزايل
ويزجون أشياء بتلك القوافل
وسالت خدود بالدموع السوائل
بكل ما كان ناصبين الحبايل
على إثر أخرى بين تلك القبائل
على إثر صفري من قتيل وقاتل
على داخل أو خارج أو مسابيل
رعاة جفاة من مطير ووايل
وفرض زكاة للمال أدوا لعامل
ويجبر كسراً مثقلاً بالحبايل
وبلى مناراً للهدى غير زايل
فيضحي ظلام الشرك والشك زايل

ويكسر أعلام الضلالة أنه
 ويطمس آثار الفساد بديمة
 فينبت زرع الحق أخرج شطئه
 إلى فحق ذاك الرجاء فإننا
 أغشنا أغشنا وارفع الضر والبلا
 فإن لم تغثنا يا قريب فمن لنا
 إليك أئبنا فاغفر الذنب والخطا
 فقد سامنا الأعداء سوماً مبرحاً
 على غير جرم غير توحيد ربنا
 وأمر بمعروف وإنكار منكر
 وأخذ زكاة المال فرضاً مؤكداً
 وحج وتقويم الجهاد لأنه
 إذا ما ملكنا قرية أو قبيلة
 فهدم أو ثانا ونبنى مساجداً
 وقطع سراقاً ونزجم محصناً
 نكف ظلوم اليد والخصر إن غدا
 ويتبع آثار الرسول وصحبه
 كأحمد والنعمان قل لي ومالك
 قريب مجيب مستجيب لسايل
 من النصر هتان الجوانب وابل
 مسحاً بخير للآثار الحواصل
 عبيدك تبنا لست عنا بغافل
 بعفوك عنا يا قريب لآمل
 لنقصد في دفع الأمور الثقيل
 إليك رجعنا فارجع الخير كامل
 بتل وأسر موثقاً بالحبايل
 وهدم قباب المشركين الأباطل
 وفعل صلاة في الجماعة حافل
 يرد لذي فقر وغرم وعامل
 أمان وعز عن مذلة خاذل
 أقنابهم - أشرع الهداة الكوامل
 ونكسر مزماراً وطبلاً لجاهل
 ونجلد سكراناً بنص الرسائل
 بغير على حق الضعاف الأرامل
 مع السلف البر التقاة الأفاضل
 كذا الشافعي ركن الحديث وناقل

فماذا علينا إذ سلكتنا سبيلهم بقول وفعل مسعد فنواصل
 ألا أيها الإخوان صبراً فإنتى أرى الصبر للمقدور خير الوسائل
 ولا تياسوا من كشف ذا الكرب والبلال

فدو العرش فرّاج الأمور الجلائل

هيون القضا ليست نياماً وسهمه مصيب فما يخطيء عيون المقاتل
 فطوبى لعبد قام لله مخلصاً ترنم في محرابه متأيل
 يمد يديه سائلاً متضرعاً لرب قريب بالإجابة كافل
 فجاءت سهام الليل تهوى بشرعة إلى ظالم عن ظلمه متغافل
 أصابت نياط القلب في وسط مخره فأب بخسران وحر بلايل
 قسم فارعاً للباب والقلب نادم على ماجرى وأقبل عليه وسایل
 وأما بنو الدنيا فلا ترج نفهم فلا مرتقى منهم يرجى لنازل
 فإني تقبعت الأنام فلا أجد سوى حاسد أو شامت أو معاذل
 فلم أر أنكى للعدو من الدعاء كرمي بنبل أوترت بالمناصل
 فلا تدع غير الله في كل حالة وخل جميع الخلق طراً وعازل
 سألتك إذا الجود والبن والعطا تجود وتغفو عن عبيدك يا ولي
 وترسل طاعوناً ورجزاً ونقمة وطعناً لطعان وقتلاً لقاتل
 بعم لأحزاب الضلال وصحبهم بسوط عذاب عاجل غير آجل
 فإليك قهار على كل قاهر وأمرك غلاب لكل محاول

وأزكى صلاة لاتناهى على الذى له انشق إيوان لكسرى بياهى
محمد والأصحاب ماهبت الصبا وآل رسول الله زين المحافل

روى عن على بن أبى طالب أنه قال :

تغيرت المودة والإخاء	وقل الصدق وانقطع الرجاء
وأسلمنى الزمان إلى صديق	كثير القدر ليس له رعاء
أخلاء إذا استغنيت عنهم	وأعداء إذا نزل البلاء
يديمون المودة مارأونى	ويبقى الحمد مابقى اللقاء
فإن أنا غبت عن أحد قلانى	وعاقبنى بما فيه اكتفاء
سيمغننى الذى أغناه غنى	فلا فقر يدوم ولا غناء
وكل مودة فى الله تصفو	ولا يصفو مع الغي الإخاء
وكل جراحة قلبها دواء	وخلق السوء ليس له دواء
وليس بدائم أبداً نعيم	كذلك البؤس ليس له بقاء
إذا أنكرت شيئاً من حميم	ففى نفسى التكرم والحياء
إذا ما رأس القوم ولى	بدا له من الناس الجفاء

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب عم النبي
صلى الله عليه وسلم :

بكت عيني وحق لها البكاء	وما يغني البكاء ولا المويل
على أسد الإله غداة قالوا	أحمزة ذاكم الرجل القليل
أصيب المسلمون به جميعاً	كذلك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت	فأنت المساجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان	مخالطها نعيم لا يزول
ألا من مبلغ غنى لويّاً	فبعد اليوم دائلة تدول
نسيتم ضربنا بقلب بدر	غداة أناكم الموت العجيل
غداة نوى أبو جهل صريعاً	عليه الطير حائمة تجول
وعتبه وابنه خرا جميعاً	وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا أمية مجلعباً	وفي حيزومه للذن نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها	ففي أسيافنا منهم فلول
ألا ياهند فابكي لا تملي	فأنت الواله العبر الهبول
ألا ياهند لا تبدى شاماً	بحمزة إن عزكم ذليل

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فهرس

من

- ٣ مقدمة
- ٤ مجموعة رسائل ومساائل علماء نجد الأعلام (من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا هذا)
- ٧١ رسالة في أصل الدين للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (في الرد على من قال : لا تكفر لمعني ، وإنما نقول فعله شرك بنوعه من غير تكفير لفاعله)
- ٤٥ رسالة مفيدة للشيخ محمد بن عمر بن سليم (في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
- ٦٩ مرمية الشيخ محمد بن إبراهيم في عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف
- ٧٧ قصيدة الشيخ صالح بن سالم (في وصف أهل الحق والإيمان ، وحال أهل الزيغ والطغيان) الخ
- ٨٤ قصيدة للشيخ صالح بن سالم (في غربة الإسلام وفضل الغرباء ، وأن الإسلام لا يزداد إلا غربة)
- ٨٩ فوائد وحكم منسوبة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه
- ٩٢ كلام لابن القيم في فضول النظر وما يترتب على مخالطة الناس على تنوعها

نبذة منقولة من تاريخ الجبرتي فيما يتعلق بحروب المصريين

مع الوهابيين للشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ١٠٠
قصيدة في رثاء الأندلس لأبي البقاء صالح بن شريف

الرندي ١١٠

خطبة مفيدة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ١١٦
قصة وفد بني لنتفك على رسول الله ﷺ (منقولة من

المدى لابن القيم) ١١٩

رسالة تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ١٤٠
قصيدة للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني ، يتبع فيها الدين

الإسلامي ١٦٨

قصيدة للشيخ عبد الله الشيبيني (يشكو فيها مآلتي من قومه من

الأذى وتألمهم عليه) ١٧٣

قصيدة نبطية للشيخ عبد الله الشيبيني (يشكو فيها غربة الإسلام

وما وقع فيه كثير من الناس من دعاء القبور والأموات) .. ١٧٦

الأدب - للشيخ عيسى بن محمد الملاحى ١٨٠

رسالة (كشف الشهوة والحجاب ، عن توقف في حل أموال

المحاربين من المرتدين والأعراب) ١٩٧

لاد والجزر - لأبي الحسن الندوى ٢٠٥

وصية لفضل ، لخارون الرشيد ٢٦١

وعايا نافذة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وإخبره ٢٦٦

كلام للإمام الشافعي في تنزيه الأسماع عن الحنا كتزيه

- ٢٧٤ اللسان عن النطق به
- ٢٧٨ . رسالة في خوف الفتنة والأئمة المضلين ، الشيخ حمد بن عتيق
- ٢٨٤ فائدة من كلام أبي سليمان الداراني رحمه الله
- ٢٨٩ فوائد جلية من كتاب الفوائد للعلامة ابن القيم
- ٢٩٠ فصل - لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأملها
- فائدة جلية : كل من آثر الدنيا من أهل العلم على الآخرة
- ٢٩٥ واستحبها
- ٣٠٠ فصل - الدرام أربعة
- ٣٠١ فصل - للواساة للمؤمنين أنواع
- فصل - من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلها زيد في
- ٣٠٢ علمه زيد في تواضعه ورحمته
- ٣٠٢ فائدة جلية - الشقاوة
- ٣٠٣ فصل - إذا عزم العبد على السفر إلى الله تعالى .. الخ
- ٣٠٥ فصل - خلق بدن ابن آدم من الأرض .. الخ
- قصيدة للشيخ محمد بن عثمان الشاوي القصيمي يهني فيها
- ٣٠٩ الإمام عبد العزيز بفتح الطائف ومكة
- قصيدة للشيخ حمد للزيد يهني فيها الإمام عبد العزيز بفتح
- ٣٠٩ تربة